

# عالم الفكر

تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

المجلد الخامس والعشرون - العدد الثالث - يناير/ مارس ١٩٩٧

## في الأدب والنقد

- في الدلالات الميتافيزيقية للرموز الثقافية.
- الخلفية الفلسفية في النظرية التوليدية.
- الانزياح وتعدد المصطلح.
- السيميوطيقا والعنونة.
- علاقة النص بصاحبه.
- بواكير النقد الأدبي في الخليج العربي.
- التحليل النفسي للشعر بين الوسيلة والغاية.
- نظرية الشعر في اليونان القديمة.
- القومية في شعر الأخطل الصغير.
- البيئة الطبيعية في الشعر الجاهلي.
- المقاومة في شعر ثيساربايخو.

# عالم الفكر

تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

المجلد الخامس والعشرون - العدد الثالث - يناير/ مارس ١٩٩٧

## في الأدب والنقد

- في الدلالات الميتافيزيقية للرموز الثقافية.
- الخلفية الفلسفية في النظرية التوليدية.
- الانزياح وتعدد المصطلح.
- السيميوطيقا والعنونة.
- علاقة النص بصاحبه.
- بواكير النقد الأدبي في الخليج العربي.
- التحليل النفسي للشعر بين الوسيلة والغاية.
- نظرية الشعر في اليونان القديمة.
- القومية في شعر الأخطل الصغير.
- البيئة الطبيعية في شعر الجاهلي.
- المقاومة في شعر ثيساربايخو.

# عالم الفكر

مجلة دورية مُحَكَّمة تصدر أربع مرات في السنة

المجلد الخامس والعشرون - العدد الثالث - يناير / مارس ١٩٩٧

---

رئيس التحرير : د. سليمان العسكري

---

مستشار التحرير : د. عبدالمالك التميمي

---

هيئة التحرير : د. تركي الحميد

د. خالدون النقيب

د. رشا حمود الصباح

د. محمد جابر الأنصاري

د. محمد رجب النجار

---

مديرا التحرير : نوال المتروك - عبدالسلام رضوان

*General Organization of the Alexandria*

and Library (GOAL)

General Organization of the Alexandria



تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

# عالم الفكر

تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

مجلة فكرية محكمة، تهتم بنشر الدراسات والبحوث المتسمة بالأصالة النظرية والإسهام النقدي في مجالات الفكر المختلفة.

## قواعد النشر بالمجلة:

ترحب المجلة بمشاركة الكتاب المتخصصين وتقبل للنشر الدراسات - والبحوث المتعمقة وفقاً للقواعد التالية:

- ١- أن يكون البحث مبتكراً أصيلاً ولم يسبق نشره.
- ٢- أن يتبع البحث الأصول العلمية المتعارف عليها وبخاصة فيما يتعلق بالتوثيق والمصادر مع إلحاق كشف المصادر والمراجع في نهاية البحث وتزويده بالصور والخرائط والرسوم اللازمة.
- ٣- يتراوح طول البحث أو الدراسة ما بين ١٢,٠٠٠ ألف كلمة و ١٦,٠٠٠ ألف كلمة.
- ٤- تقبل المواد المقدمة للنشر من نسختين على الآلة الطابعة ولا ترد الأصول إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
- ٥- تخضع المواد المقدمة للنشر للتحكيم العلمي على نحو سري.
- ٦- البحوث والدراسات التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات أو إضافات إليها تعاد إلى أصحابها لإجراء التعديلات المطلوبة قبل نشرها.
- ٧- تقدم المجلة مكافأة مالية عن البحوث والدراسات التي تقبل للنشر، وذلك وفقاً لقواعد المكافآت الخاصة بالمجلة.

● الدراسات التي تنشرها المجلة تعبر عن آراء أصحابها وحدهم.

ترسل البحوث والدراسات باسم: الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب: ٢٣٩٩٦ الصفاة ١٣١٠٠ الكويت - فاكس: ٢٤٣١٢٢٩

## المحتويات

٣	<b>في الأدب والنقد</b>
٩	في الدلالات الميتافيزيقية للرموز الثقافية ..... د. محمود الذواودي
٤٥	الخلفية الفلسفية في النظرية التوليدية ..... د. بنكيران أحمد الطيب
٥٧	الانزياح وتعدد المصطلح ..... أحمد محمد ويس
٧٩	السيميوطيقا والعنونة ..... د. جميل حمداوي
١١٣	علاقة النص بصاحبه ..... د. قاسم المومني
١٢٩	بواكير النقد الأدبي في الخليج العربي ..... د. إبراهيم عبدالله غلوم
١٦٧	التحليل النفسي للشعر بين الوسيلة والغاية ..... د. فتحية محمود فرج العقدة
١٩١	نظرية الشعر في اليونان القديمة ..... د. فؤاد المرعي
٢٣٥	القومية في شعر الأخطل الصغير ..... د. سعاد عبدالوهاب العبدالرحمن
٢٥٩	البيئة الطبيعية في الشعر الجاهلي ..... د. حسين جمعة
٢٩٥	المقاومة في شعر ثيساربايخو ..... د. محمد عبدالله الجعيد

# عالم الفكر

تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

المجلد الخامس والعشرون - العدد الثالث - يناير/ مارس ١٩٩٧

## في الأدب والنقد

- في الدلالات الميتافيزيقية للرموز الثقافية.
- الخلفية الفلسفية في النظرية التوليدية.
- الانزياح وتعدد المصطلح.
- السيميوطيقا والعنونة.
- علاقة النص بصاحبه.
- بواكير النقد الأدبي في الخليج العربي.
- التحليل النفسي للشعر بين الوسيلة والغاية.
- نظرية الشعر في اليونان القديمة.
- القومية في شعر الأخطل الصغير.
- البيئة الطبيعية في شعر الجاهلي.
- المقاومة في شعر ثيساربايخو.

## تمهيد

بصدور عدد (أبريل ١٩٩٧) - العدد الرابع من المجلد الخامس والعشرين - تكمل مجلة عالم الفكر ربع قرن من عمرها، ويكون قد صدر منها مائة عدد حافلة بالعطاء الفكري والثقافي الرفيع. وقد رأت هيئة التحرير أن يجيء الاحتفال بهذه المناسبة من خلال عقد ندوة تعالج إحدى قضاياها الفكرية الكبرى. ومن ثم بُدئ بالفعل في الإعداد لندوة عالم الفكر حول «الفكر العربي المعاصر، تقييم واستشراف»، على أن تعقد في إطار «مهرجان القرين الثقافي الرابع» الذي ينظمه المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (نوفمبر/ ديسمبر ١٩٩٧)، وتنشر بحوثها ومناقشاتها في عدد أبريل ١٩٩٨ من «عالم الفكر».

وتتلخص أهداف هذه الندوة، التي تشارك فيها بالبحث والتعقيب والنقاش، نخبة متميزة من المفكرين العرب، في تقديم رؤية نقدية للفكر العربي على مدى نصف القرن الأخير، وإلقاء الضوء على إشكاليات ومعوقات تقدم الفكر العربي وازدهاره، وأخيرا استشراف المستقبل.

وفيما يتعلق بالهدف الأول، لن تسعى أبحاث الندوة إلى أن تكون محاولة للرصد التاريخي، فعملية الرصد تناولتها بحوث كثيرة على مدى السنوات السابقة، وإنما ستركز اهتمامها على التقييم النقدي للتيارات الرئيسية في هذا الفكر (محور «اتجاهات الخطاب الفكري العربي المعاصر») وإنجازاتها وأوجه إخفاقها وموقع كل منها وتأثيره في الحياة الثقافية والاجتماعية العربية المعاصرة والآفاق المستقبلية لأطروحاتها.

وفيما يتعلق بالهدف الثاني - إشكاليات الفكر العربي ومعوقات ازدهاره - فإن أبحاث المحور الثاني ستركز على دراسة التحولات الاقتصادية والاجتماعية

وانعكاساتها الفكرية، والإشكاليات المتعلقة بالسلطة في مختلف تجلياتها المجتمعية والسياسية، وحرية الفكر وحرية وصول الفكر إلى الجماهير، والطابع النخبوي للفكر العربي، والعلاقة بين الفكر والواقع.

وأخيرا ستعالج أبحاث المحور الثالث، والمتعلقة باستشراف المستقبل، قضية «الفكر العربي والزمن»، أو موقع الفكر العربي الآن من مسيرة النهضة الأولى في مطلع القرن، وموقع الفكر العربي في ساحة الفكر العالمي المعاصر، ومحاولة الإجابة عن السؤال: أين نحن من عصر الثورة المعلوماتية الثانية والعولمة والمستجدات الاقتصادية والتكنولوجية والسياسية في العالم.

وقبل أن نترك القارئ لصفحات هذا العدد، والذي يضم نخبة مختارة من الدراسات النقدية والأدبية، نكرر له الوعد أن تواصل هذه المجلة - التي تابعت وواكبت على مدى خمسة وعشرين عاما أحداث العصر الفكرية والثقافية وخاصة واقع الفكر العربي - سعيها إلى مزيد من الإسهام في مسيرة النهوض الإبداعي للفكر العربي، وإلى أن تكون أداة رئيسية من أدوات ازدهاره مع دخول العالم - وعالمنا العربي معه - إلى القرن الحادي والعشرين.

**رئيس التحرير**



---

# في الأدب والنقد

في الأدب والنقد

# عالم الفكر

تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

المجلد الخامس والعشرون - العدد الثالث - يناير/ مارس ١٩٩٧

## في الأدب والنقد

- في الدلالات الميتافيزيقية للرموز الثقافية.
- الخلفية الفلسفية في النظرية التوليدية.
- الانزياح وتعدد المصطلح.
- السيميوطيقا والعنونة.
- علاقة النص بصاحبه.
- بواكير النقد الأدبي في الخليج العربي.
- التحليل النفسي للشعر بين الوسيلة والغاية.
- نظرية الشعر في اليونان القديمة.
- القومية في شعر الأخطل الصغير.
- البيئة الطبيعية في الشعر الجاهلي.
- المقاومة في شعر ثيساربايخو.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.



# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

هي في نظر القرآن حصيلة لقرار إلهي مقصود يتمثل في تفضيل الإنسان بمحض اختيار الإله عن بقية الكائنات الأخرى في هذا الكون المترامي الأطراف . . . وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً» (٢٢).

فالاختلاف في مسألة الإنسان اختلاف جذري هنا . فبينما يؤكد القرآن على التدخل السماوي المباشر في تشكيل طبيعة المخلوق الإنساني من بداية عملية الخلق نجنح الرؤية الداروينية إلى استعمال مؤثرات حركة التطور الطبيعية كعوامل حاسمة في رسم شكل ومضمون الإنسان كما عرف عبر العصور. وبذلك تجرد الداروينية صيرورة الإنسان من تأثيرات عالم الماورائيات، وتقطع بحدة روابط الإنسان بالسماء. فالإنسان من هذا المنظور التطوري لا يمكن فهمه بموضوعية علمية. إلا إذا درس بعيداً عن المؤثرات الميتافيزيقية واللاموضوعية. ومن هذا المنطلق تزايد عدد المدارس الفكرية التي تأثرت بشديد التأثير في دراستها للإنسان ومجتمعه بالرؤية الداروينية.

فكانت المادية التاريخية والرضعية Posidivism والتجريبية Empiricism من بين المدارس الفكرية الغربية التي شهدتها الساحة الثقافية والعلمية في القرنين التاسع عشر والعشرين في المجتمعات الغربية على الخصوص. فكأن خلق الإنسان شديد الارتباط بعالم الماورائيات في النص القرآني.

فإن الأمر لا يختلف بالنسبة لتمييز الإنسان عن غيره من الكائنات. فعملية تكريم الإنسان عملية مقصودة أيضاً ميتافيزيقياً. فالإنسان سيد كائنات هذا العالم في البداية والنهاية. فتكريم الإنسان هو من نوع الأمور المبدئية A'priori التي قررت من عل يوم استقبل الكون جنس الإنسان.

ولكن وقع هذا التكريم بمعطيات ذات طبيعة إلهية (ميتافيزيقية) جعلت الإنسان محل احترام وتقديس حتى من طرف الملائكة أنفسهم «إذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين» (٢٣). فسجدوا للملائكة لأدم ماكانوا ليطالبوا به لولا حصول نفخ الروح الإلهية في الإنسان. وبعبارة أخرى فإن الإنسان بومضة هذه الروح في طبيعته أصبح فعلاً خليفة الله في الكون: أي العنصر الثاني في الأهمية بعد الإله الخالق. وهنا ينكشف بالضبط عمق الجانب الميتافيزيقي للإنسان في التصور الإسلامي. فريادة الإنسان وسيادته في هذا الكون تعود في البداية والنهاية إلى تلقية بمفرده قدرات متميزة من الروح الإلهية. ومن ثم فهو أكثر المخلوقات ترشحاً لأخذ المسؤولية الكبرى في هذا الكون «إن عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً» (٢٤) لأنه بسبب تلك النفخة الروحية السهاوية اكتسب صفة التشابه النسبي مع الإله الأمر الذي يفسر شرعية تولي الإنسان للخلافة من بين كل الكائنات الأخرى.

### تاسعاً: دور المقدرة الرموزية في فهم الإنسان

وردت مفردة الروح في القرآن بمعان مختلفة، ونقتصر هنا على التعرض إلى معنيين من معانيها كما جاءت في القرآن لنبرز أن دراسة الإنسان ومحاولة فهم طبيعته تبقى ناقصة ومشوّهة إن أسقطت الجوانب الميتافيزيقية ودلالاتها من أي اعتبار في التأثير على كينونة الإنسان وسلوكه. فالروح أتت في القرآن بمعنى:

(١) ما به حياة الأنفس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.



# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون»<sup>(٥١)</sup>. «صم بكم عمي فهم لا يعقلون»<sup>(٥٢)</sup> أو في ضيغتها الحافزة على تسخير الإنسان لطاقاته العقلية «كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون»<sup>(٥٣)</sup> كذلك يحبي الله الموتى ويريكهم آياته لعلكم تعقلون»<sup>(٥٤)</sup>. فمواهب العقل واستغلالها كما ينبغي تقرب الإنسان وتتقدم به من ناحية إلى الدرجات العليا في المعرفة ومسئولية الخلافة على الأرض وعلاقته بالعالم السماوي . ومن ناحية أخرى فإن الاستنكاف من استعمال العقل يؤدي بالإنسان إلى الجهالة وإلى التردى إلى مصاف الدواب الصم البكم وبالتالي إلى ضياع مقاليد الخلافة من حوزته وتشويه علاقته بالعالم العلوي . وهكذا يتضح من المنظور القرآني مدى التشويه الذي تنطوي عليه ابستمولوجية ومنهجية العلوم الوضعية التي تدرس الإنسان كحيوان : أي كائن بلا عقل .

فبينما يشدد القرآن على مركزية العقل في تركيبة الإنسان، ويعتبر تهميش دور العقل من طرف البشر مسألة جد خطيرة يذهب البعض من علماء السلوك الوضعيون إلى تجرييد الإنسان من مقدراته الرموزية (العقل) فيدرسونه كمجرد حيوان كما أشرنا سابقاً . فالعناية بالهامشي عوضاً عن اللب ، وبالجوانب الثانوية بدلاً عن الجوانب الأولية ، وبمحيط الشيء عوضاً عن مركزه تؤدي حتماً على مستوى دراسة السلوك البشري إلى رصيد معرفي هزيل . وليس هناك من أمل في إصلاح الوضع بالنسبة لإنشاء معرفة تتمتع بمصداقية عالية في ميدان علمنة أطر التفسير والتنظير للسلوك الإنساني الفردي والجماعي — بدون إحداث تغيير جوهري في رؤية العلوم السلوكية الحديثة لطبيعة الإنسان — ذلك يقتضي تصوراً جديداً يعطي طاقات الإنسان الرموزية الأولية في فهم حركية سلوك الإنسان .

ومن منطق الصدارة التي يحتلها العقل في كينونة الإنسان تأتي دعوة القرآن الملحة لكي لا يفرط الإنسان — وبكل شرعية — من فرص التعامل مع عالم الرموز إذ تبعاً لدرجة ونوعية تسخيره لذلك ينحط أو يعلو شأنه . فيوجه القرآن الإنسان إلى إعطاء الأسبقية — من عالم الرموز الهائل والمعقد — إلى العلم والمعرفة كنشاطين رموزيين يختص بهما الكائن البشري . فأول آية في القرآن لأول سورة منه يأتي فيها الخطاب الموجه للنبي (مثل الإنسانية) بصيغة الأمر «اقرأ» الداعية بوجوب امتلاك الأدوات الرموزية الأساسية (القراءة والكتابة) (علم الإنسان بالقلم) لكسب رهان ناحية العلم . فحولي ثمن آيات القرآن (٧٥٠ آية) تدعو إلى العلم وإلى دراسة الطبيعة والتأمل والتفكير في ملكوت هذا الكون المترامي الأطراف . فالعلماء في التصور الإسلامي هم بحق ورثة الأنبياء . فرسالة أصحاب الرسالات السماوية تتمثل في تبيان الأمور للناس وهدايتهم إلى ما فيه خيرهم وفقاً لمعطيات وسنن هذا الكون . فمسئولية العلماء تتشابه كثيراً بهذا الشأن مع تلك التي أنيطت بعهدة الرسل . فالعلماء مطالبون بالتفقه في الإنسان وفي المجتمع وفي بقية ظواهر هذا الكون قصد فك ألغازه وتمكين الإنسان من الاسترشاد برصيدهم المعرفي والعلمي لإقامة حياة أفضل . ومن ثم فمسئولية العلماء ليست مسئولية مربوطة بزمن معين وإنما هي مسئولية أذلية لا تعترف بعوامل الزمن والمكان والعرق والدين . . إنها مسئولية مطلقة بالنسبة لهذا الكائن العاقل . إذ أن ألغاز هذا الكون لا يكاد يكتشف منها البعض حتى تثير هذه الاكتشافات نفسها ألغازاً أخرى . فضخامة حجم الألغاز ونوعيتها واستمرارية تولدها وتشعباتها تفسر شرعية إعطاء القرآن الأهمية القصوى للعلم وأدوات اكتسابه الرموزية . فيصبح مدى المسك بزمام العلم هو الفاصل الحاسم بين الحضارات والمجتمعات والأفراد « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ »<sup>(٥٥)</sup>.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذوايدي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذوايدي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

وخير مثال يشخص ذلك هي الأنظمة السياسية في أوروبا الشرقية . فما شهدته النصف الثاني من عام ١٩٨٩ في المجتمعات الاشتراكية لأوروبا الشرقية من تغييرات في الأنظمة السياسية مؤشر واضح على مدى أهمية عمق الطبيعة الرموزية للإنسان . فالمناداة بديمقراطية الحكم بين الفئات المختلفة لهذه الشعوب كانت تعني إنهاء حالة الحصار والكبت للحرية كرمز وقيمة متجذرة في التركيبة البشرية . فممارسات هذه الأنظمة تتناقض مع مبدأ أن الإنسان كائن رموزي في الأساس . أي أنه كائن لا يقبل سحق مهاراته وإمكانياته الرموزية طال الزمن أو قصر فحرية الكلمة وحرية الفكر تتمتع بمدلولات قدسية عند الإنسان كما رأينا . إن الرموز كما أشرنا هي مصدر التنوع والاختلاف بين الأفراد والجماعات البشرية . فقيام الأنظمة السياسية الاشتراكية المعاصرة بمنع حرية الإضراب في المعامل والتنقل خارج الوطن وتكوين الأحزاب وحرية الكلمة الناقدة والفكر المعارض أو المحتج . . كلها ممارسات عملية تتعارض مع المؤهلات التي يتحلّى ويتميز بها الإنسان عن عالم الدواب وعالم الآلات ذات الذكاء الاصطناعي . فإقصاء الإنسان من ممارسات حريته تؤول به في النهاية إلى تشابه كبير مع عالمي الدواب والآلات . وهنا يتضح بالتحديد الأساس الأيديولوجي ، لا الأساس العلمي ، لمقولة المادية التاريخية التي تتبناها النظم الشيوعية والاشتراكية في فهمها للإنسان . فهذه النظم تعتقد أن الإنسان هو في المقام الأول كائن مادي اقتصادي بالطبع<sup>(٥٩)</sup> . وأن ما عدا ذلك من الطبيعة البشرية فهو إما ثانوي من حيث الأهمية أو باطل من الأساس . وهذا التصور المادي للكائن الإنساني أدى إلى تهميش أو الإلغاء الكامل لدور عالم الرموز في التأثير في تشكيل السلوك البشري عند المفكرين الماركسيين الماديين المتصلين . وهي رؤية تقلب الأمور رأساً على عقب بالنسبة لمقولتنا الرئيسية في هذه الدراسة . الكائن البشري عندنا هو كائن رموزي بالطبع أي أن دور ماسميناه بعالم الرموز من حيث فهم الإنسان والتأثير على سلوكه دور رئيسي يتمتع بثقل لا يضاهيه في النهاية أي عنصر آخر يشارك في التركيبة البشرية . وهذا ما يفسر في رأينا منطق السلوكيات الفردية والأحداث الجماعية التي أثبتت قدرتها على تحدي المعطيات المادية القاهرة . فالقاء العديد من قادة العالم الثالث في السجون في العصر الحديث لم يمنعهم من الكفاح والصمود أمام القوى المادية العاتية والضحمة للمستعمر . وليس هناك من تفسير علمي لفوزهم في النهاية - رغم محدودية إمكانياتهم المادية - على المحتل أو المستعمر سوى تدرعهم بالسلاح المعنوي أو بسلاح عالم الرموز وفقاً لاصطلاحنا في هذا البحث . وما الانتفاضات الشعبية ضد الطغاة في القديم والحديث إلا تصديق لمدى أهمية الذخيرة التي يمكن أن يمد بها عالم الرموز الجنس البشري بحيث تصبح طاقات هذا الأخير تحدياً لأضخم قوة عسكرية يمكن أن يملكها الطاغية أو المستعمر<sup>(٦٠)</sup> ففوة الرموز أو القوة المعنوية هي قوة هائلة لا يكاد يقف أمام جبروتها أي شيء مادي مهما كانت طبيعته القاهرة فعنفوان هذه الطاقة التي يستلهمها الإنسان من عالم الرموز تستمد قوتها من عالم السماء لامن العالم المحسوس للإنسان . ومن هنا يأتي المدلول الميتافيزيقي لقيم الحرية والعدالة والمساواة . . كرموز قادرة على شحن الأفراد والجماعات بطاقات ماردة جبارة تشبه إلى حدّ القوة الإلهية الضاربة التي لا يستطيع أن يعترض سبيلها معترض . وهذا ما يوحى به بيت الشاعر العربي المعروف أبي القاسم الشابي :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

ظاهرة الغزو الثقافي يتطلبان طرحا يحدد ويحصر بأكثر ما يمكن من الدقة الأسس الرئيسية للظاهرة المدروسة . فاستعمالنا لعبارة «عالم الرموز» عند الإنسان تندرج في رأينا في محاولة علمنه الفضاء الرموزي عند الإنسان . ويتمثل ذلك في إبراز:

(١) ان الإنسان يمتاز عن غيره من الكائنات الأخرى بعالم رموز ضخم وبقدرة فائقة في استعماله لتلك الإمكانيات والطاقت الرموزية . وهذا ما جعلنا نطلق عليه بأنه كائن رموزي أو ثقافي بالطبع أولا وقبل كل شيء .

(٢) إن مسألة ضخامة حجم الرموز عند الإنسان ليست قضية شكلية أو كمية فحسب وإنما هي أيضا نوعية أو كيميائية . إنها عمق جوهر الإنسان ذاته . إنها روح هذا الكائن العاقل . فعلينا يتوقف إذن فك الغاز طبيعة الإنسان . وبدون إعطائها الأولوية والمركزية في دراستنا العلمية للإنسان لا يمكن لجهود علماء النفس والاجتماع أن تتقدم في إرساء رصيد معرفي يتصف بالمصداقية العلمية المطلوبة لفهم السلوك الفردي والجماعي للإنسان .

فمقولة «الغزو الثقافي للأفراد والجماعات» هو أخطر أصناف الغزو جميعاً» يصبح لها إذن مدلول أكثر دقة وتعمقا في طبيعة الأشياء بالنسبة لظاهرة الغزو الثقافي التي تحدث بين الشعوب . إذ ان هناك فرقا في تقييم انعكاسات هذه الظاهرة على الأفراد والجماعات بين من يعتبر من جهة أن عالم الرموز يمثل مركز الثقل في تركيبة الإنسان وبين من يهتمش دور عالم الرموز في فهم الإنسان من جهة أخرى . فالغزو الثقافي عند الأول سوف ينظر إليه على أنه أخطر ما يمكن أن يتعرض له الإنسان ككائن ذي خصوصية ثقافية . فالأمر يبعث على الفزع المفرط عند هذا الفريق لأن الغزو الثقافي يعني المس بأهم شيء يميز به الإنسان وأعمق شيء في كينونته . فانتشار لغة وفكر وقيم . . . أجنبية في مجتمع ما على حساب لغة ، وفكر وقيم . . . المجتمع نفسه تمثل عملية غزو للعقول أو للروح بمعناها القرآني كما سبقت الإشارة إليها في آية . . . . فلماذا نفخت فيه من روعي . . . .

أما بالنسبة للفريق الثاني فلا حاجة للانزعاج من كيد آثار الغزو الثقافي فالأولى عنده أن يجمع الناس أمرهم ويقفوا بالمرصاد لأخطار الغزو الاقتصادي وما يصحبه من استغلال لموارد البلاد التي تسقط ضحية السيطرة الأجنبية على حركية اقتصادها<sup>(١٢)</sup> .

وعلى مستوى ثان فالمهتمون بمسألة الغزو الثقافي من المفكرين والأكاديميين لا يكاد يجد المرء في بحوثهم وتحليلهم أي إشارة إلى ما أطلقنا عليه هنا بالجوانب الميتافيزيقية للرموز الثقافية عند الإنسان . فاللغة ، كمثال ، ليست أداة تبادل التخاطب مع «الآخر» فقط في هذا العالم الحسي المحكوم بقيود الزمان والمكان . ففي الديانات التي عرفت البشرية عبر تاريخها الطويل استعمل الإنسان اللغة في تضرعاته وإبتهالاته إلى الإله . فاللغة هي أحد الرموز الرئيسية التي يلود إليها الكائن الإنساني للاتصال بالعالم السرمدى . وبواسطة اللغة المكتوبة على الخصوص استطاع الإنسان أن يصون فكره من التلاشي والاندثار رغم غوائل الزمان والمكان . فاللغة تمكن فكر الإنسان من حظوة كسب رهان نوع من الأزلية . وهكذا يشترك مع الإله في اكتساب شيء من صفة الخلود التي ينفرد بها الإله في معناها المطلق . فمن وجهة النظر العلمية الوضعية positivist الحديثة



# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

حزب سياسي هي تطلعات تجد استجابات كبيرة عند الأفراد، فالديمقراطية بمعناها العام والشامل كانت بالتأكيد هي العامل الحاسم الذي أتى على الأنظمة السياسية الاستبدادية في معظم مجتمعات أوروبا الشرقية في النصف الأخير من عام ١٩٨٩. إن تلك التحولات السريعة والمتلاحقة لا يمكن إلا أن تعزز النموذج الغربي للحدثة شرقاً وغرباً. وبالتالي فإن زحفه واستمرار انتشار رموزه خارج الفضاء الغربي يكتسب اليوم انتعاشة حاسمة تضمن له الريادة على غيره من أنظمة الحدثة الأخرى في الوقت الراهن وعلى الأمد المتوسط على الأقل.

أما ظاهرة الانصهار الثقافي الكامل أو شبه الكامل في رموز ثقافة (الأخر) فهي ظاهرة نادر وقوعها بين الشعوب في القديم والحديث. فعلى مستوى الوطن العربي تعرض المجتمع الجزائري إلى أشرس هجوم ثقافي استعماري استيطاني تمثل أساساً في محاولة المستعمر الفرنسي نشر لغته وثقافته بين الفئات الجزائرية من جهة وتقليص استعمال اللغة العربية وثقافتها بين النخب الجزائرية على الخصوص من جهة أخرى، ولكن فشلت سلطة الاحتلال الفرنسية إلى حد كبير في نشر رموزها الدينية (الديانة المسيحية) حتى بين المثقفين الجزائريين الفرنسيين لغة وثقافة. ومن ثم لم يكتمل النصاب بالنسبة لتوفر الشروط الضرورية لحدوث الانصهار الثقافي الكامل أو شبه الكامل للمجتمع الجزائري بالمجتمع الفرنسي. فرموز الدين الإسلامي ورموز التقاليد الشعبية الجزائرية لم تفلح في زحزحتها البعثات الفرنسية ذات الطابع الديني على الخصوص. بل قد تكون قد زادت صموداً خاصة عندما تكون المجابهة على أشدها مع المحتل الفرنسي. والسؤال الذي ينبغي طرحه هنا هو لماذا كانت الرموز الدينية الإسلامية للشعب الجزائري أكثر مقاومة لانتشار رموز الدين المسيحي من مقاومة اللغة العربية وثقافتها لانتشار اللغة الفرنسية وثقافتها بالمجتمع الجزائري؟

الإجابة المختصرة على ذلك تتمثل في :

١- إن احتكاك الدينين المسيحي والإسلامي عبر التاريخ أثبت أن عدد المسيحيين الذين دخلوا الإسلام أكثر بكثير من عدد المسلمين الذين دخلوا الديانة المسيحية. وهذا يعني أن جاذبية رموز الدين الإسلامي لها الغلبة الساحقة في عملية التنافس بين هذين الدينين، ومن ثم فتاريخ احتكاك الدين الإسلامي بالدين المسيحي أثبت أن المسلم عموماً لا يصبح مسيحياً سواء كان احتكاكه بالمسيحية في ظروف استعمارية أو في ظروف عادية. أما دخول المسيحيين للإسلام فقد شمل المستعمرين أنفسهم وعدداً كبيراً من المفكرين المسيحيين الذين دخلوا الإسلام وهم في عقر دارهم، إنها ظاهرة معروفة في القديم والحديث على السواء. كل ذلك يدل على أن رموز الدين الإسلامي تعطي من ناحية المسلم مناعة ضد تبني رموز ديانات أخرى وهي من ناحية أخرى تملك جاذبية قادرة على استقطاب غير المسلمين إلى الإسلام.

٢- قد يكون عدم دخول الجزائريين في المسيحية أثناء الفترة الاستعمارية الفرنسية راجعاً إلى كون أن الرموز الدينية تجلدر في عمق شخصية الإنسان أكثر بكثير من تجلدر الرموز الثقافية الأخرى فيها، ومن ثم فزحزحتها من عمق كينونة الفرد ليست بالعملية الهينة. فعلى مستوى أول فالرموز الدينية ذات طبيعة روحية ميتافيزيقية، وتدل الملاحظات التاريخية أن تغيير الناس لدياناتهم يتم داخل الدائرة الدينية: أي من دين إلى دين، وهو مؤشر على أن الإنسان ديني بالطبع، أي أنه وثيق الارتباط بعالم الروحانيات والميتافيزيقيا. فدخول



# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

عندهم لغة التعامل اليومي ولغة الثقافة . فتجذر الرموز الدينية الإسلامية ورموز اللغة العربية وثقافتها في الشخصية القاعدية<sup>(٧٧)</sup> لإنسان ما بين الخليج والمحيط هو الشرط الأساسي لإمكانية بروز ظاهرة الانصهار الثقافي الكامل أو شبه الكامل بين المجتمع العربي الإسلامي الأم بالجزيرة العربية والمجتمعات الأخرى المحيطة به التي أسلمت وعرب لسانها وثقافتها .

إن مفهومنا لـ «عالم الرموز» يساعد كثيراً على تشخيص آليات عملية الانصهار الثقافي العربي الإسلامي الذي عرفته منطقة ما بين الخليج والمحيط بعد مجيء الدعوة الإسلامية . فالرموز - كما أشرنا - ذات مركزية أولى في تركيبة طبيعة الإنسان . إن الاستيلاء عليها هو استيلاء على أعمق ما في الإنسان . إنها روحه وهذا ما تم فعلاً إلى حد كبير على أيدي الفاتحين العرب والمسلمين فيما يدعى اليوم بالعالم العربي . فإسلام معظم فئات هذه الشعوب يعني تبنيهم لرموز العقيدة الإسلامية وتحليلهم عن رموز دياناتهم السابقة . وتعريب لسان أغلبية سكان تلك الأقطار المفتوحة يعني تهميش ثم انقراض اللغات واللهجات الأخرى أمام زحف لغة القرآن . وكنتيجة لذلك أصبحت سطوة الثقافة العربية الإسلامية هي المسيطرة لايدافع عنها العربي المسلم الأصيل فحسب بل يغار عليها كل من أسلم وتعرب . وإذا بدّل دين قوم ولغتهم وفكرهم وثقافتهم ، وتقاليدهم . . . بدين «الأخر» ولغته وفكره وثقافته وتقاليده . . . فإنه لم يبق ما يفصلهم عن بعضهم سوى الملامح العرقية الطبيعية . وأثبتت التجربة العربية الإسلامية أن انصهار أجناس مختلفة في بوتقة الحضارة العربية الإسلامية كان نتيجة شبه حتمية لاعتناق تلك الأجناس ، وبتحمس كبير في كثير من الأحيان لرموز الدعوة الإسلامية ولغتها وثقافتها<sup>(٧٨)</sup> . وليس من المبالغة القول بأن الوطن العربي كظاهرة ثقافية متجانسة ظاهرة فريدة من نوعها في القديم والحديث من حيث العوامل التي أدت إلى تجسيده . فالدعوة المسيحية نشرت رموز رسالتها الدينية في مجتمعات المعمورة شرقاً وغرباً وهي اليوم أكثر الديانات انتشاراً في العالم ، ويرجع تضامن المسيحيين فيما بينهم أساساً إلى الرموز الدينية التي يشتركون فيها . فمجتمعات أوروبا هي مجتمعات مسيحية في أغليبتها ولكن وحدتها الثقافية تبقى بعيدة عن متانة التضامن الثقافي الموجود بين المجتمعات العربية . والسبب في ذلك يتّـن . فبينما انتشر الإسلام بين الخليج والمحيط كرموز دينية وكرمز ثقافية ولغوية خرجت المسيحية كدعوة دينية أولاً وقبل كل شيء . فدخلت أوروبا - مثلاً - المسيحية وأبقت على لغاتها ولهجاتها . إذ لم تكن للمسيحية لغة وحي كما كان الشأن للإسلام مع لغة القرآن . وتعبير العلوم الاجتماعية الحديثة يعد نشر الإسلام للغة الضاد خاصة في منطقة ما بين المحيط والخليج متغيراً (عاملاً) حاسماً في فهم وتفسير الفرق بين قوة التضامن الثقافي العضوي بين أقطار الوطن العربي من ناحية وتنوع أو انقسامات الفضاءات الثقافية الأوروبية من ناحية أخرى . ففي الأول توفر شرطاً (الرموز الدينية والرموز اللغوية الثقافية) حصول ما يمكن أن نطلق عليه بالتطابق الكامل أو شبه الكامل على مستوى الخريطة الثقافية العامة . أما في حالة أوروبا فلا يوجد إلا شرط يتيم يتمثل في اشتراك أهلها في اعتناق رموز الديانة المسيحية ، وهو شرط يسمح أكثر بالحديث عن التشابه الثقافي بين تلك المجتمعات لاالتطابق الثقافي الكامل أو شبه الكامل بينها . وفي الفترة المعاصرة كانت الحملة الاستعمارية الغربية على معظم ما يسمى اليوم بالعالم الثالث قصد نهب خيرات الطبيعة وتفقير رموزه الثقافية ، وكانت جل مجتمعات الوطن العربي من بين ضحاياه . وكما أشرنا ، فإن القطر الجزائري تعرض إلى أخطر سلب ثقافي استعماري عرفه العالم العربي المعاصر . ورغم ذلك فإن الغزو الثقافي الفرنسي للجزائر فشل في غزو

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

---

# اللفية الفلففة

## فف النظرفة الفولففة

بنكفران امعمء الطفب\*

إن الفساؤل عن المفااء الفلففة للسانفاء الفولففة فففل على قضافا مفعءة؁ فرفبف بمفالفاء معرففة مفعوءة . من هءة المفالفاء : نظرفة المعرفة الكلاسلكة والموقف العقلافل على وفه الففصوف؁ الالففمفولوجفا المفاصرة وخصوصا كارل فوفر (Karl Popper)؁ علم النفس المعرفف بالمعنى الءف ففءاء به عنء ففومسكف؁ المنطق الءفء كمصءر للنمءفة والصورة أو بفارة أوف؁ مفااء مفهوم النموء (Model) .

لن ففناول فف هءة الءراسة إلا الفواب المفعلة بنظرفة المعرفة؁ والعقلانفة النقءفة؁ والمقاربة النفسفة للغة؁ على أساس أن نفف مفهوم النموء بفراسة مسفعلة .

لقد انصبهرت المفالفاء المعرففة السابقة داخل النسق الفولففف؁ لفشكل ثورة معرففة فف مفءانف الفكر واللغة؁ لأن النظرفة الفولففة مشروع فسمى إلى فففق بعض الففءم ففهم الطبفة البشرفة؁ ونظرفة ففءوها مثل هءا الأمل؁ لا فمكن أن فكون إلا نظرفة قاءرة على النقء والفافوز المسفمرفن؁ أسئلة قءفمة فف إطار فءفء؁ وأسئلة ءفءة مبفنة على منفزازاء العلوم المفاصرة؁ وبهءا المعنى فمكن أن فقال : إن الفولففة انفعال من لافقفة إلى لافقفة أخرى؁ لأنها لا فعرف المفعلفاء .

---

\* أسفاذ بكلفة الآءاب - المءمءفة - المغرب .

## عالم الفكر

يمكن رد الإشكالية التوليدية إلى سؤالين رئيسيين « يلخصان خلفيتها الفلسفية ، أولهما : كيف يتأتى للكائنات البشرية أن تصل إلى معارف متعددة ، على الرغم من اتصالها المحدد بالعالم ؟ وهو نفس السؤال الذي أعاد صياغته (Bertrand Russell) في كتابه المعرفة البشرية (Human Knowledge) كالآتي : « ما الذي يجعل المخلوقات البشرية ، التي لها اتصال قصير وشخصي ومحدود بالعالم ، قادرة مع هذا ، على معرفة الكم الذي تعرفه ؟<sup>(١)</sup> . وثاني السؤالين : « ماذا يمكن لدراسة اللغة أن تساهم به في فهمنا للطبيعة البشرية ؟<sup>(٢)</sup> من هذين السؤالين انطلقت الأسئلة الفرعية التي أفرزت المشروع التوليدي ، طرح السؤال الأول في إطار نظرية المعرفة الكلاسيكية ، أو ما عرف بمشكل أفلاطون ، وطرح السؤال الثاني في إطار المهدف من دراسة اللغة ، ودورها في نظرية المعرفة . وهذا التساؤل احتلت اللغة مكان الصدارة في نظرية المعرفة العلمية عند تشومسكي .

كان الفكر الفلسفي القديم يقوم على أساس الاعتقاد بالفصل بين الفلسفة والعلم ، والتمييز بينهما ، وكان النسق العلمي مستقل عن النسق الفلسفي ، إلا أن تشومسكي يرفض هذا الفصل ، ويرى أنه فصل لا يدعمه تاريخ الفلسفة نفسه : « لا أقيم فارقاً صارماً بين العلم والفلسفة ، فالفارق بينهما لم يبتدع إلا في الماضي القريب ، وذلك بغض النظر عما إذا كان لديك مايسوغه أولاً<sup>(٣)</sup> يستدل تشومسكي على بطلان التمييز بين العلم والفلسفة بأدله ، منها : أن ديكارت كان يعتبر الفلسفة دراسة للأسس التصورية للعلم ، أو الحدود القصوى للتأملات العلمية ، كما أن دافيد هيوم (HUM) يعتبر مشروعه الفلسفي ، شديد الصلة بمشروع نيوتن (Newton) ، ولذلك كانت العلوم الطبيعية تسمى بالفلسفة العلمية ، كما كان مصطلح النحو الفلسفي يطلق على النحو العلمي . وهذا يدل على عدم صحة الاعتقاد الذي ترسخ في تاريخ الفكر الغربي في مرحلة متأخرة نسبياً ، ذلك الاعتقاد الذي يقوم على تصور الفصل بين العلم والفلسفة .

يبدو أن تشومسكي يرمي من وراء رفض التمييز بين الفلسفة والعلم إلى إثبات إمكان إخضاع الظاهرة الفلسفية للدراسة العلمية ، بمعنى إخضاع اللغة والفكر للدراسة العلمية ، وإلحاقها بالعلوم الطبيعية ، وهي المقاربة الممكنة والوحيدة التي تعزز الأمل في الوصول إلى بعض النتائج الإيجابية فيما يخص البنية التصورية ، أو طبيعة الإدراك عند الإنسان .

### مشكل أفلاطون

لكي يجيب تشومسكي عن السؤال المتعلق بإشكالية المعرفة ، كان عليه أن يقوم بقراءة لتاريخ الفكر الفلسفي ، من اليونان إلى الفلسفة المعاصرة ، مروراً بالفلسفة الحديثة ، وهكذا ، نجد في كتاباته تحليلاً لمصادر المعرفة عند أرسطو وأفلاطون ، والعقلانية الديكارتية ، وتجريبية هيوم ، ونسبية كانط . وانسجاماً مع الموقف العقلاني الذي تبناه تشومسكي كإطار للتحليل ، نجد في كتاباته نقداً جذرياً للتجريبية في شتى ألوانها وأشكالها ، نكتفي في هذا السياق ، بالحلول المقترحة لمشكل أفلاطون .

إذا كانت المخلوقات البشرية قد تمكنت من معرفة الكم الهائل الذي تعرفه ، على الرغم من اتصالها المحدود بالعالم ، فلأن العالم مبني (Structuré) بطريقة تمكن الفكر الإنساني من إدراك هذه البنية ، انطلاقاً من حالات فردية إلى النوع ، ثم الجنس لتصل إلى تعميمات أكبر . بهذه الطريقة يتأتى إدراك



## عالم الفكر

الكليات انطلاقاً من الجزئيات ، الانطلاق من الخاص إلى العام ، ومن الجزئي إلى الكلي ، يمثل جوهر الموقف الأرسطي من مشكل أفلاطون . إن أساس المعرفة السابق على الوجود ضرورة قبلية للتعلم ، وهكذا يمكن أن نتخيل بموجب فرضية ميتافيزيقية قوية بأن الفكر الإنساني مكون بطريقة يستطيع معها الوصول إلى نظام واسع من المعارف .<sup>(٤)</sup>

من المقاربات التي تمكن من اقتراح حل مبرر لمشكل أفلاطون ، مقارنة الموقف الأفلاطوني ، وهي مقارنة أكثر خصوصية من التقليد الأرسطي . إن الإنسان - في تصور أفلاطون - لا يكتسب معارف جديدة ، وإنما يعيد اكتشاف معارف معطاة قبلاً ، لأن طبيعة المعرفة قبلية ، ذلك هو موقف أفلاطون المنسجم مع نظريته المشهورة في المثل . وهكذا تضع المقاربة الأفلاطونية قاعدة التفسير على أساس الفكر ، لا على أساس بنية العالم ، كما هي في التقليد الأرسطي . إن قدرتنا المعرفية محددة بطرق الفهم والإدراك ، ومعرفتنا الفعلية تابعة لتجارب خاصة ، تثير جزءاً من النظام المعرفي الثاوي في فكرنا ، وإذا كانت المعرفة كذلك ، فهي فطرية ، وهذا هو الموقف الديكارتي الذي خصه تشومسكي بتحليل متميز في كتابه (اللسانيات الديكارتية) (La Linguistique cortésienne) .

لقد غدت القدرة المعرفية في العصر الحديث موضوع البحث ، لأن أطروحة أفلاطون القائمة على فطرية المعرفة ، أصبحت مقبولة عند الديكارتيين بشكل عام (Leibniz) و (Cudworth) ، لأن الفكر يمتلك قدرة معرفية فطرية (pouvoir cognitifinné) ، وهذه القدرة تثيرها الحواس ، لتنتج المبادئ والمفاهيم التي تكون معرفتنا كما قال ليبنتز Leibniz ، إن الكيانات المحسوسة نفسها كالضوء ، والألوان ، على سبيل المثال ، لا تعرف بأي شيء خارجي ، ولكنها تعرف بواسطة الأفكار التي ينتجها الفكر نفسه ، إن العين تبصر ، ولكن الفكر يستطيع أن يقارن ، وأن يحلل ، وأن يجرد العلاقات المختلفة ، كالسبب ، والسبب ، والتشابه ، والاختلاف ، والتناظر إلخ . . إن ماهية الأشياء القابلة للإدراك (Intellegibles) لا توجد إلا في الفكر نفسه ، كأفكار خاصة به ، وبواسطة هذه الأفكار الصميمة التي هي موضوعات أولية فصل إلى معرفة كل الأشياء الخارجية . وهذه الأشياء ليست إلا مجرد موضوعات ثانوية للمعرفة .<sup>(٥)</sup>

يحتل القرن السابع عشر مكانة خاصة في تاريخ الفكر ، لذلك وصفه تشومسكي بالعقري Le Siecle de genie ، ففي هذا القرن نوقش التراث العقلائي مناقشة مستفيضة ، ومن بين الأفكار التي نوقشت : المفاهيم الهندسية أو المفاهيم النسبية ، وهي المقولات التي تدخل في جميع الأشياء ومنها : الكل والجزء ، التشابه والمختلف ، المساواة واللامساواة ، وهذه المفاهيم ليست مجرد انطباعات ، وليست علامات مادية خارجية تنطبع على الفكر ، وإنما هي نشاط مفهومي خاص ، ينتج الفكر عندما يسجل الأشياء الخارجية ، وهكذا يفضي تحليل هذه الأفكار إلى المفهوم الكانطي أي : ملائمة الموضوعات لطريقتنا في المعرفة<sup>(٦)</sup> . Conformité des objets á notre mode de connaissance .

إذا كان الموقف العقلائي يقوم على رفض الأطروحة التجريبية التي ترى المعرفة امتداداً للخبرة الحسية ، فإن تشومسكي تبنى الإطار النظري العقلائي ، إلا أنه يرى أن عقلانية القرن السابع عشر وما قبله - إن كانت مقبولة في عمومها - فإنها تحتاج إلى تعديل يستفيد من منجزات العلوم الحديثة ، لتصبح عقلانية معاصرة ، وذلك بالمقارنة بين النمو الفيزيائي والنمو الذهني ، ودراسة طبيعة الإدراك عند الطفل ، فقد برهنت الدراسات المتأخرة أن نسق الرؤية في جزء كبير منه معد قبلياً ، حتى ولو كانت الحوافز التجريبية ضرورية لجعل هذا

## عالم الفكر

النسق يقوم بوظيفته ، وهكذا فنحو الرؤية (la grammaire de la vision) قابل لبعض المقارنة مع نحو اللغة ، لأن نحو الرؤية بدوره فطري في جزء كبير منه ، ويمكن أن يقال نفس الشيء عن النسق السمعي .  
إن نسق الرؤية كما برهنت على ذلك أعمال (Hubelwiesel) لا يمكن فهمه إلا بناء على قاعدته العصبية (La base Neurologique) ، وبمعنى آخر ، إن سلوك التعلم ناتج عن التعديل البنيوي الموظف بصورة قبلية .

إذا رجعنا إلى السؤال المطروح سابقا أي : مشكل أفلاطون ، على ضوء هذا التحليل ، أمكننا القول :  
إننا نعرف هذا الكم الهائل من المعارف - على الرغم من محدودية التجارب وقصر العمر - لأن معرفتنا بمعنى ما بيولوجية ، وأن تأويلنا للتجارب محدد بخصائصنا الذهنية ، وعلى هذا الأساس ، فلإننا نصل إلى المعرفة عندما تتكيف الأفكار الداخلية للفكر نفسه ، مع البنيات التي يبدعها هذا الفكر ، وبذلك يوظف تشومسكي مفهوم الفطرية في إطار جديد ، فيصبح مفهوما بيولوجيا يستمد تحديده من معطيات العلوم الطبيعية .

### اللغة والطبيعة البشرية

بعد تحليل مشكلة المعرفة ، أو مشكل أفلاطون ، نصل إلى السؤال الثاني المتعلق بدور دراسة اللغة في فهم الطبيعة البشرية . إن اللغة مرآة للفكر حسب التعبير الكلاسيكي ، وهي كذلك في تصور تشومسكي ، إلا أنها مرآة للفكر بمعنى عميق ، لأن دراسة اللغة تمكننا من اكتشاف المبادئ التجريدية التي تحكم بنيتها واستعمالها ، وهذه المبادئ قبلية حسب ضرورة بيولوجية ، وليست مجرد طارئ تاريخي ، كما تزعم التيارات التي لا ترى في الإنسان إلا مجرد حصيلة سلبية للشروط التاريخية أو الظروف الخارجية .

إن دراسة اللغة في التصور التوليدي تمنحنا بعض الأمل في الحصول على فهم ما للخصائص النوعية للذكاء الإنساني ، كما تمكننا من معرفة الضرورة البيولوجية ، وهذا ما يجعلنا نأمل في معرفة بعض الأشياء عن الطبيعة البشرية باعتبارها هدفا بعيدا للنظرية التوليدية . وبهذا المنحى بؤ تشومسكي اللغة مكان الصدارة في نظرية المعرفة ، قصد تجاوز المشاكل التي اعترضت نظرية المعرفة الكلاسيكية .

إن السبيل إلى مقارنة الطبيعة البشرية في التصور التوليدي هو دراسة الذكاء الإنساني ، وطبيعة الإدراك ، والعلاقة بين التجربة والأفكار الفطرية ، وباختصار ، دراسة القدرة المعرفية (La capacité cognitive) ، ودراسة البنيات التي تتحقق عبرها هذه القدرة ، واللغة هي الوسيلة الممكنة لتحديد هذه المفاهيم ، ولكي يتأتى لها أن تلعب هذا الدور ، يجب اعتبارها جزءا من علم النفس ، ولهذا السبب ، لا يفهم تشومسكي اللغة إلا كجزء من علم النفس الذي يعني بدراسة القدرات الإنسانية (Les capacités humaines) في سلوكها وتأويلها للتجربة .<sup>(٨)</sup> ولذلك لا يرى تشومسكي فائدة في التساؤل عن علاقة اللسانيات بعلم النفس . يقول في حوار مع ميتسورونا (Mitsouronot) : « من وجهة نظري لا يمكن الحديث عن العلاقة بين اللسانيات وعلم النفس ، لأن اللسانيات جزء من علم النفس ، ولا أستطيع أن أتصورها غير هذا التصور ».<sup>(٩)</sup>

إذا كانت اللسانيات هي الدراسة العلمية للغة ، وعلم النفس يدرس اكتساب اللغة واستعمالها ، فإن التمييز بين اللسانيات وعلم النفس لا معنى له في تصور تشومسكي ، لأن مادة ما (Discipline) ، لا يمكن أن تهتم باكتساب أو استعمال معرفة بدون الاهتمام بطبيعة هذه المعرفة . إن علم النفس الذي يقتصر على

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذوايدي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

يرى بوبر أنه لا يمكن الانتقال من الجزئي إلى الكلي، لأن القضية الجزئية تشير إلى ما يمكن ملاحظته مباشرة في قطاعات أو نقاط مخصوصة في الزمان والمكان، لأن الصورة العامة للقضية الكلية: «بالنسبة لكل مناطق الزمان والمكان من الصادق أن...»<sup>(١٦)</sup> عندما نسلم بأن القضية الجزئية صادقة في لحظة مخصوصة من الزمان في مكان معين، فإن صدق هذه القضية لا يسوغ لنا الانتقال إلى صدق القضية الكلية في جميع الأزمنة والأمكنة، وإذا سلمنا بصدق ذلك، نكون كمن يقيم علاقة مشابهة بين النهائي واللا نهائي، بين المحدود بزمان ومكان معينين واللا محدود غير المعين، لأن العلاقة بين القضية الجزئية والأخرى الكلية علاقة تماثل (Asymmetry) ومن هنا يأتي فساد دعوى القائلين بتأسيس العلوم على التجربة والاستقراء.

إن الاعتبارات التي أدت ببوبر إلى رفض الاستقراء، هي نفس الاعتبارات التي جعلت تشومسكي يرفض الإجراء الاستقرائي، ويتبنى التصور الفرضي الاستنباطي، لأن الملاحظة والتجربة يمكن أن يقودا إلى قبول النظرية، كما يمكن أن يقودا إلى رفضها، كما في تشومسكي ٦٤، بل إن بوبر يذهب إلى أبعد من هذا ويرى أنه لا يمكن البرهنة على صحة النظرية، كل ما يمكن القيام به على أكثر تقدير هو البرهنة على بطلانها.<sup>(١٧)</sup>

إن النظرية العلمية تتكون من قضايا كلية، لا يمكن الوصول إليها انطلاقاً من قضايا جزئية عن طريق الاستقراء، لأن النظرية العلمية نظرية وصفية، وهذا ما يطلق عليه قوانين الطبيعة، ويفترض الوصول إلى هذه القوانين موقفاً مسبقاً تكون الطبيعة بموجبه متسمة بالاطراد، لأن كل نظرية علمية لأبد لها من افتراض تصور مسبق للميتافيزيقا، إلا أن هذا لا يعني أن العلم هو الميتافيزيقا، لأنها من طبيعة مختلفة، فالميتافيزيقا تلعب دوراً أساسياً في تأسيس العلوم، لكنها غير العلم، يقول بوبر: «إنه من الحقائق المسلم بها أن الأفكار الميتافيزيقية البحتة - ومن ثم الأفكار الفلسفية - ذات أهمية قصوى للكونزولوجيا، فمن طاليس إلى أينشتاين، ومن الذرية القديمة إلى تأملات ديكارت عن المادة، ومن تأملات جلبرت ونيوتن وليبتز وبسكوفيك عن القوى إلى تأملات فارداي واينشتاين عن مجالات القوى، أعضاء الأفكار العلمية معالم الطريق».<sup>(١٨)</sup>

إن للميتافيزيقا دوراً في انطلاقة العلم، وفي تغذية الخيال العلمي، ولكنها غير العلم، لأن العلم لا يقدم قضايا كلية غير قابلة للإبطال، أي لا يمكن إبطالها بقضايا جزئية، وكل قضية غير قابلة للإبطال فهي ميتافيزيقا، وليست علماً، لأن العلم يقدم قضايا يمكن تأكيدها في لحظة معينة من الزمان والمكان، ولا يمكن تأكيدها بصورة مطلقة، وعلى سبيل المثال، إذا أخذنا القضية الكلية (كل البجع أبيض) «tous les cygnes sont blancs»، فإن هذه القضية كتعميم، لا يمكن الوصول إليها انطلاقاً من قضايا جزئية، مهما كان تعددها، لأن النتيجة يمكن أن تكون سلبية فتقودنا مقدمات القضايا الجزئية إلى القول بأنه يوجد بعض البجع غير أبيض<sup>(١٩)</sup>. وهكذا فالاستقراء لا يقود إلى العلم، لأنه كما قال باخ (Bach): «ليس إلا مجرد طريقة أخرى لقول نفس الشيء» ولذلك فالاستقراء لا يأتي بجديد، وهذا معناه أن القضية الجزئية لا يمكن أن تبرر القضية الكلية، كل ما تفعله القضية الجزئية هو الإبطال (Falsification). هذه خلاصة رأي بوبر في النظرية العلمية لأن كل ما لا يقبل الإبطال في نظره فهو إما ميتافيزيقا، وإما علم كاذب (Pseudo-science) كالتحليل النفسي والماركسية لعجزهما على الوصول إلى قضايا كلية، فالتحليل النفسي يعطي تفسيراً للحالات الممكنة، وهي حالات لا يمكن إبطالها باللجوء إلى الملاحظة والتجربة، ولذلك فالتحليل النفسي ليس علماً، وكمثال على تفسيراته التي لا تقبل الإبطال، حالة رجل يغرق طفلاً ليقنته، وآخر يضحي بحياته في سبيل إنقاذ ذلك الطفل، فالرجل الأول

## عالم الفكر

يعاني من عقدة أوديب أي الكبت، والثاني قام بها قام به إرضاء لنزعة الغرور التي تتملكه، وكل هذه التفسيرات غير قابلة للإبطال في نظر بوبر، ولذلك فهي تفسيرات لا وصفية (Nom Descriptive)، وما ينطبق على التحليل النفسي ينطبق على الماركسية كذلك فهي بدورها تقدم قضايا غير قابلة للإبطال.

خصص بوبر كتاب بؤس التاريخانية (The poverty of historicism) للاستدلال على لا علمية الماركسية، وتفنيد دعاوى التاريخانيين فيما يخص الفرق بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، وبعد أن حلل رأي المذهب التاريخاني في الملاحظة والتجربة والتعميم، انتهى إلى استحالة إمكانية التنبؤ بمستقبل التاريخ الإنساني، لأن التاريخ يتقدم بنمو المعارف الإنسانية ونحن لا يمكن أن نتنبأ بكيفية نمو معارفنا. (٢٠)

يتسم نقد بوبر للتاريخانية بغلبة الطابع المنطقي، ولذلك يمكن حصر الجدل بينه وبين التاريخانيين في دائرة الصراع بين الاسميين والواقعيين، فبحكم نزعته الاسمية ينتقد ممثلي المذهب الماهوي، أو الواقعيين كأفلاطون وهيجل وميكافلي، إذ لا وجود في نظر بوبر للكليات أو الماهيات، لا وجود لمفاهيم الأمة والمجتمع والطبقة، لأنها مجرد مفاهيم أو تركيبات ذهنية، توظف لتبرير الاستبداد في المجتمع المغلق، ما يوجد في الواقع، هو الفرد الذي يجب أن يكون مبتدأ التحليل ومنتهاه في المجتمع المفتوح، ولذلك كان تفكيره في مسألة الدولة تفكيراً بالأخلاق ولم يستطع بالتالي أن يصل إلى نظرية الدولة. (٢١)

لقد كان تفكير بوبر - كتفكير الكانطيين الجدد - رد فعل ضد النازية، وضد الأنظمة الاستبدادية، لذلك رفض فلسفة التاريخ، وأنكر غائية الصيرورة التاريخية، وكل ذلك كان نتيجة تعريفه للعلم الموضوعي، وحصره العلم في منهجيته وهذه في طريقة التنفيذ، وهذا استنتاج مبني على منطلق العلوم، ولا تسانده خلاصات مؤرخي العلوم، (٢٢) ولذلك كان حكمه على التاريخانية كمن حكم على فساد شيء بفساد إحدى نتائجه.

يحصّر بوبر التاريخانية في الماركسية، ويحكم على الأولى من خلال الثانية، لا يرى في التاريخانية إلا أيديولوجيا لتأليه التاريخ، ولتبرير تسلط الأنظمة الكلية، ولذلك فالتاريخانية ضد المجتمع المفتوح وبصرف النظر عن سداد هذا النقد، فإنه يبدو مقبولا في سياق التطور التاريخي للمجتمعات الأوربية، باعتبارها مجتمعات استنفدت قيم الحداثة، وعاشت الليبرالية كمنظومة متكاملة، بطموحها وإخفاقها، أما في وضع كوضع المجتمع العربي حيث السيادة لقيم التقليد في الحياة الفردية والاجتماعية، فإن نقد التاريخانية لا يجد تربته الملائمة لانعدام شروطه الموضوعية، لا يمكن الحديث عن مابعد الحداثة في مجتمع لم يعيش الحداثة بعد، في مجتمع - في أحسن الأحوال - يستهلك العلم ولا يساهم في إبداعه، في مجتمع يكتفي فكره بالكلام الإنشائي عن الحداثة دون إدراك مغزاها وأبعادها، لهذه الأسباب لم تناقش علمية الماركسية أو لا علميتها في الفكر العربي خارج الاعتبارات الأيديولوجية، وهذه الأسباب أيضا لم تستطع اللسانيات أن تصبح من ثوابت الفكر العربي شأنها شأن جميع العلوم العصرية.

نصل الآن إلى جوهر المشكل الذي نروم تحليله، ويمكن صياغته في السؤال التالي: إذا كانت الماركسية ليست علما حسب تصور بوبر، وكان تشومسكي يتبنى نفس المفهوم، فهل معنى هذا أن تشومسكي يقول بدوره بلا علمية الماركسية والتاريخانية؟

## عالم الفكر

يصعب الربط بين آراء تشومسكي اللغوية وآرائه السياسية، إلا أن الصعوبة لا تعفي من المحاولة، فقد سألته متسو رونا (Mitso Ronat) عن العلاقة التي يقيمها على مستوى مناهج التحليل بين نشاطه العلمي ونشاطه السياسي، فأجاب: إذا كانت هناك علاقة فإنها على مستوى موغل في التجريد<sup>(٢٣)</sup>.

ليست هناك علاقة عميقة بين النقد الأيديولوجي ودراسة بنية اللغة، لأن خطورة مضمون ووظيفة الأيديولوجية تكمن في أنها لا تهتم بالوقائع كما هي، وإنما تهتم بتقديمها، وتأويلها بطريقة تجعلها ملائمة لمصالح النخبة (Lintelligentsia) وللمطالب الأيديولوجية<sup>(٢٤)</sup>.

التحليل الأيديولوجي تحليل تبريري عند تشومسكي، يذكرنا هذا النقد بالتحليل الماركسي، الأيديولوجيا كقناع، كتبرير لمصلحة طبقية، كما يذكرنا نقد تشومسكي للديمقراطية الحديثة<sup>(٢٥)</sup> بالنقد الماركسي للبرالية، أين يكون الخلاف بين ماركس وتشومسكي؟

إن الماركسية والمادية بوجه عام عزقلتا البحث في اللغة، هذا ما صرح به تشومسكي، إلا أنه يقصد بالماركسية جزءاً من التقليد الماركسي المتمثل في الماركسية اللينينية، وإن كان لا يجب استعمال مصطلحات مثل «الماركسية»، لأن مثل هذه الاستعمالات تنتمي في تقدير تشومسكي إلى تاريخ الأديان والعقائد،<sup>(٢٦)</sup> لسبب بسيط هو أن ماركس لم يكن إلهاً، بل كان إنساناً يصيب ويخطئ، بدليل أنه أثلّف كتابه «العالم الأول». بالإضافة إلى أننا لا نجد عنده إلا القليل من الأفكار التي لها صلة بدراسة اللغة، وقد سبق أن رأينا رفض تشومسكي التفسير الذي يقرن النحو الكلي بعلاقة الإنسان بالواقع الخارجي.

اعتقد ماركس أن ماهية الإنسان تتحقق في التاريخ باعتباره يعكس بنية العقل الإنساني، لذلك اقترح الحل المعروف الذي أفضى إلى طوباوية تحلم بإنسان حر غير مستلب، عار من التناقضات الاجتماعية، ورأى بوبر في فلسفة التاريخ ميتافيزيقاً لا يمكن إثباتها أو إبطالها، فهي على هذا الأساس ليست علماً. لا مناص في نظر بوبر من الاهتمام بالفرد، وتطبيق النظرية الاجتماعية تلو الأخرى إلى حين العثور على النظام الأمثل. وانتقد تشومسكي الديمقراطية الحديثة لأن الديمقراطية الحقبة في نظره، لا تجعل النخبة وصية على المجتمع، ووظيفتها تنحصر في تكيف الناس للمصادقة على القرارات، بل الديمقراطية هي أن يشعر الناس بقدرتهم على تنظيم شؤونهم بدون وصاية، وهذا معناه الإيمان بإبداعية الإنسان وطابعه الخلاق، لهذا رفض تشومسكي علم النفس التجريبي الذي جعل الإنسان أسير الحتمية الخارجية كما سبق.

إن تحقيق إنسانية الإنسان تتوقف على تنظيم اجتماعي لم يتحقق بعد، يعترف للإنسان بطابعه المبدع الذي يميزه عن باقي الكائنات، لكن المشكل في نظر تشومسكي - على ما يبدو - يكمن في فهم هذه الإبداعية، يكمن في نهاية التحليل في فهم الطبيعة البشرية، ودراسة بنية اللغة تفتح بعض الأمل لفهم هذه الطبيعة، وكأن الفلسفات السابقة ركزت على الإنسان في بعده الخارجي (التاريخي والاجتماعي) وأهملت البعد الداخلي، وتلك إشكالية التوليدية.

عندما نقول إن هدف التوليدية هو الوصول إلى فهم ما للطبيعة البشرية، فإن هذا معناه السعي إلى الوصول إلى فهم الفكر واللغة والاكتساب والاستعمال والمعرفة، وباختصار إلى فهم الطبيعة البشرية التي لا نعرف عنها إلا اليسير، بل إن هناك ظواهر من هذا القبيل نجعلها جهلاً تاماً، ما قيد طموح تشومسكي وجعله لا يتطلع إلا إلى معرفة عالم الأشياء الممكنة بالنسبة للفكر، أي: «المشاكل» لأن هناك أشياء غير ممكنة يسميها



# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذوايدي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

- (٥) Chomsky, (1975), p:16.
- (٦) Chomsky. (1968), le langage et la pensée, p:17.
- (٧) Chomsky. (1975), p:16.
- (٨) Chomsky, (1980), Règles et représentations, trad de L'anglais par Alain Kihm, Flammarion p:8.
- (٩) Chomsky: (1977), Dialogue avec Mitsou Ronat, Flammarion, p:63.
- (١٠) الفاسي ١٩٨٥ اللسانيات واللغة العربية ص ١٤٢ ج ١ .
- (١١) John Lyons 1970 Chomsky p:31.
- (١٢) Chomsky: (1977), Dialogue avec Mitsou Ronat, p:66.
- (١٣) John Lyons. 1977 Chomsky, fonata/collins, the philosophy of language and Mind p: 126-127.
- (١٤) Chomsky, (1977). dialogues avec Mitsou Ronat, Flammarion p:21.
- (١٥) ماهر عبدالقادر محمد علي، نظرية المعرفة العلمية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٥ ص ٣٣.
- (١٦) المرجع السابق، ص ٣٤.
- (١٧) Nicolas Ruwet 1968, Introduction à la grammaire generative, Librairie plon, p: 12-13.
- (١٨) ماهر عبدالقادر محمد علي، نظرية المعرفة العلمية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٥ ص ٣٥-٣٦.
- (١٩) Nicolas Ruwet 1967, p.13.
- (٢٠) انظر الترجمة العربية العربية لكتاب بوهر، بوس الأيديولوجيا، ترجمة عبدالحاميد صبره، دار الساقى، ١٩٩٢ ص ٨.
- (٢١) العروي عبدالله، مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي، الطبعة الخامسة، ١٩٩٣، الفصل الأول، نظرية الدولة الإيجابية.
- (٢٢) العروي عبدالله، مفهوم التاريخ الجزء ٢ المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الفصل الثالث: عودة المطلق ونقد التاريخانية، ص ٣٦٨ إلى ٣٨٢.
- (٢٣) Chomsky. (1977), Dialogues avec Mitsou Ronat, P:33.
- (٢٤) Chomsky, (1977), Dialogues avec Mitsou Ronat, P:36.
- (٢٥) تشومسكي، اللغة ومشكلة المعرفة، انظر الفصل الخامس: النظرة البعيدة الآفاق الجديدة لدراسة العقل، ص ١١٩.
- (٢٦) تشومسكي، اللغة ومشكلة المعرفة، ترجمة د. حمزة بن قبلان المرزيني، ١٩٩٠، ص ١٥١.
- (٢٧) بوهر، بوس الأيديولوجية، ترجمة عبدالحاميد صبره، ص ١١.
- (٢٨) Rudolf p. botha on "The galilean style" of linguistic inquiry, lingua 58 (1982) 1-50.
- (٢٩) في خصائص الأسلوب الجليلي انظر المرجع السابق، بوطا ٨٢ والفاسي ٨٥، اللسانيات واللغة العربية.
- (٣٠) Nicolas Ruwet. (1967), Introduction à la Grammaire générative, p:70.
- (٣١) Crystal David, A First Dictionary of Linguistics and phonetics. (٣١)

## المراجع العربية

- (١) بوبر كارل: بوس الأيديولوجيا، نقد مبدأ الأنطاط في التطور التاريخي، ترجمة عبدالحاميد صبره، دار الساقى، الطبعة الأولى ١٩٩٢.
- (٢) تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة حمزة بن قبلان المرزيني، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ١٩٩٠.
- (٣) العروي عبدالله، مفهوم التاريخ، الجزء الثاني، المفاهيم والأصول، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٢.
- (٤) الفاسي الفهري، عبدالقادر (١٩٨٥)، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
- (٥) الفاسي الفهري، عبدالقادر (١٩٩٠) البناء الموازي، نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
- (٦) ماهر عبدالقادر محمد علي، نظرية المعرفة العلمية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٥.

## المراجع الأجنبية

- (1) Botha, Rudolf. P. (1982) ON "The galilean style" of Linguistic inquiry, Lingua, 58 (1982) 1-50.
- (2) Chomsky, N. (1975), reflexions sur le languag, traduit de L'anglais par Judith milner, béatrice vautherin et pierre fiala.
- (3) Chomsky, N. (1977), Dialogues avec Mitsou Ronat, (1980) Flammarion.
- (4) Chomsky, N. (1980) Règles et représentations, traduit de langlais par Alain Kihm, Flammarion.
- (5) Chomsky, N. (1986) Knowledge of language, In Gunderson and Maxwell.
- (6) Cristal david. A First Dictionary of linguistics and phonetics.
- (7) Lyons Jhons. (1970) Chomsky, Fontana/ Collins, Great Britain.
- (8) Ruwet Nicolas. (1968) introduction à la grammaire générative, Plon.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

ولكن المشكلة أن هذين الشرطين ربما لا يتحققان في كثير من المصطلحات، فثمة مصطلح واحد للدلالة على أشياء عدة، وثمة أكثر من مصطلح للدلالة على شيء واحد. ومرد ذلك ومرجعه إلى تداخل فروع العلم والمعرفة، ثم إلى تعدد واضعي المصطلح في الوطن العربي واختلاف ثقافتهم، ثم انقطاع ما بينهم بحيث لا يمكن أن يفيد السابق منهم اللاحق. ولعل شيئا من إثثار العناد أن يكون من وراء هذا التعدد والاختلاف، إذ أن كل فئة - وهذا من دواهي الأمور - تنسوي على شعور بأنها أحق بأن تتبع، وأنها من ثم لابد أن تبدع لنفسها مصطلحا خاصاً بها. لايهمها بعد ذلك أوافق هذا المصطلح الدقة أم لم يوافق. وواضح أن ليس من وراء مثل هذا الاختلاف كبير نفع للعلم، لأنه قد جاوز العلم منطلقاً وغاية له.

وعلى الرغم من ذلك فلعل بعض الاختلاف أن يكون له مسوِّغ، وخاصة عندما لا تكون الحال مستقرة كما هي حال نقدنا العربي الحديث، ذاك الذي يستقي في معظمه من مصادر أجنبية رأساً.

ومفهوم الانزياح الذي نحن فيه الآن مفهوم تجاذبته وتعلقت بدائرته مصطلحات وأوصاف كثيرة. ومن البديهي أن تتفاوت فيما بينها تفاوتاً كبيراً، ولكن كثرتها تلفت النظر حقاً، فهي ليست بطائرة في الكتب العربية فحسب، بل إنها غريبة المنشأ أصلاً، وقد أشار إليها خوسيه إيفانكوس إشارة سريعة. (٢) وكان عبدالسلام المسدي قد أورد طائفة من تلك المصطلحات ذاكراً أمام كل واحد منها أصله الفرنسي وصاحبه، وذلك على هذا النحو:

الانزياح L'écart لغاليري.

التجاوز L'abus لغاليري.

الانحراف La déviation لسييتزر.

الاختلال La distorsion لويلك ووارين.

الإطاحة La subversion لباتيار.

المخالفة L'infraction لتيري.

الشناعة Le scandale لبارت.

الانتهاك Le viol لكوهن.

خرق السنن La violation des normes لتودوروف.

الللح L'incorrection لتودوروف.

العصيان La transgression لأراجون.

التحريف L'altération لجماعة مو. (٣)

ثم أضاف صلاح فضل إلى ذلك كلمة «الكسر» ونسبها إلى من نسب المسدي إليه «المخالفة» وهو تيري. ونسب إلى بارت كلمة أخرى غير كلمة «الشناعة» التي ذكرها المسدي آنفاً، وهي «الفضيحة» (\*). ونسب إلى

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

يغني عنها . وقد أشار إلى مثل مانحن فيه ناقد غربي ذكر أن بعض المصطلحات التي يمكن أن تؤخذ على أنها «انحراف»، مبالغ فيها مثل: المخالفة ، والتنافر ، والشذوذ عن القاعدة.<sup>(٩)</sup>

والحق أن هذه الكلمة ، فضلاً عن افتقارها إلى اللياقة ، ليس لها في المترجمات العربية أو في كتابات الباحثين العرب حظ من الصيرورة والذوبان كبير ، ولا ينبغي . وهكذا رأينا أن نفصل الحديث في المصطلحات الرئيسية التي بدا لنا أنها ثلاثة ، وهي الانحراف والعدول والانزياح ، ثم نتبع ذلك بحديث عن مصطلحات هي دون هذه شيوعاً وارتباطاً بمفهوم الانزياح .

### الانحراف

أما «الانحراف» فهو الترجمة التي يبدو أنها شاعت أكثر من غيرها للمصطلح deviation الموجود في اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، ولكنه في الإنجليزية أكثر دورانا . وترجمته بالانحراف هي ، فيما يبدو ، أصح ترجمة له ،<sup>(١٠)</sup> وإن كان هناك من ترجمه بمصطلحات أخرى كالشذوذ أو العدول ، فمن ترجمه بـ «الشذوذ» مؤلفا معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ،<sup>(١١)</sup> وشرحا هذا الشذوذ بأنه «الخروج على القاعدة ومخالفة القياس ، وذلك كجمع فارس في العربية على فوارس ، والقياس أن يكون جمعاً لفارسة . كما أنه في اصطلاح اللغويين المحدثين يشمل كل تغيير في ترتيب الحروف داخل الكلمة ، والكلمات داخل الجملة ، واستعمال الألفاظ استعمالاً مجازياً لغرض بلاغي» . وكذلك صنع محمد علي الخولي في «معجم علم اللغة النظري» .<sup>(١٢)</sup> ووضع رمزي روجي البعلبكي ترجمتين هما : انحراف وشذوذ .<sup>(١٣)</sup> وأما فهد عكام فجعل الانحراف والعدول ترجمة للمصطلح السابق .<sup>(١٤)</sup> وانفرد حسن كاظم ، فيما يبدو حين ترجم deviation بالانزياح<sup>(١٥)</sup> في حين جعل الانحراف ترجمة لـ departure<sup>(١٦)</sup> .

ومهما يكن من أمر ، فإن السواد الأعظم من باحثين ومترجمين يستعمل مصطلح «الانحراف» ، فأحيانا يذكر الكلمة الأجنبية ، وأحيانا أخرى يغفلها .<sup>(١٧)</sup>

والمصطلح وارد أيضا في بعض الكتب التي تنتمي إلى حقل اللسانيات أو فقه اللغة .<sup>(١٨)</sup>

على أن الذي يمكن أن يلاحظ على ماضى من أسماء عربية هو غلبة تأثرها بالإنكليزية ، أو استقاؤها منها مباشرة ، وهي التي يكثر فيها المصطلح deviation المستعمل في الفرنسية ولكن على نحو أقل . ومما يمكن أن يلاحظ أيضا هو أن الوعي بالمصطلح لدينا بدأ في فترة متأخرة لاتكاد تجاوز العقدين ، ولكن ذلك لاينفي أن الانحراف قد ورد - مفهوما ومصطلحا - في ترجمة زكي نجيب محمود لكتاب إتش . بي . تشارلتن المعنون بـ «فنون الأدب» والذي طبع بالعربية في فترة مبكرة نسبيا عام خمسة وأربعين وتسعمائة وألف ، ورد المصطلح في معرض حديث تشارلتن على بيتين لمردث يقول فيها :

لابد لي أن أهوي واجفا

على هذا الصدر الذي يحمل الورد

ويعلق تشارلتن بأن الشاعر يريد «أن الملحد ، الذي يكفر بخلود الروح بعد موت الجسد ، لا ينبغي له أن يأس مادام مصيره هذه الأرض التي تحمل الورد فوق صدرها . لكن الشاعر لا يقنعه أن يسوق معناه هذا

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.



# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذوايدي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذوايدي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذوايدي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذوايدي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذوايدي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.



# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

- (٢٠) صدر سنة ١٩٦٥ عن دار القلم بالقاهرة.
- (٢١) نظرية المعنى في النقد العربي، ص ٨٥.
- (٢٢) من مثل كتابه: الصورة الأدبية، دار مصر للطباعة، القاهرة د. ت، ص ١١، وكذا كتابه: اللغة بين البلاغة والأسلوبية، ط النادي الأدبي بجدة ١٩٨٩، ص ٣٦، ٣٧، ١٣١، وكتاب: الوجه الغائب، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣، ص ٢٢٧، وانظر بحثه: المقدره اللغوية في النقد العربي، ضمن كتاب: قراءة جديدة لثرائنا النقدي، ط النادي الأدبي بجدة ١٩٩٠، مج ١، ص ٧٣، ٨٤، وبحثه الآخر: البلاغة واللغة والميلاد الجديد، فصول مج ٩ ع ٤/٣، ص ٤٩.
- (٢٣) «الشعر الصافي» ضمن «الرويا الإبداعية». مجموعة مقالات أشرف على جمعها هاسكل بلوك وهيرمان سالنجر، تر: أسعد حليم، سلسلة الألف كتاب ١٩٦٦، ص ٢٠. وقد أورد النص بصيغة مقارنة كمال أبرديف في كتابه: في الشعرية، ص ١٣٤، ١٣٥.
- (٢٤) مفتاح، محمد: في سيمياء الشعر القديم، ط دار الثقافة الجديدة، الدار البيضاء ١٩٨٢، ص ٥١، ٥٠.
- (٢٥) اللسانيات وأسسها المعرفية، ص ١٦.
- (٢٦) اللغة بين البلاغة والأسلوبية، ص ١٠٨ وكذا ص ١٣٣، ٣١٩، وانظر كتابه الآخر: اللغة والتفسير والتواصل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٥٥، ص ١٠، ٣٨.
- (٢٧) النقد الأدبي: تاريخ موجز ٣: ٥٧٥.
- (٢٨) مقدمة لدراسة الصورة الفنية، ط وزارة الثقافة بدمشق ١٩٨٢، ص ٢٧.
- (٢٩) اللغة الفنية، ط دار المعارف بمصر ١٩٨٥، ص ٥.
- (٣٠) اللغة الفنية، ص ٦.
- (٣١) الأسلوب والأسلوبية، تر: كاظم سعد الدين، دار آفاق عربية، بغداد ١٩٨٥، ص ٩٠.
- (٣٢) ابن سناء الملك ومشكلة المقام والابتكار في الشعر، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٢، ص ٣، ٢، وانظر: ص ١٤، ١٤، ٤٧، ٤٨، ٥٦، ٥٧، ٧٥، ٧٦ إلخ.
- (٣٣) خصائص العربية ومنهجها الأصل في التجديد والتوليد، ط معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ١٩٦٠، ص ٩٧.
- (٣٤) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط دار التنوير، بيروت ١٩٨٣، ص ٤٣، وانظر: ص ٨٥، ١٧٥، ١٧٧.
- (٣٥) النقد الأدبي تاريخ موجز ٤/ ١١٦.
- (٣٦) النقد اللغوي عند العرب، ط وزارة الإعلام، بغداد ١٩٧٨، ص ٢٧، ٥٤ على التوالي، وانظر: ص ٥٤، ٦٠، ٦٨، ٧٢، ٧٤، ٣٢١، ٣٥٦.
- (٣٧) انظر: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٦، ص ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٧٠، ٤١٨.
- (٣٨) المصدر السابق، ص ٤١٩.
- (٣٩) المصدر السابق، ص ٤٢٣.
- (٤٠) المصدر السابق، ص ٤٢٦.
- (٤١) المصدر السابق، ص ٤٢٩، ٤٣٠.
- (٤٢) المصدر السابق، ص ٤٣١.
- (٤٣) نقد الشعر في القرن الرابع الهجري، ط دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٨٢، ص ٣٢٦.
- (٤٤) انظر: النقد الأدبي، تاريخ موجز ٢: ٣١٧.
- (٤٥) الصورة والبناء الشعري، ط دار المعارف بمصر ١٩٨٠، ص ٦٩، ٧٠ على التوالي، وانظر: زغلول سلام: أثر القرآن في تطور النقد العربي، ط دار المعارف بمصر ١٩٦٨، ص ١٥٣، ١٥٦.
- (٤٦) انظر: صمود، حمادي: التفكير البلاغي عند العرب، ط الجامعة التونسية ١٩٨١، ص ٢٣٤، ٢٣٩.
- (٤٧) انظر: ضيف، شوقي: البحث الأدبي، ط دار المعارف بمصر ١٩٧٢، ص ١١٤. وانظر: عبد الحميد، شاك: المرض العقلي والإبداع الأدبي، مجلة عالم الفكر مج ١٨ ع ١، ص ٤٣.
- (٤٨) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، وجابر عصفور.
- (٤٩) انظر مثلاً: النويهي، محمد: تفسير أبي نواس، ط مكتبة الخانجي بمصر ١٩٧٠، ص ٧٠، ٧٢، ٧٤، ٨٣، ٨٥، ٩٠، ١٥٧، ١٦٢، ١٧٠. وانظر أيضاً: شلق، علي: أبو نواس بين الخطي والالتزام، ط المؤسسة الجامعية، بيروت ١٩٨٢، ص ١٣، ١٨، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨.
- (٥٠) انظر مثلاً: ابن جني: الخصائص ١/ ٣٩٨، ٤٤٣، ٤٤٢/٢، وعبد القاهر الجرجاني: دلائل الإحجاز، قرأه وعلق عليه محمود شاكر، ط مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٩، ص ٤٣٠، وأسرار البلاغة، ط ريتز، استانبول ١٩٥٤، ص ٣٦٥، وابن الأثير: الملل السائر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٩٣٩، ج ١/ ١٤، ٢، والفارابي: جوامع الشعر، طبع في نهاية تلخيص أرسطو طالس في الشعر لابن رشد، تح: محمد سليم سالم، القاهرة ١٩٧١، ص ١٧٣، والسكاكي: مفتاح العلوم، ط البابي الحلبي بمصر ١٩٩٠، ص ٩٦. وانظر: السيوطي: الأشباه والنظائر، ط مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٦، ٦٠٧/٣، والزعلابي، صلاح الدين: مسالك القول في النقد اللغوي، ط الشركة المتحدة للتوزيع دمشق ١٩٨٤، ص ٣٣٠.
- (٥١) من الصباح والقاموس المحيط. مادة (عدل).
- (٥٢) انظر: ص ١٦٢-١٦٣ ويشار إلى أن الطبعة الأولى للكتاب صدرت عن الدار العربية للكتاب بتونس عام ١٩٧٧.

## عالم الفكر

- (٥٣) بدأ ذلك على نحو بسيط في كتابه: النقد والحدائث، ط ١ دار الطليعة ١٩٨٣، الذي يرتد في كثير من مواده النظرية إلى الكتاب الأول، ولكنه في هذا الكتاب يستعمل إلى جانب العدول (ص ٤٨، ٥٠، مرتين) مصطلحات من مثل الانزياح (ص ١١، ٣٨، ٥٧) والفعل ينزاح (ص ٥٢)، والتجاوز (ص ١١، ٥٠، مرتين)، والانحراف (ص ٥٢، ٦٠)، والخروج (ص ٥٢، ٦٠)، والخرق (ص ٤١، ٥٠)، والتغيير (ص ٤٠)، والابتعاد (ص ٤١)، واللحن (ص ٤١)، وكسر المألوف (ص ٤١)، والمفارقة (ص ٤١)، وهذه كثرة تشي بعدم استقرار. ولكنه في قاموس اللسانيات، ط الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٤، يستقر على العدول ترجمة لـ Écart، ورغم ذلك يستعمل الفعل ينزاح في قوله: «يتحرك الدال فينزاح عن مدلوله» ص ٤٤. وانظر مقاله «الأسلوبية وقيم التباين» الموقف الأدبي ع ٢٠١ ص ٢٨، ٣٥، ففيها يستعمل العدول إلا مرة واحدة استعمل فيها الانزياح. وانظر بحثه «النقد الأدبي وانهاء النص» في الكتاب الدوري «علامات»، النادي الأدبي بجدة مج ١ ع ٤، ص ٢٣، ٢٤.
- (٥٤) من رسالة تفضل بإرسالها إليّ في ١٩٩٤/٣/٣٠ ردا على استفسار مني.
- (٥٥) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢، انظر خاصة: ص ١٣٥، ١٤٦.
- (٥٦) ط عالم الكتب بالقاهرة ١٩٩٣، ص ٣٤٥، ٣٩٣.
- (٥٧) انظر مع ٤ ع ١/ ١٩٨٤ مقالة: اللغة والنقد الأدبي، ص ١١٨، وكذا ع ٣ مقالة: اللغة العربية والحدائث، ص ١٣١، ١٣٢، ١٣٩.
- (٥٨) قدمه الباحث إلى ملتقى اللسانيات الذي انعقد في تونس سنة ١٩٧٩، ثم طبعه في كتابه: في نظرية الأدب عند العرب، النادي الأدبي بجدة ١٩٩٠، ص ٢٠٦، ٢٠٧.
- (٥٩) مصدر سابق، انظر منه ص ٥٢، ١٠٣، ١١٧، ٢٦٤، ٢٩٠، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٥٠، ٣٩٦، ٤٠٣، ٤٠٦، ٦١٧.
- (٦٠) ط الدار التونسية للنشر ١٩٨٨، ص ٣٠، ٣١، ١١٩، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠.
- (٦١) التفكير البلاغي عند العرب، ص ٥٢ ح ١.
- (٦٢) انظر كتابه: العدول: أسلوب تراثي في نقد الشعر، ط منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٩٠.
- (٦٣) انظر بحثه: فكرة العدول في البحوث النقدية المعاصرة، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، ع ١ خريف ١٩٨٧، وانظر أيضا بحثه: الأسلوبية الذاتية أو النشوية فصول مع ٥ ع ١٩٨٥ ص ٨٦، ٨٩ ولكنه في ص ٨٨ يذكر الانزياحات بصيغة الجمع، وانظر بحثه: «شعرية الكلمات وشعرية الأشياء» ضمن كتاب: دراسات في الشعرية، الشابي نموذجاً، لمجموعة، ط بيت الحكمة، تونس ١٩٨٨، ص ٣٣٦، ٣٨٥، ٣٨٦.
- (٦٤) في ترجمته كتاب جورج مونان: مفاتيح الأسنية، منشورات سعيدان، تونس ١٩٩٤، ص ١٣٤ وما بعدها.
- (٦٥) انظر: دروس في البلاغة، ط المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء ١٩٩٢، ص ٢١، ٣٢، ٣٤، ٤١، ٥٤، ٦١، ٦٩.
- (٦٦) انظر مثلاً: سعد مصلوح: الأسلوب، ص ٤٠، ومحمد رشاد الحمزاوي: في العربية والحدائث أو الفصاحة فصاحات، منشورات المعهد القوم لعلوم التربية، تونس ١٩٨٢، ص ١٢٠، ومصطفى ناصف: اللغة بين البلاغة والأسلوبية، ص ٢٢٥، ٢٢٦، ومحمد حماسة عبدالمطيف: ظواهر نحوية، ص ١٤٠، ومحمد حسن عبدالله: الصورة والبناء الشعري، ص ١٧٢، وتوفيق الزبيدي: مفهوم الأدبية في التراث النقدي، ط سراس للنشر، تونس ١٩٨٥، ص ١٥١، ولطفي اليوسفي: في بنية الشعر العربي المعاصر، سراس للنشر ١٩٨٥، ص ٤١.
- (٦٧) الموازنة بين أبي تمام والبحري، تح: السيد أحمد صقر، ط ٢ دار المعارف بمصر ١٩٧٢-١٩٧٣، ٢/ ٥٥٠.
- (٦٨) الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، ط ٣ مطبعة مصطفى البابي الحلبي د. ت، ص ٤٢٣.
- (٦٩) الصناعتين، تح: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٢، ص ٩٨.
- (٧٠) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ط ٢، مطبعة الاستقامة، القاهرة ١٩٥٣، ٣/ ١٢٣.
- (٧١) البرهان في وجوه البيان، تح: أحمد مطلوب وخديجة الحديشي، ط بغداد ١٩٦٧، ص ٢٦٥.
- (٧٢) انظر: لسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس ومعجم متن اللغة والمعجم الوسيط.
- (٧٣) انظر: بنيس، محمد: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ط دار التنوير، بيروت ١٩٧٩، ص ١٦٣، ومترجمي كتاب تودوروف: الشعرية، شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، ط ٢ دار توبقال، المغرب ١٩٩٠، ص ٨٩، ٤٠.
- (٧٤) المجلد ٣٩ ج ٤ تشرين الأول ١٩٦٤، ص ٥٨٨.
- (٧٥) النقد الأدبي: تاريخ موجز ١/ ٥٨، ٥٧، ٢/ ٢٣٦، ٣/ ٧٢٧.
- (٧٦) نظرية الأدب، ص ١٧٩، ٣٠٣.
- (٧٧) المجلد ٣٥ عام ١٩٦٠، ص ٤٦٦.
- (٧٨) الحواريات التونسية ع ١٠ س ١٩٧٣، ص ٢٧٨.
- (٧٩) ص ٥٤، ٩٣، ٩٤، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٥٨، ٢١٤.
- (٨٠) ط الدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس ١٩٨١، ص ٣١٦، ٣١٨.
- (٨١) ص ١٣٨، ٢٢٥.
- (٨٢) ص ١٢٣.
- (٨٣) انظر مقالة: الأسلوبية الذاتية أو النشوية فصول مع ٥ ع ١/ ١٩٨٥، ص ٨٦، ٨٩. ولكنه في ص ٨٨ يذكر الانزياح في صيغة الجمع.
- (٨٤) ط وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٦، ص ٧٦، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٩.
- (٨٥) ص ٥٢.

## عالم الفكر

- (٨٦) ص ٥٣.
- (٨٧) انظر: في العربية والحدائث أو الفصحاة فصاحات. منشورات المعهد القومي لعلوم التريّة، تونس ١٩٨٢، ص ٧٩.
- (٨٨) انظر: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، ط الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٤، ص ٨٦، ٨٧.
- (٨٩) انظر: معجم اللسانية، منشورات جروس برس طرابلس ١٩٨٥، ص ٦٥.
- (٩٠) أبوناضر. مريس: إشارة اللغة ودلالة الكلام، أبحاث نقدية، دار غنارات بيروت ١٩٩٠، ص ٨٥، ١٥٥، على التوالي. والمؤلف، إذ يمثل لما ساه «الابتعاد أو النشاز» يظهر سوء فهم له، فقد رأى أن في قولنا «سال الوادي» ابتعادا عن المؤلف وخروجاً وانحرافاً عن المستعمل الذي هو قولنا «سال ماء الوادي». ومادري أن قولنا «سال الوادي» صار هو المستعمل وانقلب إلى أن صار حقيقة.
- (٩١) انظر ذلك في ترجمته لكتاب جان كوهن (وساه جون كوين): بناء لغة الشعر، ط ٣ دار المعارف بمصر ١٩٩٣، ص ١٣، ٢٣. وانظر كتابه: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، مكتبة الزهراء، القاهرة د.ت، ص ١٦٦، وكذا مقاله: الأسلوب والأسلوبية، مجلة فصول، مج ١٥/١، ١٩٨٥، ص ٦٣.
- (٩٢) المقدمة، ص د.
- (٩٣) بناء لغة الشعر، الحاشية من ص ٢٣.
- (٩٤) انظر: دليل الدراسات الأسلوبية، ط المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص ٣٧.
- (٩٥) انظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٥، ص ١٦٢. ثم زعم فيها بعد في بحث قدمه إلى مؤتمر النقد الأدبي الخامس بجامعة اليرموك عام ١٩٩٤ وعنوانه: «بعض مفاهيم التزيّحات المصطلح النقدي في الخطاب الأدبي المعاصر» أنه قد ذكر «الانزياح» في معجمه المذكور محيلاً على الطبعة نفسها وكذا الصفحة. والحق أن من يرجع إلى المعجم لا يرى فيه إلا «الفارق» وكلمة «البعده» في سياق شرح للفارق. وفي هذا مافيه من إيهام للقارىء.
- (٩٦) في بحث له عنوانه «دراما المجاز»، مجلة فصول مج ٦/٢، ١٩٨٦، ص ١٠٣.
- (٩٧) انظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ٥٨.
- (٩٨) في بحث له عنوانه «نحو تأويل تكاملي للنص الشعري» مجلة فصول مج ٨/٣، ١٩٨٨، ص ٤٥-٤٨.
- (٩٩) في ترجمته كتاب خوسيه إيفانكوس «نظرية اللغة الأدبية» الفصل الثاني كله، غير أنه يسهو، أو هكذا أحسب، فيذكر «الانزياح» ثلاث مرات، ص ٢٨، ٢٩، ٤٣.
- (١٠٠) نشر الكتاب في مجلة «العرب والفكر العالمي» ع ١٠ ربيع ١٩٩٠ بترجمة محمد الرفرافي ومحمد خير البقاعي. وانظر: ص ١٣، ١٥.
- (١٠١) نشر الكتاب مركز الإنماء الحضاري بحلب ١٩٩٣، وانظر: ص ٤٤، ٤٥.
- (١٠٢) انظر: المصري، عبدالفتاح: أسلوية الفرد، الموقف الأدبي، ع ١٣٦-١٣٥ تموز-آب ١٩٨٢، ص ١٥٦.
- (١٠٣) من هؤلاء: أحمد الطرابلسي في مقاله: آراء قديمة حديثة في لغة الشعر، الموقف الأدبي ع ١٨١-١٨٢-١٨٣ أيار - تموز ١٩٨٦، ص ٢٥ وما بعدها، ويحني العيد في كتابها: في القول الشعري، ط دار توبقال ١٩٨٧، ص ١١، ٢٠، ٣٦، ٤٣، ٥٠، وكتابتها الآخر: في معرفة النص، ط دار الأفاق الجديدة بيروت ١٩٨٥، ص ٨٩، ٧٥، وكمال أبوديب في بحثه «لغة الغياب في قصيدة الحدائث» فصول مج ٨/٣، ص ٨١، ٨٦، وخالدة سعيد في بحثها: الحدائث وعقدة جلجامش، ضمن كتاب قضايا وشهادات، شتاء ١٩٩١، ص ٨٣، ٨٤، والملاحم الفكرية للحدائث، فصول مج ٤/٣، ١٩٨٤، ص ٢٥، وزينب الأخرج في أطروحتها للدكتوراه: الدلالة الاجتماعية للشعر المغاربي، السبعينيات نموذجاً، كلية الآداب بدمشق ١٩٨٩، ص ٢٥٦، ٣٠٧، ومحمد الولي ومحمد العمري في ترجمتهما كتاب جان كوهن: بنية اللغة الشعرية، مصدر سابق، في معظم صفحاته، وفريد الزاهي مترجم كتاب جوليا كريستفا: علم النص، ط دار توبقال المغرب ١٩٩١، ص ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٣٠، ٣٥، ٥١، ٥٢، وكاطم جهاد مترجم كتاب هنري لوفافر: ما الحدائث، بيروت ١٩٨١، ص ٧٩، ١١٧، ومنذر عياشي في ترجمته كتاب بير جيرو: الأسلوب والأسلوبية، مركز الإنماء القومي، بيروت د.ت، ص ٥٣، ٥٥، ٩٢، ونجمة كتاب تسودوروف: مفهوم الأدب، النساوي الأدبي بجدة ١٩٩٠، ص ٦٢، ٦٣، ٦٤، وترجمته كتاب جان إيف تاديه: النقد الأدبي في القرن العشرين، ط مركز الإنماء الحضاري بحلب ١٩٩٣، ص ٩٣، وفي كتابه: مقالات في الأسلوبية، ط اتحاد الكتاب العرب بدمشق ١٩٩٠، ص ١٥، ٤٧، ٤٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٨، ٩٨، ١٤٢، ٢١٣، ونزار التجديتي في بحثه: نظرية الانزياح عند جون كوهن، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية ع ١ خريف ١٩٨٧، وحافظ دياب في بحثه المطول: تحولات في الشعر والواقف في السبعينيات، مجلة ألف ع ١١ سنة ١٩٩١، ص ١٥، ١٩، وفي بحثه الآخر: مفهوم الصيغ المجازية بين التراث العربي والنقد المعاصر، مجلة ألف ع ١٢ سنة ١٩٩٢، ص ١١٥-١١٦، وهو في كلا البحثين يستعمل إلى جانب الانزياح مصطلح «الإزاحة»، ونعيم البافي في كتابه: المغامرة النقدية، ط اتحاد الكتاب العرب بدمشق ١٩٩٣، ص ٤٩، ٧٠، ٧٢، وكتابه: أوهام الحدائث، ط اتحاد الكتاب العرب بدمشق ١٩٩٣، ص ٣٣، ١٠٦، ١٧٢، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٥٣، وانظر مقاله: الانزياح والدلالة، الأسبوع الأدبي، ع ٤٥١-١٦ شباط ١٩٩٥، ص ٥، وبحثه: مفهوم الشعرية العربية - الشعر السوري أنموذجاً - مجلة المعرفة ع ٣٨٠ أيار ١٩٩٥، ص ١٠٤، ١١٣، ١١٥، والمهادي الجسطلاوي: مدخل إلى الأسلوبية، نظيراً وتطبيقاً، ط عيون، الدار البيضاء ١٩٩٢، ص ٣٠، ٣٥، ٤٢، ٤٣، ومحمد الماكري: الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهري، ط المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء ١٩٩١، ص ٢٣، ٣٦، ٣٢٢، وطلال وهبة في ترجمته كتاب: مدخل إلى الأسلية، لمؤلفيه: بول فابر وكريستيان بايلون، ط المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء ١٩٩٢، ص ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٣٥، وعدنان بن ذريل في كتابه: النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، ط اتحاد الكتاب العرب بدمشق ١٩٨٩، ص ٢٠، ٢٥، ٢٨، ٧١، ٢٩٧، وقاسم مقداد في ترجمته كتاب جان إيف تاديه: النقد الأدبي في القرن العشرين، ط وزارة الثقافة بدمشق ١٩٩٣، ص ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨٥، ومصطفى الكيلاني في بحثه: وجود

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

- عبدالمطلب: البلاغة والأسلوبية، ص ١٤٤، ١٥٠، وجدلية الأفراد والتركيب، ط القاهرة د. ت ص ١٤٢، وسيد البحراري: في البحث عن لؤلؤة المستحيل، دار الفكر الجديد ١٩٨٨، ص ٥٢، وسمير مسعود في ترجمته لكتاب «النظرية الأدبية الحديثة» لجفرسون وروبي، ص ٥٧، ٦٠، ٨٥، ٩١، ٢٥٢، وعبدالله الغدامي: الخطيئة والتكفير، ص ٢٣، ٤٦، ٢٧٢.
- (١٢٩) بنية اللغة الشعرية، ص ٤٢، وانظر: ٤٩، ١٩٣.
- (١٣٠) زمن الشعر، ط ٢ دار العودة، بيروت ١٩٧٨، ص ٣١٢.
- (١٣١) في سيمياء الشعر القديم، ص ٦٥، وانظر ص ٥١، ٨٠، ٩٨. وكذا يستعمله في كتابه: تحليل الخطاب الشعري واستراتيجية التناس، ط دار التنوير، بيروت ١٩٨٥، ص ١٣.
- (١٣٢) اللغة المعيارية واللغة الشعرية، تر: ألفت الروبي، فصول مج ٥/١٤٨٥، ص ٤٠.
- (١٣٣) سبق توثيقه في الحاشية المنتجة بعد الحاشية رقم (٤).
- (١٣٤) انظر: جدل القراءة، ص ٤٤.
- (١٣٥) انظر: النقد والحداثة، ص ٤١.
- (١٣٦) انظر: في القول الشعري، ص ١٣٣، ١٣٤، ١٣٨.
- (١٣٧) انظر: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، ص ٨٦، ٩٠.
- (١٣٨) انظر: الدلالة الاجتماعية للشعر المغربي، السبعينيات نموذجاً، ص ٢٥٨، ٢٦٠.
- (١٣٩) انظر ترجمته كتاب جوليا كريستفا: علم النص، ص ٧٧.
- (١٤٠) النظرية الأدبية الحديثة، ص ٣٩، ٤٠. وانظر: ص ٦٦.
- (١٤١) المرجع السابق، ص ٤٤.
- (١٤٢) المرجع نفسه: ص ٤٥.
- (١٤٣) النظرية الأدبية الحديثة، ص ١٤٢.
- (١٤٤) الخطيئة والتكفير، ص ٣١٧.
- (١٤٥) انظر عرضها للكتاب في الموقف الأدبي ع ١٤١-١٤٢، ص ٢٧١ ويلاحظ أن العبارة تجعل الغرابة قبل الانزياح. وهذا غير دقيق فيما نرى، إذ الانزياح هو الذي من شأنه أن يولد الغرابة. فهو سابق عليها، وهي نتيجة له.
- (١٤٦) اللغة الفنية، ص ٤٥، والصورة والبناء الشعري، ص ١١، ١٢.
- (١٤٧) انظر: اللغة والإبداع، ص ٨٩.
- (١٤٨) الموقف الأدبي ع ١٤٩-١٥٠/١٩٨٣، ص ٨٤.
- (١٤٩) عبداليديم، لطفني: جماليات الإبداع بين العمل الفني وصاحبه، فصول مج ٦/٤١٩٨٦، ص ٦٤.
- (١٥٠) النقد والأدب، ص ٥٣.
- (١٥١) النقد والأدب، ص ٥٠.
- (١٥٢) انكسارات، مقالات في الأدب المقارن، ص ٦٢.
- (١٥٣) انكسارات، ص ٩٢.
- (١٥٤) تصديره لكتاب إيتين جيلسون «مدرسة الآلهات» ط الشركة العربية للطباعة والنشر، دمشق ١٩٦٥، ص ٣.
- (١٥٥) فصول مج ٤/٣، ص ٢٠٥.
- (١٥٦) المعجم الأدبي، ط دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٨، ص ٢٥.
- (١٥٧) ابن سناء الملك ومشكلة العقم والإبتكار في الشعر، ص ٧٧.
- (١٥٨) إبراهيم، نبيلة: المفارقة، فصول مج ٧/٣٤، ص ١٣١.
- (١٥٩) انظر: وهبة، مراد: المعجم الفلسفي، ط ٣ دار الثقافة الجديدة، القاهرة ١٩٧٩، ص ٤١٧.
- (١٦٠) ص ٣٧٦.
- (١٦١) انظر: عبدالنور، جبور: المعجم الأدبي، ص ٢٥٨.
- (١٦٢) الأسلوبية والأسلوب، ص ١٠٢، وانظر: النقد والحداثة، ص ٤١.
- (١٦٣) الأسلوب، ص ٤٣.
- (١٦٤) انظر: المورد، لثير الجعلبيكي مادة Departure.
- (١٦٥) في النقد الحديث: دراسة في مذاهب نقدية وأصولها الفكرية، ط مكتبة الأقصى، عمان ١٩٧٩، ص ٦١.
- (١٦٦) المصدر السابق، ص ٦٢، ٦٣.
- (١٦٧) في الشعرية، ص ١٠٢.
- (١٦٨) دائرة الإبداع: مقدمة في أصول النقد، ص ٢٣.
- (١٦٩) ديتشس، ديفيد: مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، تر: محمد يوسف نجم، ط ١ دار صادر بيروت ١٩٦٧، ص ٢٤٩.
- وينقل ديتشس قول روبرت بن وارن: «إن القديس يثبت معجزته عن طريق اختراقه النيران بأساً». والشاعر - وهو أقل من القديس إثارة للدهشة - يثبت رؤاه بإخضاعها لنار المفارقات»، ص ٢٤٧. وللتوسع في المفارقة يراجع مكتبته محمد عناني عن: لغة المفارقة، في كتابه: النقد التحليلي، ط مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة د. ت، ص ٣٧، ٥٤، وكذا مكتبته نعيم اليافي في: تطور الصورة الفنية في الشعر الحديث، ط اتحاد الكتاب العرب بدمشق ١٩٨٣، ص ١٨٦، ١٩٥.
- (١٧٠) المفارقة، مرجع سابق، ص ١٣٢. نقلا عن: حصاد الهشيم، ط الدار القومية ١٩٦١، ص ٥.

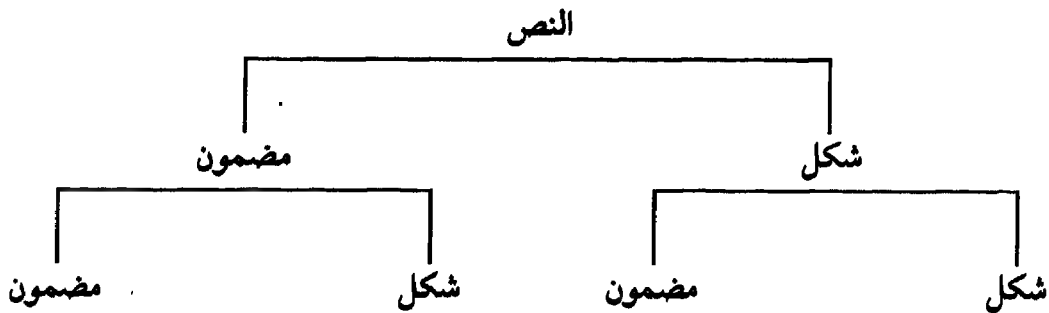


# السيميوطيقا والعنونة

د. جميل حمداوي\*

## I - تمهيد نظري

السيميوطيقا هي عبارة عن لعبة التفكير والتركيب، وتحديد البنيات العميقة الثابتة وراء البنيات السطحية المتمظهرة فونولوجيا وداليا. إن السيميوطيقا تبحث عن مولدات النصوص وتكويناتها البنيوية الداخلية، تبحث جادة عن أسباب التعدد، ولانهاية الخطابات والنصوص والبرامج السردية، وتسعى إلى اكتشاف البنيات العميقة الثابتة والأسس الجوهرية المنطقية التي تكون وراء سبب اختلاف النصوص والجمل. إن السيميوطيقا لا يهمها ما يقول النص، ولا من قاله، بل ما يهمها هو كيف قال النص ما قاله، أي إن السيميوطيقا لا يهمها المضمون ولا بيوغرافية المبدع، بقدر ما يهمها شكل المضمون، انطلاقا من الخطاطة التالية، يمكن توضيح ذلك.



فالسيميوطيقا، دراسة شكلانية للمضمون، تمر عبر الشكل لمسألة الدوال من أجل تحقيق معرفة دقيقة بالمعنى، ولتحديد منهجية السيميوطيقا، لا بد من مراعاة ثلاثة مبادئ ضرورية ألا وهي: <sup>(١)</sup>

\* عضو رابطة علماء المغرب.

## عالم الفكر

١- التحليل المحايث : إن السيميوطيقا تبحث عن الشروط الداخلية المولدة للدلالة التي تبحث عنها. ومن ثم فالتحليل المحايث - Immanente - يتطلب الاستقراء الداخلي للوظائف النصية التي تساهم في توليد الدلالة . ولا يهتم العلاقات الخارجية ولا الحثيات السوسيو - تاريخية والاقتصادية التي أفرزت عمل المبدع. إن السيميوطيقا تبحث عن شكل المضمون عبر العلاقات التشاكلية أو التضادية الموجودة بين العناصر داخل العمل الفني .

٢- التحليل البنيوي : إن السيميوطيقا تتضمن في طياتها ، المنهج البنيوي ، القائم على النسقية والبنية وشبكة العلاقات ، والسانكرونية . إن السيميوطيقا لا تفهم المعنى إلا من خلال الاختلاف ، لأن فرديناند دي سوسير وهلمسليف يقرآن ، بأن المعنى لا يستخلص إلا عبر الاختلاف . وكان مفهوم الاختلاف سببا من أسباب تطور الدراسات البنيوية واللسانية .

فالسيميوطيقا ، عندما تقتحم أغوار النص ، فإنها تدخل من نافذة العلاقات الداخلية الموجودة والقائمة على الاختلاف بين البنيات والدوال ، والتحليل البنيوي هو الوحيد الذي له القدرة في الكشف عن شكل المضمون ، وتحديد الاختلافات في العلاقات الموجودة بين العناصر الداخلية للنسق والنظام البنيوي .

٣- تحليل الخطاب : إن السيميوطيقا النصية تفرق عن لسانيات الجملة ، لأن هذه الأخيرة تركز كثيرا على الجمل في مظهراتها البنيوية أو التوزيعية أو التوليدية ، تريد فهم كيفية توليد الجمل اللامتناهية العدد من خلال قواعد متناهية . أو كيفية توزيع الجمل حسب مكوناتها الفعلية أو الاسمية أو الحرفية أو الظرفية ، مع تحديد وظائفها التداولية . بيد أن السيميوطيقا تحاول البحث عن كيفية توليد النصوص واختلافها سطحيا واتفاقها عمقيا .

إن التيار السيميوطيقي « من التيارات اللسانية ، إلى جانب التيار الشاعري ، والتداولي الذي يتفرع بدورها إلى شعبتين كبيرتين وهما :

١- نظرية الذاتية اللغوية : ويمثلها الفيلسوف موريس (Morris) ، وتناول بعده لسانيون آخرون ، فتناولوا عدة ظواهر لسنية ولغوية (المعينات ، ألفاظ القيمة . . . ) .

٢- نظرية الأفعال الكلامية : ظهرت كرد فعل على الوضعية المنطقية التي كانت تستند إلى التجريب والتمحيص في قبولها للتعبير والأخبار ، ويمثل هذه النظرية فلاسفة جامعة أكسفورد ، خاصة أوستين (Austin) ، سورل (Searle) ، وكرايس (Grice) .

إن السيميولوجيا هي ذلك العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات لغوية كانت أو أيقونية ، أو حركية ، وبالتالي ، فإذا كانت اللسانيات تدرس الأنظمة اللغوية ، فإن السيميولوجيا تبحث في العلامات غير اللغوية التي تنشأ في حوض المجتمع . إن اللسانيات هي جزء من السيميولوجيا حسب سوسير Saussure ، مادامت السيميولوجيا تدرس جميع الأنظمة كيفما كانت سننها وأنهاطها التعبيرية : لغوية أو غيرها . ولقد حصر سوسير هذا العلم في دراسة العلامات في دلالاتها الاجتماعية على العكس عند بيرس Pierce الذي جعلها تدرس العلامات العامة في إطارها المنطقي . حيث إن سوسير Saussure يرى أن العلامات السيميولوجية لا تؤدي إلا وظيفة اجتماعية . بينما بورس يرى أن وظيفة السيميوطيقا منطقية وفلسفية . وهكذا ، أصبحنا أمام

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

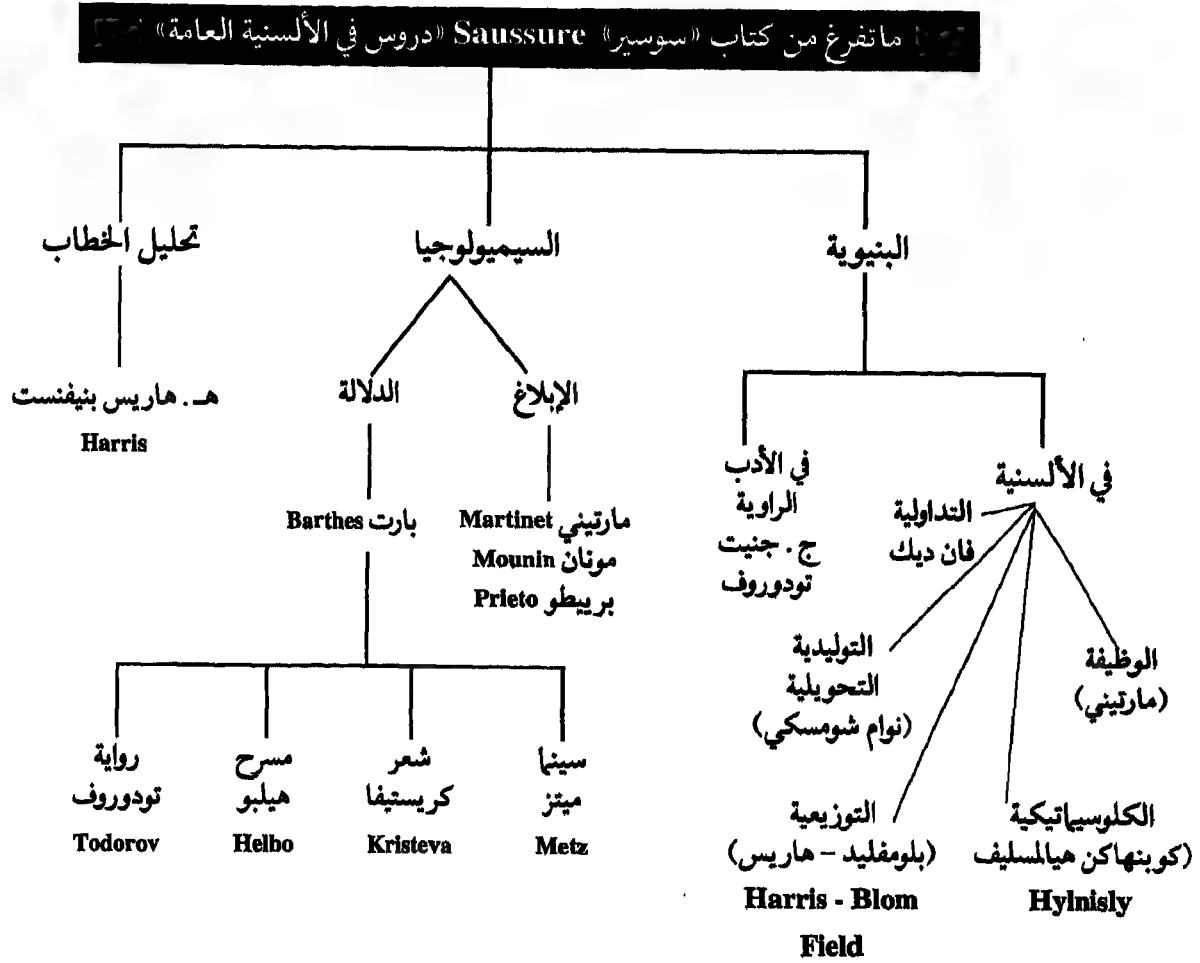
(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

اللسانيات ، وبالضبط ذلك القسم الذي سيتحمل على عاتقه كبريات الوحدات الخطابية الدالة ، وهذه الكيفية تبرز وحدة البحوث الجارية اليوم في علم الإناسة ، والاجتماع ، والتحليل النفسي ، والأسلوية ، حول مفهوم الدلالة . ( . . . ) إن المعرفة الدلالية (السيمائية) لا يمكن أن تكون اليوم سوى نسخة من المعرفة اللسانية ، وجسورا ، لأن هذه المعرفة يجب أن تطبق ، على الأقل كمشروع ، على أشياء غير لسانية<sup>(٥)</sup> .

ولقد استلهم بارت (Barthes) عناصر لسانية للدفع بالبحث السيميائي إلى الأمام : اللسان والكلام . المدلول والدال - المركب والنظام - التقرير والإيجاء . بيد أن هذا الاختلاف الاصطلاحي ، سيتوحد في صيغة مصطلح (سيميوطيقا) بعد افتتاح المؤسسة العالمية للدراسات السيميائية التي تصدر مجلة تحت عنوان «Sémiotica» ، تهتم بالبحوث التي تسير في هذا الاتجاه .

إن السيميوطيقا ، باعتبارها منهجا للتحليل ، استمدت أصولها من اللسانيات والبنوية ، وتفرعت إلى مدارس واتجاهات . ويمكن تشخيص ذلك على الشكل التالي :

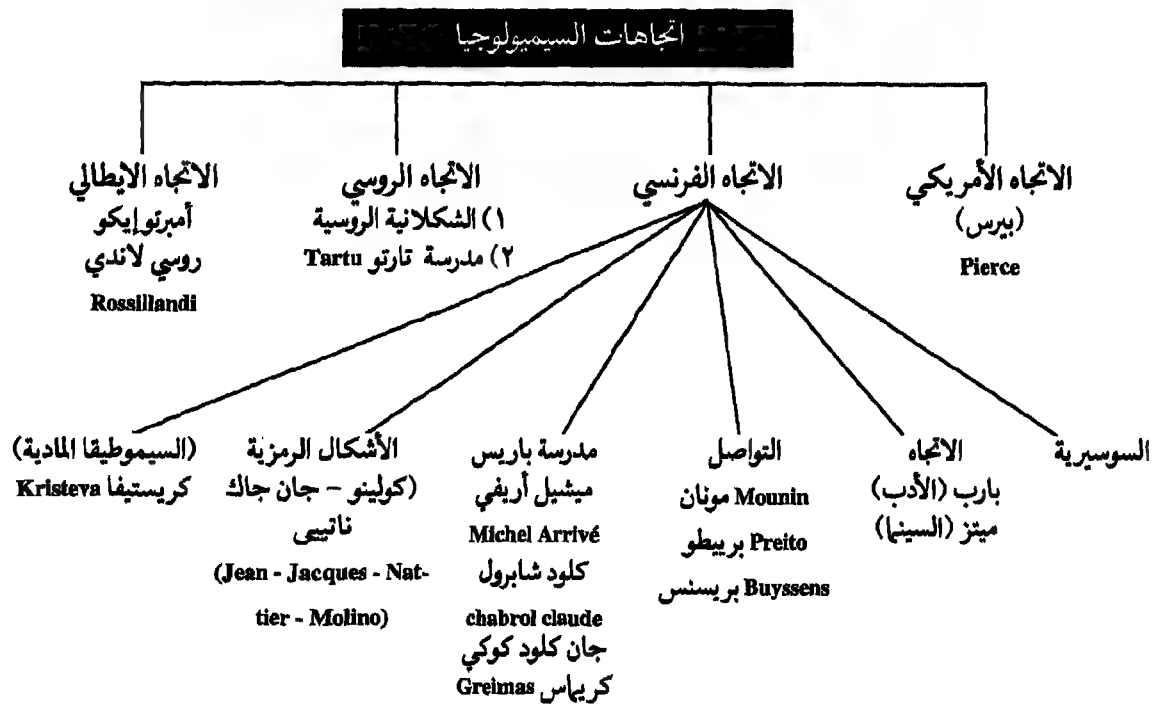


## عالم الفكر

لقد تعددت اتجاهات السيميوطيقا، فمحمد مفتاح، يفرع النظريات اللسانية، إلى التيار التداولي، والتيار السيميوطيقي (السيميائي)، والتيار الشعري، فعلى المستوى البوطيقي، يتحدث عن مساهمات جاكسون (Jakabson) وجان كوهن (Jean cohen) وج. مولينو (Molino) وج. طامين (Tamine) أما سيميوطيقا، فيتحدث عن «محاولات في السيميوطيقية الشعرية» و«بلاغة الشعر» لجماعة مو «Groupe M» و«سيميوطيقا الشعر» ليكاثيل رفائير، ومعجم «كرياص» (Greimas) وكورتيس (courtes)<sup>(٧)</sup> أما بير غيرو (Pierrs Guirand)، فيتحدث عن أنظمة الرموز وأنظمة الرموز الجاهلية في الفنون والآداب، وأنظمة الرموز الاجتماعية، أي محددات السيميولوجيا ثلاث وظائف أساسية: وظيفة منطقية واجتماعية، وجمالية<sup>(٨)</sup>.

بينما يصنف حنون مبارك، الاتجاهات السيميوطيقية إلى سيميولوجيا التواصل، وسيميولوجيا الدلالة، وتصور سويسر للسيميولوجيا، سيميوطيقا بورس (Pierce)، رمزية كاسيرا (cassirer) وسيميوطيقا الثقافة<sup>(٩)</sup>.

أما محمد السريغيني، فيحدد ثلاثة اتجاهات: الاتجاه الأمريكي، الاتجاه الفرنسي، الاتجاه الروسي<sup>(١٠)</sup>. أما عواد علي، فيحصر اتجاهات السيميولوجيا في ثلاثة اتجاهات كذلك: سيمياء التواصل، سيمياء الدلالة، سيمياء الثقافة<sup>(١١)</sup> ويحدد (مارسيلو داسكال) (Marcelo Dascal) كغيره اتجاهات سيميولوجية ثلاثة: سيميولوجيا التواصل، وسيميولوجيا الدلالة، وسيميولوجيا التعبير عن الفكر<sup>(١٢)</sup>. ويمكن توضيح الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة على الشكل التالي:

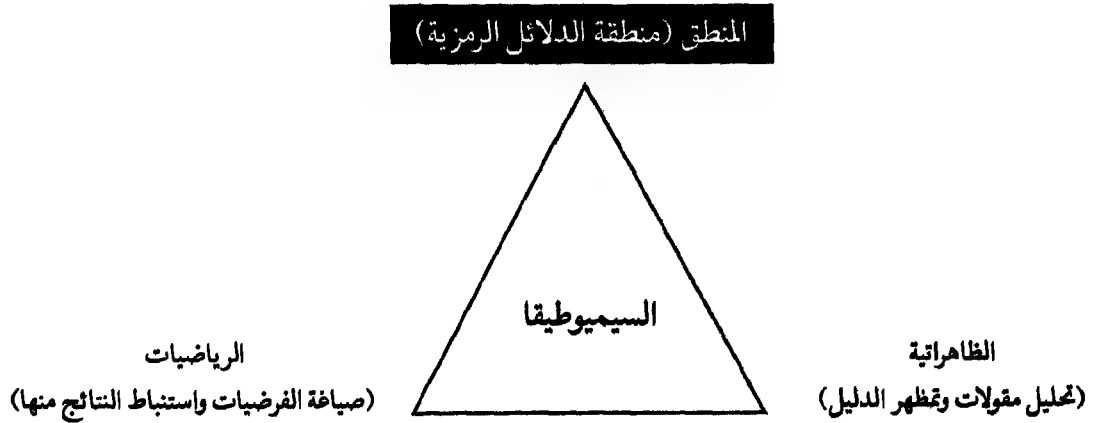


وسوف نحاول أن نوضح هذه الاتجاهات حسب كل مدرسة، أو تيار على حدة، قصد معرفة تصوراتها النظرية ومبادئها المنهجية، علماً أننا لا نميز بين السيميوطيقا والشعرية (البوطيقي) لأن كرياس، كان يدعو إلى الدمج بينهما، وصهرهما في بوتقة واحدة ألا وهي السيميوطيقا.

## عالم الفكر

### (١) الاتجاه الأمريكي

ارتبط بالفيلسوف المنطقي (تشارلز ساندريس بيرس Charles S. Pierce) (١٨٣٨ - ١٩١٤)، وهو الذي أطلق على علم العلامات مصطلح (Sémiotique) - السيميوطيقا - وتقوم هذه الأخيرة، لديه على المنطق والظاهرية والرياضيات. ومن ثم فالسيميوطيقا، مدخل ضروري للمنطق، أي إن هذا الأخير، فرع متشعب عن علم الدلائل الرمزية. وبالتالي، فالمنطق يرادف عند بيرس Pierce السيميوطيقا، يقول بيرس: إن المنطق بمعناه العام، ... ليس سوى تسمية أخرى للسيميوطيقا، إنه النظرية شبه الضرورية أو الشكلية للدلائل، وحينما أصف هذه النظرية باعتبارها شبه ضرورية أو شكلية، فإني أود أن أقول إننا نلاحظ خاصيات الدلائل التي نعرفها وأنا نساق، انطلاقاً من هذه الملاحظة، بواسطة سيروية لا أتردد في تسميتها بالتجريد إلى أقوال خادعة للغاية، وبالتالي، فهي بأحد المعاني أقوال غير ضرورية إطلاقاً. وتتعلق بما ينبغي أن تكون عليه خاصيات كل الدلائل المستعملة من قبل عقل «علمي» أي من قبل عقل قادر على التعلم بواسطة الاختبار<sup>(١٣)</sup>. وهكذا فالسيميوطيقا لدى بيرس مبنية على الرياضيات والمنطق والظاهرية على النحو التالي:



إن السيميوطيقا البيرسية بحث موسع، إذ ينكب على الدلائل اللسانية وغير اللسانية «ومن الواضح أن مفهوم الدليل ما كان له أن يكون كذلك لو لم يوسع ليشمل مختلف الظواهر كيفما كانت طبيعتها وقد أكد بيرس (Pierce) أنه لم يكن بوسعنا أن يدرس أي شيء، مثل الرياضيات والأخلاق والميتافيزيقا والجادبية وعلم الأصوات والاقتصاد وتاريخ العلوم ... إلخ، إلا بوصفه دراسة سيميوطيقية»<sup>(١٤)</sup>. إن سيميوطيقا بيرس، ذات وظيفة فلسفية منطقية لا يمكن فصلها، عن فلسفته التي من سماتها، الاستمرارية والواقعية والتداولية. ومن ثم، فالسيميوطيقا البيرسية «تكمن وظيفتها في إنتاج مراقبة مقصودة ونقدية للعادات أو الاعتقادات، وهنا يوجد المجال الخاص بالمعرفة الفلسفية أو العلمية التي تبلور، في أوقات محددة من تاريخها، سلسلة من المعايير التي تسمح بتحديد ماهو صادق، سواء كان هذا الصديق مفكراً فيه باعتباره ملاءمة (= كفاية) أو باعتباره انسجاماً داخلياً أو باعتباره مشاكلًا

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.



# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

السيمبولوجيا ، مؤكداً بأن «اللسانيات ليست فرعاً ولو كان مميزاً، من علم الدلائل ، بل السيمبولوجيا هي التي تشكل فرعاً من اللسانيات»<sup>(٢٨)</sup>.

وبالتالي ، تجاوز تصور الوظيفتين الذين ربطوا بين العلامات والمقصدية ، وأكد على وجود أنساق غير لفظية حيث التواصل غير إداري ، ولكن البعد الدلالي موجود بدرجة كبيرة . وتعتبر اللغة الوسيلة الوحيدة التي تجعل هذه الأنساق والأشياء غير اللفظية دالة . حيث إن «كل المجالات المعرفية ذات العمق السوسبولوجي الحقيقي تفرض علينا مواجهة اللغة ذلك أن «الأشياء» تحمل دلالات . غير أنه ماكان لها أن تكون أنساقاً سيمبولوجية أو أنساقاً دالة لولا تدخل اللغة ولولا امتزاجها باللغة ، فهي فإذا تكتسب صفة النسق السيمبولوجي من اللغة . وهذا ما دفع ببارت إلى أن يرى أنه من الصعب جداً تصور إمكان وجود مدلولات نسق صور أو أشياء خارج اللغة بحيث إن إدراك ما تدل عليه مادة ما يعني اللجوء ، قدرياً ، إلى تقطيع اللغة ، فلا وجود لمعنى إلا لما هو مسمى ، وعالم المدلولات ليس سوى عالم اللغة» .

أما عناصر سيمياء الدلالة لدى بارت (Barthes) ، فقد حددها في كتابه (عناصر السيمبولوجيا) وهي مستقاة على شكل ثنائيات من الألسنية البنيوية وهي : اللغة والكلام ، الدال والمدلول ، المركب والنظام ، التقرير والإيجاء (الدلالة الذاتية والدلالة الإيجائية) .

وهكذا ، حاول رولان بارت (R. Barthes) التسلح باللسانيات لمقاربة الظواهر السيمبولوجية كأنظمة المؤضة ، والأساطير ، والإشهار ، إلخ . . .

وأخيراً ، يمكن للمقاربة العنوانية ، في بعدها السيمبويطيقي ، أن تستعين بشنائيات بارت اللسانية قصد البحث عن دلالة الأنساق اللفظية وغير اللفظية في الدواوين والقصائد الشعرية .

### (٤) مدرسة باريس السيمبويطيقية

يمثل هذه المدرسة السيمبويطيقية كل من كريماس (Greimas) ، وميشيل أريفي (Arrive) ، وكلود شابرول (Chabrol) ، وجان كلود كوكي (Jean claude coquet) . ويوضح أعمال هذه المدرسة الكتاب القيم الذي صدر تحت عنوان السيمبويطيقا ، مدرسة باريس سنة ١٩٨٢ ولقد وضع كلود كوكي في الفصل الأول من الكتاب ، الأسباب والدواعي ، التي دفعتهم إلى إرساء هذا الاتجاه ، وتأسيس هذه المدرسة السيمبويطيقية الجديدة وكان الفصل الأول على شكل بيان نظري ، ولقد وسعت المجموعة من مفهوم السيمبولوجيا الذي لا يتجاوز أنظمة العلامات ، إلى مصطلح السيمبويطيقا الذي يقصد به علم الأنظمة الدلالية . واعتمدت هذه المدرسة على أبحاث سوسير (Saussure) وهيا لمسيلف (Hjelmslev) وحتى بيرس (Pierce) ، بعد ترجمة نصوصه وكتاباته السيمبويطيقية من طرف دولادال (Deledalle) وجويل ريتوري (Joelle Réthoré) .

إن رواد هذه المدرسة ، كانوا يهتمون بتحليل الخطابات والأجناس الأدبية من منظور سيمبويطيقي قصد استكشاف القوانين الثابتة المولدة لمتظاهرات النصوص العديدة ، وإذا تأملنا أعمال رئيس المدرسة ، كريماس (Greimas) ، فقد انصبحت أبحاثه على النصوص السردية ، والحكاية الخرافية ، متأثرة في ذلك بعمل بروب (Propp) في استخلاص وظائف الخرافات الأسطورية الروسية العجيبة .

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

### III- الاتجاه الروسي

تعتبر الشكلانية الروسية، التمهيد الفعلي للدراسات السيميوطيقية في غرب أوروبا، لاسيما فرنسا واسمها الحقيقي جماعة (Opoiaz)، وهذه الجماعة أتت كرد فعل على الماركسية في روسيا، في مجال الفن ولقد تحامل على هذه الجماعة، كثير من الخصوم، فاتهموها بالشكلانية، كما فعل تروتسكي (Trotsky) في كتابه (الأدب والثورة) وماكسيم كوركي (Gorki) ولوناشارسكي، الذي وصف الشكلانية في سنة ١٩٣٠، بأنها «تخريب إجرامي ذو طبيعة أيديولوجية»<sup>(٢٩)</sup> ولقد كانت سنة ١٩٣٠، نهاية الشكلانيين الروس، حتى إن أحد السوسولوجيين الروس، أراد تطعيم المنهج الشكلي بالتحليل الاجتماعي الماركسي، كما هو الشأن بالنسبة لأرفاتوف، بيد أن إشعاعها انتقل إلى براغ. حيث جاكسون، يؤسس حلقة براغ اللسانية التي تولدت منها، اللسانيات البنيوية، وبقي الإرث الشكلي طي النسيان مدة طويلة، إلى أن ظهرت مدرسة بنيوية سيميائية أدبية وثقافية جديدة في جامعة تارتو بموسكو، والشكلانية الروسية، نشأت بسبب تجمعين ألا وهما:

(١) حلقة موسكو اللسانية التي تكونت سنة ١٩١٥ ومن أهم عناصرها البارزة جاكسون الذي أثرى اللسانيات بأبحاثه الفونيتيكية والفونولوجية، كما أغنى الشعرية بكثير من القضايا الإيقاعية والصوتية والتركيبية.

(٢) حلقة أبوياز (opoiaz) بلنينكراد، وكان أعضاؤها من طلبة الجامعة. أما عن خطوط التلاقي بين المدرستين هي: الاهتمام باللسانيات، والحماسة للشعر المستقبلي الجديد ولم تظهر الشكلانية، إلا بعد الأزمة، التي أصابت النقد والأدب الروسيين، وبعد انتشار الأيديولوجية الماركسية، واستفحال الشيوعية وربط الأدب بإطاره السوسولوجي، في شكل مرآوي انعكاسي مما أساء إلى الفن والأدب معا ولقد ارتكزت الشكلانية على مبدئين أساسيين، ألا وهما:

(١) أن موضوع الأدب هو الأدبية أي الخصائص الجوهرية المميزة لكل جنس أدبي على حدة.

(٢) التركيز على دراسة الشكل قصد فهم المضمون، أي شكلنة المضمون ورفض ثنائية الشكل والمضمون المبتدلة.

ولقد قطعت الشكلانية مراحل في البحث الأدبي واللغوي، ففي المرحلة الأولى، كان الاهتمام ينصب على التمييز بين الشعر والنثر، بينما المرحلة الثانية، كانت البحوث تتعلق بوصف تطور الأجناس الأدبية. ولقد نشرت وترجمت كثير من الدراسات الشكلانية في مجالات غريبة مثل Change. Poetique

ومن رواد الشكلانية الروسية، نجد، تينيانوف، إينجنباوم، شلوفسكي (Chklovski)، بروب (Propp)، توماشفسكي، وهؤلاء اهتموا بدراسة نصوص من الشعر والنثر، ومكاروفسكي (Mukarovsky)، كان اختصاصه وصف اللغة الشعرية. أما جاكسون، فلقد اهتم بقضايا الشعرية، واللسانيات العامة، خصوصا الصوتيات والفونولوجيا، أما فلاديمير بروب (Propp) فكان يشكل الحكاية الروسية العجيبة، ويقعد لها القواعد المولدة، للركام الهائل من النصوص السردية الخرافية الروسية. حيث حددها في وظائف معدودة، وفي بنية سردية منطقية ذات بعد ثلاثي (التوازن - اللاتوازن - التوازن).

أما ميخائيل باختين (Bakhtine) فقد ركز أبحاثه على جمالية الرواية وأسلوبيتها واهتم بالرواية البوليفونية، المتعددة الأصوات، وأثرى النقد الروائي بكثير من الفاهيم: كفضاء العتبة، والشخصية غير المنجزة الحوار تعبير عن تعدد الرؤى الأيديولوجية إلخ... وعليه، فأبحاث الشكلايين الروس، كانت نظرية وتطبيقية في آن واحد، ومن نتائج هذه الأبحاث، ظهور مدرسة تارتو (Tartu) التي تعتبر من أهم المدارس السيميولوجية الروسية ومن أعلامها البارزين نجد: يوري لوتمان (Iouri Lotman) صاحب «بنية النص الفني» وب. أوسينسكي (uspensky) وف تودوروف (Todorov) وليكومستيف وأ. م. بيتيغريسك. ولقد جمعت أعمال هؤلاء في كتاب جامع تحت اسم: (أعمال حول أنظمة العلامات... تارتو) (١٩٧٦) ولقد ميزت تارتو بين ثلاثة مصطلحات ألا وهي: السيميوطيقا الخاصة وهي دراسة لأنظمة العلامات ذات الهدف التواصل، والسيميوطيقا المعرفية EPisemiotique التي تهتم بالأنظمة السيميولوجية وما يشابهها، والسيميوطيقا العامة التي تتكفل بالتنسيق بين جميع العلوم الأخرى، ولكن تارتو اختارت السيميوطيقا ذات البعد الاستمولوجي المعرفي. وهكذا اهتمت هذه المدرسة بسيميوطيقا الثقافة، حتى أصبحنا نسمع عن اتجاه سيميوطيقي خاص بالثقافة، له فرعان: إيطالي وروسي وتعني جماعة موسكو - تارتو Tartu بالثقافة عناية خاصة باعتبارها الوعاء الشامل الذي تدخل فيه جميع نواحي السلوك البشري الفردي منه والجماعي وهذا السلوك - في نطاق السيميوطيقا - يتعلق بإنتاج العلامات واستخدامها، ويرى هؤلاء العلماء أن العلامة لا تكتسب دلالتها إلا من خلال وضعها في إطار الثقافة، فإذا كانت الدلالة لا توجد إلا من خلال العرف والاصطلاح، فهذان بدورهما هما نتاج التفاعل الاجتماعي، وعلى هذا فهما يدخلان في إطار آليات الثقافة. ولا ينظر هؤلاء العلماء إلى العلامة المفردة بل يتكلمون دوماً عن «أنظمة» دالة أي عن مجموعات من العلامات، ولا ينظرون إلى الواحد، مستقلاً عن الأنظمة الأخرى، بل يبحثون عن العلاقات التي تربط بينها، سواء كان ذلك داخل ثقافة واحدة (علاقة الأدب مثلاً بالبنيات الثقافية الأخرى مثل الدين والاقتصاد وأشكال التحية... إلخ) أو يحاولون الكشف عن العلاقات التي تربط بين تجليات الثقافة الواحدة عبر تطورها الزمني، أو بين الثقافات المختلفة (للتعرف على عناصر التشابه والاختلاف، أو بين الثقافة واللائقافة) (٣١).

أما عن مميزات الشكلائية الروسية، وهي:

(١) الاهتمام بخصوصيات الأدب، والأنواع الأدبية، أي البحث عن الأدبية.

(٢) شكلنة المضمون.

(٣) استقلالية الأدب عن الإفرازات والحشيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتاريخية.

(٤) التركيز على التحليل المحايد، قصد استكشاف خصائص العمل الأدبي.

(٥) التوفيق بين آراء بيرس وسوسير حول العلامة (أعمال ليكومستيف).

(٦) استعمال مطلع السيميوطيقا بدل السيميولوجيا.

(٧) الاهتمام بالسيميوطيقا الاستمولوجية والثقافة.

(٨) التركيز على الاختلاف والانزياح بين الشعر والشعر (شكلنة الاختلاف).



## عالم الفكر

(٩) الإيمان باستهلاك الأنظمة وتجديدها وتطورها باستمرار تلقاء ذاتها .

(١٠) لم تقتصر في أبحاثها على الأعمال القيمة والمشهورة في مجال الأدب ، بل توجهت إلى الأجناس الأدبية مهما كانت قيمتها الدنيا ، كأدب المذكرات والمراسلات ، قصد مساهمتها في إثراء الأعمال العظيمة مثلما فعل باختين (Bakhtine) في شعرية دويستفسكي .

### IV - الاتجاه الإيطالي

يمثل هذا الاتجاه كل من أمبرتو إيكو (Eco) وروسي لاندي (Rossilandi) ، اللذين اهتمتا كثيرا بالظواهر الثقافية باعتبارها موضوعات تواصلية وأنساقا دلالية على غرار سيميوطيقا الثقافة في روسيا . ويرى أمبرتو إيكو (Eco) أن الثقافة ، لا تنشأ إلا حينما تتوفر الشروط الثلاثة التالية :

أ - حينما يسند كائن مفكر وظيفة جديدة للشيء الطبيعي .

ب - حينما يسمي ذلك الشيء باعتباره يستخدم إلى شيء ما ، ولا يشترط أبدا قول هذه التسمية بصوت مرتفع كما لا يشترط فيها أن تقال للغير .

ج - حينما نتعرف على ذلك الشيء باعتباره شيئا يستجيب لوظيفة معينة وباعتباره ذا تسمية محددة ، ولا يشترط استعماله مرة ثانية وإنما يكفي مجرد التعرف عليه<sup>(٣١)</sup> .

أمبرتو إيكو ، يؤكد على أن كل تواصل عبارة عن سلوك مبرمج ، وأن أي نسق تواصلية يؤدي وظيفة ما ، وبالتالي ، يمكن لأي نسق ذي صبغة مندمجة ، أن يؤدي دورا تواصليا . ومن ثم ، فالثقافة ، لا تنحصر مهمتها في التواصل فقط ، بل إن فهمها فهما حقيقيا مشمرا لا يتم إلا بمظهرها التواصلية ، لذا ، فقوانين التواصل هي قوانين الثقافة . وبالتالي ، نلاحظ مدى الترابط والتساق الموجد بين القوانين المنظمة للتواصل ، والقوانين المنظمة للثقافة . وبناء على هذا ، فقوانين التواصل ، هي قوانين ثقافية ، ويعني هذا ، أن قوانين الأنساق السيميوطيقية هي قوانين ثقافية . أما روسي لاندي (Rossi Landi) ، فإنه يحدد السيميوطيقا من خلال أبعاد البرمجة ، التي يمكن حصرها عنده في ثلاثة أنواع :

(١) أنماط الإنتاج (مجموع قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج)

(٢) الأيديولوجيات (تخطيطات اجتماعية لنمط عام)

(٣) برامج التواصل (التواصل اللفظي وغير اللفظي)

إن السيميوطيقا لدى لاندي هي تعرية للدليل الأيديولوجي ، وفضح مع تعرية البرمجة الاجتماعية للسلوك الإنساني . وتحرير الدليل من الاستيلاء وإرساء الحق والخبر الصادق ، والكشف عن الوهم والأيديولوجيا ، وهذه السيميوطيقا تتسم بالنزعة الإنسانية : لأنها تركز على الإنسان والتاريخ ، والسيميوطيقا عند روسي لاندي علم شامل للدليل وللتواصل ( اللفظي ومهما كان المجال المدروس ) ينبغي أن تعنى مباشرة لا بالتبادل وتطوراته ، بل ينبغي أن تعنى أيضا بالإنتاج والاستهلاك ، لا بقيم التبادل فحسب ، بل بقيم الاستعمال الدلالية أيضا . ومن الواضح ، أن قيم التبادل الدلالية لا يمكنها أن توجد بدون قيم الاستعمال الدلالية ، وأن قيم الاستعمال الدلالية لا يمكنها أن تتجسد بدون قيم التبادل الدلالية . وبالتالي ، فالسيميوطيقا لا يمكنها أن

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

أظهر «البحث السيميولوجي أهمية العنوان في دراسة النص الأدبي، وذلك نظرا للوظائف الأساسية (المرجعية والإفهامية والتناصية) التي تربطه بهذا الأخير وبالقارئ»، ولن نبالغ إذا قلنا إن العنوان يعتبر مفتاحا إجرائيا في التعامل مع النص في بعده: الدلالي والرمزي»<sup>(٣٤)</sup>.

وهكذا، فإن أول عتبة يطوؤها الباحث السيميولوجي، هو استنطاق العنوان واستقراؤه، بصريا ولسنيا، أفقيا وعموديا، ولعل القارئ يدرك مقدار الأهمية التي يوليها الباحثون المعاصرون لدراسة العناوين، خاصة وأنه قد ظهرت بحوث ودراسات لسانية وسميائية عديدة في الآونة الأخيرة وذلك بغية دراسة العنوان وتحليله من نواحيه التركيبية والدلالية والتداولية»<sup>(٣٥)</sup>. ومن بين هذه الكتابات نجد:

- (1) Molen (J): 1974 "sur les titres de Jean Bruce" inlangages No.35 . Paris, Larousse p. 88.
- (2) Rey Debove, josette: Essai de Typologie Semiotique des Titres d'oeuvres ed. Mouton 1979.
- (3) Gerard Genette: seuils ed seuil 1987.
- (4) Leo Hoek: Lamarque du titre ed. Mouton 1973
- (5) Rifaterre, M(1983): Semiotique de la poesie. seuil. Paris
- (6) R.Barthes (1985) : L'aventure semiologique ed Seuil.
- (7) Roget Rofer: L'introduction á la textologie, vérification. Etablissement ed Larousse 1972.
- (8) Ch. Grivel: Production de L'intérêt Romanesque, Mouton 1973.
- (٩) روبرت شولز (Robert Scholes) (سيمياء النص الشعري) من كتاب اللغة والخطاب الأدبي<sup>(٣٦)</sup>.
- (10) G. Genette: Palimpsestes.Seuil 1983.
- (11) Cerard Vigner: (Une unitédiscursive restreinte: le titre) in: Le Francais dans Le Monde No.156 octobre 1980.
- (12) Jean cohen: structure du langage Poétique . coll. Novel le bibiothèque scientifique .flammarion. Paris 1966.

وعلى الرغم من هذه الأبحاث والدراسات، فإن مقاربة العنوان في حقل البويطيقا مازال حديث العهد، وقد قال كوهن عن العنونة بأنها «واقعة قلما اهتمت بها الشعرية حسب علمي».

ويرى جون كوهن، بأن العنوان من مظاهر الإسناد والوصل والربط المنطقي، وبالتالي، فالنص إذا كان بأفكاره المبعثرة، مسندا، فإن العنوان، مسند إليه، فهو الموضوع العام، بينما الخطاب النصي، يشكل أجزاء العنوان، الذي هو بمثابة فكرة عامة أو محورية، أو بمثابة نص كلي. ويؤكد كوهن على أن الشر- علميا كان

## عالم الفكر

أم أدبيا - يتوفر دائما على العنوان، أي إن العنونة من سمات النص الثري كيفما كان نوعه، لأن الشر قائم على الوصل والقواعد المنطقية، بينما الشعر يمكن أن يستغني عن العنوان، ما دام يستند إلى الانسجام، ويفتقر إلى الفكرة التركيبية التي توحد شتات النص المبعثر، وبالتالي، قد يكون مطلع القصيدة عنوانا. وهكذا، فالعنوان، حسب كوهن يرتبط بالشر، والانسجام والوصل والربط المنطقي، بينما الشعر يمكنه الاستغناء عن العنونة والتسمية ما دام ينبنى على اللاتساق والانسجام.



يقول كوهن: «إن الوصل، عندما ينظر إليه من هذه الزاوية، لا يصبح إلا مظهراً للإسناد، والقواعد المنطقية التي تصلح للآخر. إن طرفي الوصل، ينبغي أن يجمعهما مجال خطابي واحد. يجب أن تكون هناك فكرة هي التي تشكل موضوعهما المشترك، وغالبا ما قام عنوان الخطاب بهذه الوظيفة. إنه يمثل المسند إليه أو الموضوع العام، وتكون كل الأفكار الواردة في الخطاب مستندات له، ونلاحظ مباشرة أن كل خطاب ثري علميا كان أم أدبيا، يتوفر دائما على عنوان، في حين أن الشعر يقبل الاستغناء عنه، على الرغم من أننا نضطر إلى اعتبار الكلمات الأولى في القصيدة عنوانا. وهذا، ليس إهمالا ولا تأثقا. وإذا كانت القصيدة تستغني عن العنوان فلأنها تفتقر إلى تلك الفكرة التركيبية التي يكون العنوان تعبيراً عنها» (٣٧).

وهكذا، فالعنونة الشعرية، انزياح وخرق وانتهاك، لمبدأ العنونة في الشر وذلك من خلال الفروقات بين الشعر والشر، فكوهن، يؤكد بأن الفرق بينهما، يكمن في أن الشر أو الفكر العلمي، يركز على الانسجام الفكري والترابط المنطقي. وإذا انعدمت القواعد المنطقية فلأنها تستحضر لدى المتلقي بشكل بديهي. أما الشعر الحديث، فإنه ينبنى على الانسجام مصداقا لقول كوهن (cohen) «لقد ثبت أن الانسجام الفكري شيء يتحقق في الفكر العلمي، وليس ضروريا استحضار الأمثلة. كل جملة تقود عادة إلى الجملة الموالية، وإذا انعدمت هذه الروابط، فلأنها تكون من قبيل البديهييات التي يفترض المؤلف، عن حق، أن القراء قادرون على استحضارها والأمر ليس كذلك في الشعر وخاصة الحديث منه، إذ يوجد بين الكلاسيكيين والمحدثين فارق أساسي بصدد هذه النقطة» (٣٨).

إن العنونة هي أولى المراحل التي يقف لديها الباحث السيميولوجي لتأملها واستنطاقها، قصد اكتشاف بنيتها وتراكيبها ومنطوقاتها الدلالية ومقاصدها التداولية. إن العناوين عبارة عن علامات سيميوطيقية تقوم بوظيفة الاحتواء للدلول النص، كما تؤدي وظيفة تناصية. إذا كان العنوان يحيل على نص خارجي، يتناسل معه ويتلاقح شكلا وفكرا، وهكذا... يمكن أن تشتغل العناوين علامات مزدوجة حيث إنها في هذه الحالة تحتوي القصيدة التي تتوجهها وفي الوقت نفسه تحيل على نص آخر، وبما أن المؤول يمثل نصا، فهو يؤكد واقع

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

وأصادف هذه الأشياء، فإني أخضعها، بدافع الحاجة، ودون أن أعي ذلك، لنفس النشاط، الذي هو نشاط قراءة. يقضي الإنسان المعاصر وقته في القراءة. إنه يقرأ أولاً، وبصورة خاصة، صوراً، إيماءات وسلوكات هذه السيارة تطلعني على الوضع الاجتماعي لصاحبها، وهذا اللباس يطلعني، بدقة، على مقدار امتثالية لابسه أو شذوذه، وهذا المشروب الفاتح للشهية (الويسكي، البرنو أو النبيذ الأبيض المزوج بخالص الكشمس) يطلعني على أسلوب مضيبي في الحياة. وحتى عندما يتعلق الأمر بنص مكتوب، فإنه يسمح لنا بأن نقرأ، دائماً رسالة ثانية بين سطور الأولى: لو قرأت بخط بارز «فزع بول (Paul) السادس - فذلك معناه: إذا قرأت ما تحت العنوان ستدرك السبب. وكلها قراءات على قدر كبير من الأهمية في حياتنا. إنها تتضمن قيماً مجتمعية، أخلاقية، وأدلوحة كثيرة، لابد، للإحاطة بها، من تفكير منظم. هذا التفكير هو ما ندعوه هنا على الأقل، سيميولوجيا»<sup>(٤٣)</sup>.

إن العناوين، هي رسائل مسكوكة، مضمنة بعلامات دالة، مشبعة برؤية للعالم، يغلب عليها الطابع الإيجائي. لذا فعلى السيميولوجيا، أن تدرس العناوين الإيجائية الدالة قصد فهم الأدلوحة والقيم التي تزرع بها وفي هذا الصدد يضيف بارت (Barthes): «كان الاعتقاد في بداية المشروع السيميولوجي بأن المهمة الرئيسية تكمن - بتعبير سوسير (saussure) - في دراسة هيئة الأدلة داخل الحياة المجتمعية. وبالنتيجة - إعادة تكوين الأنظمة الدلالية للأشياء (ألبسة - أطعمة، صور، طقوس، رسميات، موسيقى، الخ. .) وهي مهمة ينبغي إنجازها. لكن باقتحام السيميولوجيا لهذا المشروع الضخم، سلفاً، اعترضتها، مهام أخرى، كدراسة تلك العمليات العجيبة، التي يصير للرسالة بموجبها، معنى ثانٍ، شائع وأدلوحي عموماً، يدعى «معنى إيجائياً» لو قرأت في صحيفة هذا العنوان «يسود بومباي جو من الورع لا يحرم البذخ، فإني أتلقى، بالتأكيد خبراً حرفياً حول المجتمع القرطاني، لكنني التقطت، كذلك، جملة مسكوكة بكونها توازن للمعارضات يجليني إلى رؤية للعالم، هذه ظواهر دائمة، وينبغي الشروع منذ الآن، بدراستها على نطاق واسع، وارتباطاً بكل مصادر اللسانيات».

وهناك من الدارسين الذين نزعوا إلى تحليل العنوان بالإفادة من وظائف اللغة التي قال بها رومان جاكبسون (R. Jakobson) في كتابه (قضايا الشعرية)، فيتبين أن للعنوان، وظيفة انفعالية ومرجعية وانتهائية وجمالية، وميتالغوية، وقد تتسع هذه الوظائف لتشمل مثلاً عند هنري ميتران (henri Mitterand) الوظيفة التعيينية، التحريضية (حث فضول المرسل إليه ومناداته) والوظيفة الأيديولوجية. وقد يكون للعنوان وظيفة بصرية وأيقونية. وكما حدد جيرارجنيت (G. Genette) الباحث البويطيقى الفرنسي وظائف أخرى للعنوان، سنذكرها في الصفحات الموالية.

إن العنوان عبارة عن رسالة، وهذه الرسالة يتبادلها المرسل والمرسل إليه، يساهمان في التواصل المعرفي والجمالي، وهذه الرسالة مسننة بشفرة لغوية، يفككها المستقبل، ويؤولها بلغته الواصفة أو الماورا لغوية، وهذه الرسالة ذات الوظيفة الشاعرية أو الجمالية ترسل عبر قناة وظيفتها الحفاظ على الاتصال. وإليك هذه الخطاطة لتحديد وظائف العنوان:

لفهم هذه الوظائف، لابد من الاعتماد على مفهوم رومان جاكبسون الشاعري (R. Jakobson)، ألا وهو

## عالم الفكر

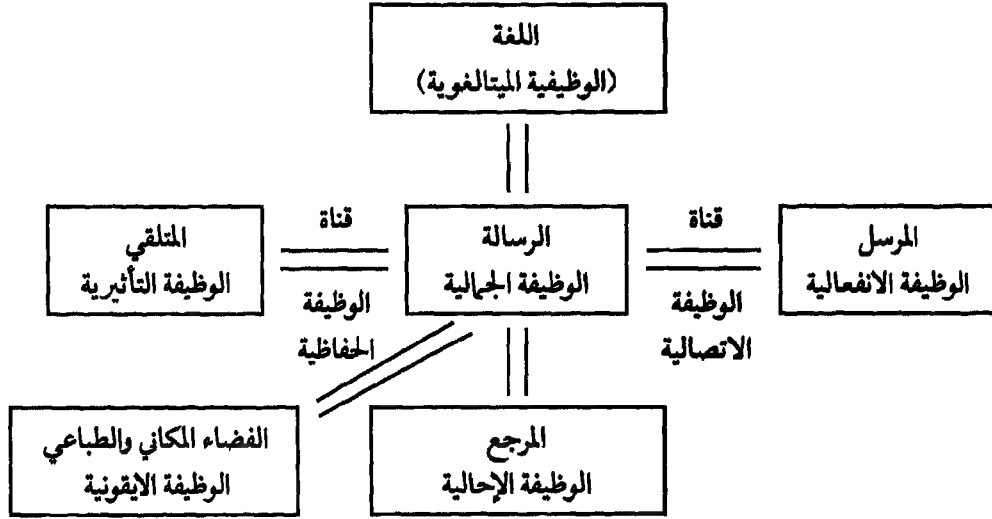
الوظيفة	تمركزها	تعريف ووصف الوظيفة	طبيعة الوظيفة
المرجعية (الإحالية) جاكبسون	المرجع النصي أو الواقع المادي	إن هذه الوظيفة، تتركز على موضوع الرسالة، باعتباره مرجعا وواقعاً أساسياً تعبر عنه الرسالة، وهذه الوظيفة موضوعية لا وجود للذاتية فيها، نظراً لوجود الملاحظة الواقعية، والنقل الصحيح، والانعكاس المباشر.	معرفية موضوعية
الانفعالية جاكبسون	المرسل أو ( المتكلم / المخاطب )	تحدد العلاقات الموجودة بين المرسل والرسالة. وهذه الوظيفة تحمل في طياتها انفعالات ذاتية، وقبياً ومواقف عاطفية، ومشاعر وإحساسات. يسقطها المتكلم عن موضوع الرسالة المرجعي، في هذه الوظيفة، يتم التعبير عن موقفنا، إزاء هذا الشيء، فنحسه جيداً أو سئياً، جميلاً أو قبيحاً، مرغوباً فيه. أم مدموماً، محترماً أم مضحكاً. وهذه الوظيفة ذاتية على عكس الأولى، موضوعية معرفية.	عاطفية ذاتية
التأثيرية جاكبسون	المتلقي، المخاطب المرسل إليه	تحدد العلاقات الموجودة، بين الرسالة والمتلقي، حيث يتم تحريض المتلقي وإثارة انتباهه، وإيقاظه عبر الترغيب والترهيب، وهذه الوظيفة ذاتية.	عاطفية ذاتية
الشعرية أو الجمالية أو البوطيقية	الرسالة في حد ذاتها	إنها تحدد العلاقات الموجودة بين الرسالة وذاتها، وتحقق هذه الوظيفة إبان إسقاط المحور الاختياري على المحور التركيبي، وعندما يتحقق الانتهاك والانزياح المقصود. وتنتمى هذه الوظيفة بالبعد الفني والجمالي والشاعري.	عاطفية ذاتية
التواصلية أو الحفاظية (إقامة الاتصال) جاكبسون	القناة (الاتصال في ذاته)	تهدف هذه الوظيفة إلى تأكيد التواصل، واستمرارية الإبلاغ، وتثبيتته أو إيقافه، إنها حسب مالبينفسكي نبرة تؤكد على الاتصال أو تسمح بالتبادل الوافر للأشكال الطقوسية، أو لحوارات كاملة لا هدف لها سوى إطالة الحديث.	معرفية موضوعية
المتنا لغوية (ما وراء اللغة) جاكبسون	السنن/ اللغة	تهدف هذه الوظيفة إلى تفكيك الشفرة اللغوية بعد تسنينها من طرف المرسل، والهدف من السنن هو وصف الرسالة وتأويلها مستخدماً المعجم أو القواعد اللغوية والنحوية المشتركة بين المتكلم والمرسل إليه.	معرفية موضوعية
البصرية أو الأيقونية (ترنس هوكس) <sup>(٤٤)</sup>	الفضاء المكاني والطباعي	تهدف هذه الوظيفة إلى تفسير البصريات والألوان والأشكال والخطوط الأيقونية للبحث عن المماثلة أو المشابهة بين العلامات البصرية ومرجعها الإحالي أنها تركز على الفضاء البصري والطباعي.	عاطفية ذاتية

## عالم الفكر

(القيمة المهيمنة la valeur dominante)، لأن العنوان في نص ما، قد تغلب عليه وظيفة معينة دون أخرى «إن كل الوظائف التي حددناها سالفًا متمازجة، إذ إننا نعانيها مختلطة بنسب متفاوتة، في رسالة واحدة، وتكون الوظيفة الواحدة منها غالبية على الوظائف الأخرى حسب نمط الاتصال.

على أن فهم مضمون الرسالة يتطلب الاعتماد على الوظائف المرجعية (الموضوعية، المعرفية) والوظيفة العاطفية (الذاتية، التعبيرية)، إنها نمط التعبير السيميائي الأكبران اللذان يتعارضان تضادًا بحيث إن مفهوم «وظيفة الكلام المزدوجة» يمكن أن ينسحب على كل أشكال الدلالة<sup>(٤٥)</sup>.

هذا، وإن العنوان، من أهم العناصر التي يستند إليها النص الموازي (Paratexte)، وهو بمثابة عتبة



تمحيط بالنص، عبرها تقتحم أغوار النص، وفضاء الرمزي والدلالي، أي أن النص الموازي هو دراسة للعتبات المحيطة بالنص، ويقصد بهذه العتبات «المدخل التي تجعل المتلقي يمسك بالخيوط الأولية والأساسية للعمل المعروف، وهو أيضا البهو - Vestibule - بتعبير لوي بوخيس (Louis Bourges)، الذي منه ندلف إلى دهاليز نتحاور فيها مع المؤلف الحقيقي والتمثيل، داخل فضاء تكون إضاءته خافتة والحوار قائم في شكله العمودي والأفقي حول النص ومكوناته المتعددة التي تربط من خلالها مع المحكي علاقات عدة، باعتبار أن الرواية (أو الديوان الشعري) تتضمن نصًا موازيًا (Paratexte)، الذي هو ما يتكون منه كتاب ما، ويفككه جيرار جنيت (G. Genette) إلى النص المحيط (peritexte)، والنص الفوقي (Epitexte). بمعنى أن النص المحيط يتضمن فضاء النص من عنوان ومقدمة وعناوين فرعية داخلية للفصول، بالإضافة إلى الملاحظات التي يمكن للكاتب أن يشير إليها، وكل ما يتعلق بالمظهر الخارجي للكتاب، كالصورة المصاحبة لغلاف أو كلمة الناشر على ظهر الغلاف أو مقطع من المحكي.

أما النص الفوقي فتندرج تحته كل الخطابات الموجودة خارج الكتاب متعلقة به، وتدور في فلكه مثل الاستجوابات والمراسلات الخاصة والشهادات وكذلك التعليقات والقراءات التي تصب في هذا المجال<sup>(٤٦)</sup>.



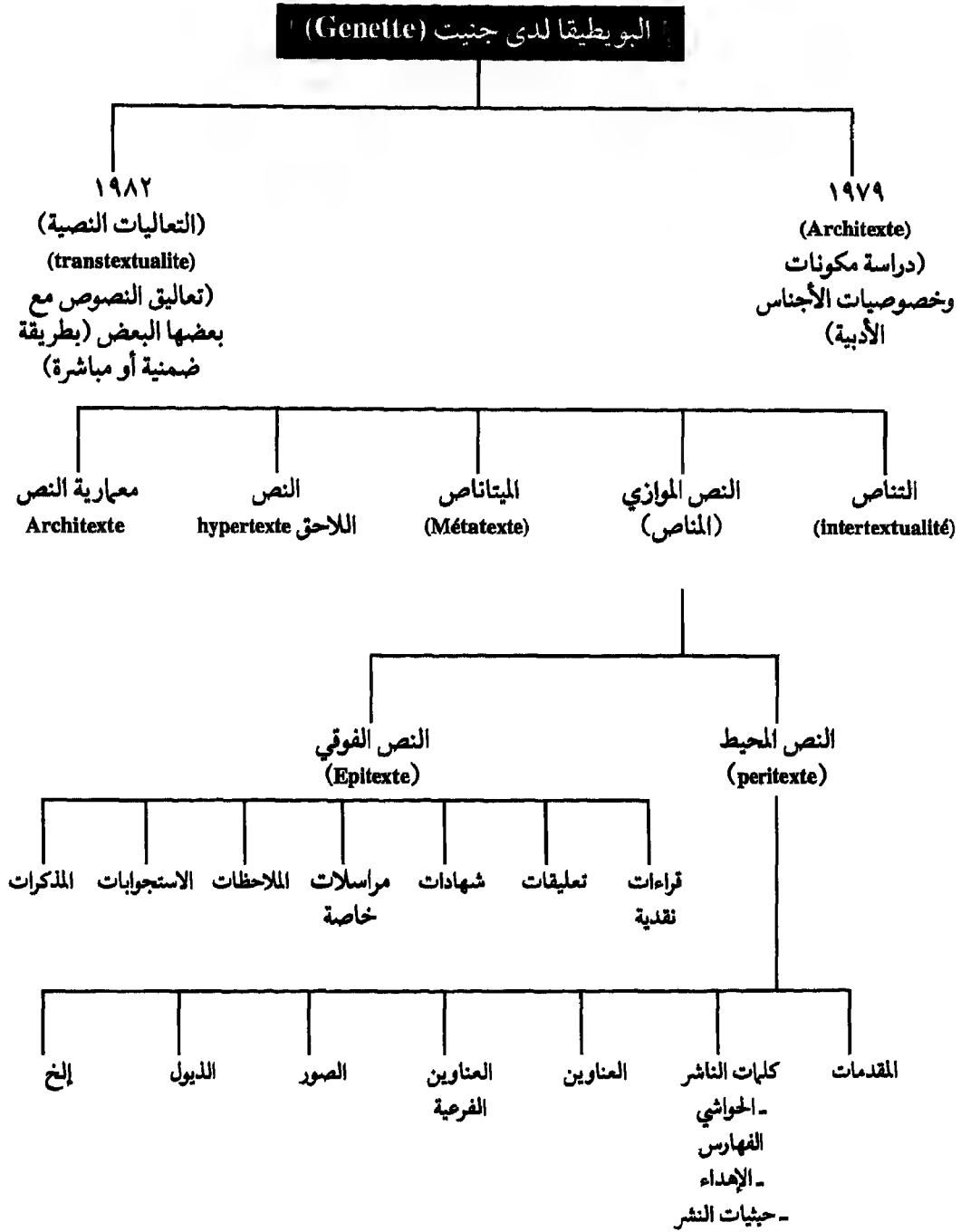
# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

(٥) معمارية النص: تتحد في الأنواع الفنية والأجناس الأدبية: شعر - رواية - بحث... إلخ. انه تنميط تجريدي، يستند إلى تحديد خصائص شكلية وقوالب بنيوية للأنواع الأدبية وهناك علاقات وطيدة بين هذه الأنماط الخمسة من التعاليات النصية. ويعتبر النص الموازي من أكثر المفاهيم شيوعاً وذيوعاً، حيث خصصت له مجلة «بويطيقا» عدداً خاصاً. وكتب جنيت عنه كتاباً سماه: «عتبات» Seutifs



## عالم الفكر

ويعرف سعيد يقطين النص الموازي بقوله : «إن المناصة (Paratextualité) هي عملية التفاعل ذاتها وطرفاها الرئيسان هو النص والمناص (Paratexte) . وتتحدد العلاقة بينها من خلال مجيء المناص كبنية نصية مستقلة ، ومتكاملة بذاتها . وهي تأتي مجاورة لبنية النص الأصل كشاهد تربط بينهما نقطة التفسير . أو شغلها لفضاء واحد في الصفحة عن طريق التجاوز، كأن تنتهي بنية النص الأصل بنقطة ويكون الرجوع إلى السطر، لنجد أنفسنا أمام بنية نصية جديدة لا علاقة لها بالأولى إلا من خلال البحث والتأمل»<sup>(٤٨)</sup>.

إن الشعرية حسب جنيت (Genette) تدرس التعالي النص (Transcendance textuelle du texte) أو المتعاليات النصية (Transtextualité)، ومفهوم التعالي النصي هو حسب جنيت كل الذي يجعله في علاقة، ظاهرة أو مخفية . مع باقي النصوص، فالتعالي النصي، يتجاوز، إذا، ويضم المعمارية النصية (L'architextualité) وبعض الأنماط الأخرى من العلاقات النصية المتعالية<sup>(٤٩)</sup>.

إن النص الموازي هو عنصر من عناصر التعالي النصي الذي حدده جنيت ويشكل مع معمارية النص والميناصية، والنص اللاحق، موضوع الشعرية poétique لدى جنيت (Genette) بعد أن كانت الشعرية تعني لديه في بداية الأمر، ليس النص في فرادته . لأن هذا موضوع النقد، بل المعمارية النصية (L'architexte) والمعمارية النصية هي ترادف لأدبية الأدب أي مجموع المقولات العامة، أو المتعالية، أنماط الخطاب، صيغ التلفظ، الأجناس الأدبية، ولكن هذا المفهوم الذي أعطي للشعرية سنة ١٩٧٩ في كتابه «مدخل إلى المعمارية النصية»<sup>(٥٠)</sup> «Introduction» استبد له جنيت في كتابه (Palimpsestes) سنة (١٩٨٢)، محددًا إياه بأنه يعني التعالي النصي<sup>(٥١)</sup>.

إن المقصود بالنص الموازي لدى جنيت (Genette)، هو العنوان الأساس، العنوان الفرعي، العناوين الداخلية (intertitres)، المقدمات، الملحقات، أو الذيل، التنبيهات، التوطئة، التقديم، الفاتحة، الملاحظات الهامشية، تحت الصفحات، النهايات، النقوشات الكتابية، العبارات التوجيهية . فكرة الكتاب (وهي عبارة توضع في صدر الكتاب وتلخص فكرة المؤلف)، الأمثلة والشروح، الإهداءات، الرباطات الملفوفة، وأيضًا الأنماط الأخرى من العلامات، والإشارات الثانوية، مثل المخطوطات المنسوخة، أي توقيعات المؤلف وكتابته الخطية الأصلية . وكل هذه المعطيات تحيط بالنص من الخارج أكثر من الداخل . وهي عبارة عن عتبات أولية بها، ندخل إلى أعماق النص وفضاءاته الرمزية المتشابكة<sup>(٥٢)</sup>.

إن النص الموازي، كما يرى جنيت (Genette)، هو - خصوصًا - منجّم من الأسئلة بدون أجوبة<sup>(٥٣)</sup> وهكذا، اعتبرت المكونات الخمسة للمتعاليات النصية (التناص، النص الموازي، إلخ . . .) لا أقسام للنصوص ولكن كمظاهر للنصية . والعنوان في الحقيقة جنس له مكوناته البويطيقية، وخصائصه البنيوية، كالتقديم مثلاً يقول جنيت (Genette) : «إن التقديم، (كالعنوان) هو جنس، وكذلك النقد (ميتاناص)، هو بديهيًا، جنس»<sup>(٥٤)</sup>، أي إن العنوان باعتباره مظهرًا وقسمًا من أقسام النصية، يعتبر بمفرده جنسًا أدبيًا مستقلًا كالنقد والتقديم إلخ . . . ويعني هذا، أن له، مبادئه التكوينية، ومميزات

## عالم الفكر

التجنيسية. ونحن على حق، حينما اعتبرنا العنوان، مقارنة نصية تحت اسم «المقاربة العنوانية»، لأن العنوان بمفرده، يمكن من خلاله تفكيك النص إلى بنياته الصغرى والكبرى، قصد إعادة تركيبه من جديد: نحواً، ودلالة، وتداولاً، من الأسفل إلى الأعلى، ومن الأعلى إلى الأسفل، من الداخل إلى الخارج، ومن الخارج إلى الداخل.

لقد أحس جنيت (Genette) بصعوبة كبيرة، حينما أراد تعريف العنوان، نظراً لتركيبته المعقدة والعويصة عن التنظير بقول جنيت: «ربما كان التعريف نفسه للعنوان يطرح، أكثر من أي عنصر آخر للنص الموازي، بعض القضايا، ويتطلب مجهوداً في التحليل، ذلك أن الجهاز العنواني، كما نعرفه منذ النهضة (...). هو في الغالب مجموعة شبه مركبة، أكثر من كونها عنصراً حقيقياً، وذات تركيبية لا تمس بالضبط طولها»<sup>(٥٥)</sup>.

إن طول العنوان أيضاً يثير مشاكل عويصة، من حيث التنظير والتطبيق المنهجي فلا «شيء» إذن يحدد طول العنوان من الناحية النظرية<sup>(٥٦)</sup>.

ويقسم جنيت (Genette) العنوان إلى ثلاثة أقسام:

(١) العنوان (الأساس أو الرئيس)

(٢) العنوان الفرعي

(٣) التعيين الجنسي

كما يحدد للعنوان وظائف أربعة أساسية ألا وهي:

(١) الإغراء

(٢) الإيحاء

(٣) الوصف

(٤) التعيين

وهكذا، فإن إشكالية العنوان، تطرح أسئلة متعددة اعتبرها جنيت مسألة تفرض نوعاً من التحليل، لكن دراسة ليوهويك (Leo Hoek) تبقى هي الدراسة الأعمق، والتي تناولت العنوان من منظور مفتوح توطئه السيميائيات فضلاً عن اطلاعه على تاريخ الكتابة، هو العنوان وتمحيصه له في إطار علاقاته التركيبية، والمقطعية، منطلقاً من تعريفه له كمجموعة علامات لسانية، تصور، وتعين، وتشير إلى المحتوى العام للنص<sup>(٥٧)</sup>.

من الناحية السيميائية، هناك علاقة إنسالية بين العنوان والنص، مما يشكلان معاً بنية شاملة. وبالتالي يعزى ذلك بالقول مع جيرار فينييه (Gerard Vigner): «إن العنوان والنص يشكلان بنية معادلة كبرى: العنوان: النص»<sup>(٥٨)</sup>. أي أن العنوان، بنية رحمة، تولد معظم دلالات النص، فإذا كان النص هو المولود، فإن العنوان هو المولد الفعلي لتشابكات النص، وأبعاده الفكرية والأيدولوجية وهكذا، يكون عنوان نص شعري، أو رواية ما

## عالم الفكر

(يعلن عن نفسه كجملة أولى في النص، مؤكدا تبعيته ( . . . ) لأن الجملة الأولى تنمطية للعنوان الذي يشير في الغالب إلى بطل الرواية أو إلى حدثها الأساسي كما يقول ليو. هريك<sup>(٥٩)</sup>. أو قد يعلن العنوان عن نفسه «كعنصر نصي يلد الرواية في عملية دقيقة جدا، أو كحافز» بتعبير كلود دوشيه<sup>(٦٠)</sup>.

وهكذا، ترتب ولادة النص الشعري أو الروائي، بمزدوجة مكون مما يسميه ريكاردو بـ «الجزر التوليدي» أي عنوان النص، و«عملية الإنسال» أي تشكيل النص<sup>(٦١)</sup> فالركب العنوان، يمثل بحق الرحم الخصب الذي يتمخض فيه نص القصيدة الشعرية ويتخلق وينمو.

إن التسلسل بالمقاربة السيميولوجية، مسألة ضرورية حينما يجد القارئ نفسه أمام نص شعري معاصر، نظرا لصعوبة هذا الشعر وغموضه، وتعقيداته الانزياحية: مبنى ودلالة.

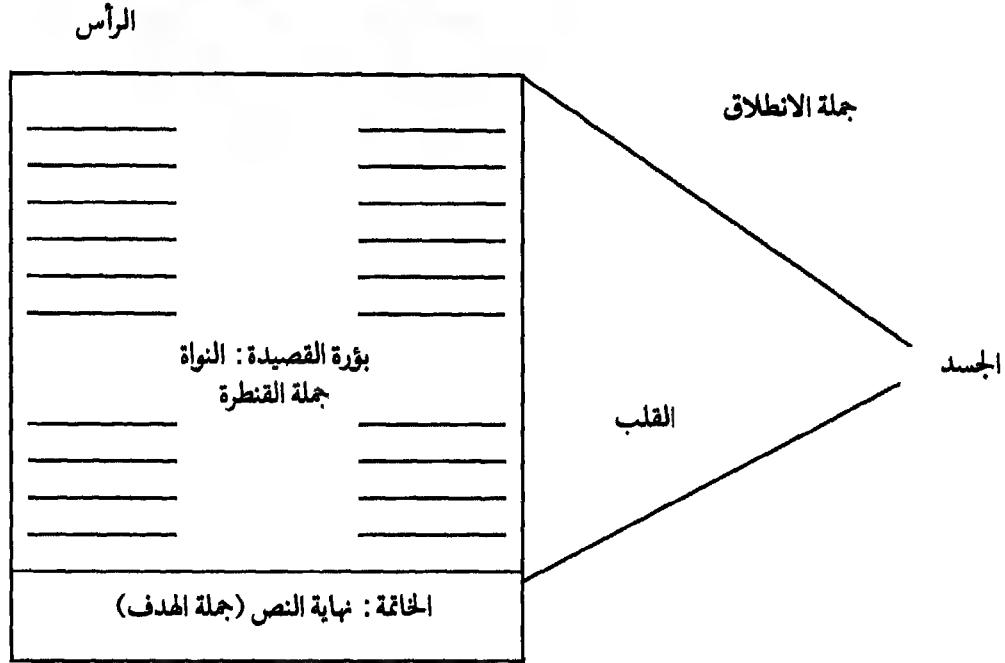
ويعد العنوان أول مفتاح إجرائي به نفتح مغالق هذا النص سيميائيا، من أجل تفكيك مكوناته قصد إعادة بنائها من جديد. وهكذا فالشعر المعاصر، لا يقدم نفسه للمحلل على طبق من ذهب ليتلعه بكل سهولة.

ولأننا عليه أن يتسلح بعناد جوهري، دفاعي للاقتراب من مادته، وهذه الرغبة في الاقتراب تجعلنا نسلك استراتيجية مضبوطة وحيلة تكتيكية خاصة - أي نظرية بمبادئها ومفاهيمها - ونستخدم مفاهيم محلية تارة أخرى، وأول الحيل التكتيكية هي الظفر بمغزى العنوان، والمفهوم المحلي الذي نستخدمه لهذا الغرض هو: من القاعدة إلى القمة (Top - down)، ومن القمة إلى القاعدة (Bottom)، ومعنى هذا، أنه يجب فهم معاني الكلمات المعجمية وبنية الجملة، ومعناها المركب «أي من القاعدة إلى القمة»، وعلى أساس هذه الجملة نتوقع ما يحتمل أن يتلوها من جمل «أي من القمة إلى القاعدة»<sup>(٦٢)</sup>.

ولابد من مراعاة السياق المحلي، أثناء مقارنة العنوان وتأويله، وإلا تعسف السيميولوجي في التفسير والتحليل وإذا «كانت المشابهة وما تدعوه من توقع وانتظار بناء على معرفتنا المتراكمة للعالم، تجعلنا نفتحم عالم القصيدة الرحب في اطمئنان، اعتمادا على ما أوصى به العنوان، فإننا مع ذلك، سنقيد أنفسنا بمبدأ التأويل المحلي، لئلا نسقط على القصيدة كل ماتراكم لدينا من تجارب ونقولها ما لم تقل»<sup>(٦٣)</sup>.

.. إن العنوان بمثابة رأس للجسد، والنص تمطيط له، وتحوير، إما الزيادة أو الاستبدال أو النقصان، أو التحويل. إن العنوان بالنسبة للسيميولوجي بمثابة بؤرة ونواة للقصيدة الشعرية. يمددها بالحياة والروح والمعنى النابض «إن العنوان يمدنا بزيادة ثمين لتفكيك النص ودراسته، ونقول هنا: إنه يقدم لنا معرفة كبرى لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه، وهو الذي يحدد هوية القصيدة، فهو - إن صحت المشابهة بمثابة الرأس للجسد - والأساس الذي تبنى عليه، غير أنه إما أن يكون طويلا فيساعد على توقع المضمون الذي يتلوه. وإما أن يكون قصيرا، وحيث، فإنه لابد من قرائن فوق لغوية توحى بما يتبعه»<sup>(٦٤)</sup> إن القصيدة تنبني على مقومات ثلاثة: العنوان - بؤرة القصيدة - النهاية، على الشكل التالي:

العنونة



وهكذا، فالعنوان، هو بمثابة الموجه الرئيس للنص الشعري، هو الذي يؤسس غواية القصيدة والسلطة في التعيين والتسمية، أما النواة، فتتمركز، في وسط القصيدة. وهي بمثابة قلب الجسد، وهي الجملة الهدف، وما قبل البؤرة وبعدها، لا يوجد حشو، يمكن الاستغناء عنه، بل نجعل ذلك سببا ونتيجة، والخاتمة هي نتيجة النص ونهايته، هي تعود على بدء القصيدة. إن العنوان، لدى السيميائيين، بمثابة سؤال إشكالي، بينما النص، هو بمثابة إجابة عن هذا السؤال، إن العنوان، يحيل على مرجعية النص، ويحتوي العمل الأدبي في كليته وعموميته، كما أن العنوان يؤدي وظيفة إيحائية «إذا نحن سلمنا مع (ش. غريفل Grivel) ب «سلطة النص» التي يؤسسها العنوان - حسب غريفل (Grivel) دائما - «يتضمن العمل الأدبي بأكمله بنفس القدر الذي يتضمن به العمل الأدبي العنوان ويتدخل الأول في توجيه الثاني، كما يرشد إلى «قراءته» قراءة تصوير خاصة به، و بقدر ما نعتبر العنوان «دليلا» (علامة)، على كون سيميائي هو النص في حشد ذاته، بقدر ما (قد) نعتبر هذا النص «إجابة» (ردا) على تساؤل العنوان، ونعتبره فوق ذلك مرجعا «يحيل على مجموعة من الدلائل (العلامات) التي تكون العلاقة (القصة) كمعنى تجعل منه هذه العلاقة بسطا أو افتراضا لفائدة، فالعنوان - يقول (ش. غريفل Grivel) «يعلن عن طبيعة النص، ومن ثم يعلن عن نوع القراءة التي تناسب هذا النص» (٦٥).

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.



## عالم الفكر

- (٢٩) الشكلاينون الروس : نظرية المنهج الشكلي ، ترجمة : إبراهيم الخطيب ، الشركة المغربية للنشر والتوزيع ، الرباط ط ١ ، ١٩٨٢ ص ٩ .
- (٣٠) سيزا قاسم (السيمبوتيقا : حول بعض المفاهيم والأبعاد) مدخل إلى السيمبوتيقا ، ج ١ منشورات عين المقالات ط ٢ ، الدار البيضاء ص ٤٠ .
- (٣١) حنون مبارك : نفسه ، ص ٨٦ .
- (٣٢) حنون مبارك : نفسه ، ص ٩٠ .
- (٣٣) مارسيلو داسكال : الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة ، ص ١٧ ، ١٨ .
- (٢٤) عبدالرحمن طنكول (خطاب الكتابة وكتابة الخطاب في رواية مجنون الأمل) مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، بفاس ، العدد ٩ ، ١٩٨٧ ، ص ١٣٥ .
- (٣٥) أبو بكر الغزاوي : الحجاج والشعر : نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر ، دراسات سيميائية أدبية لسانية العدد ٧ / ١٩٩٢ ص ١٠١ .
- (٣٦) ترجمة واختيار سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ط ١ ، ١٩٩٣ .
- (٣٧) نفسه ، ص ١٦١ .
- (٣٨) نفسه ، ص ١٦١ .
- Rifaterri, M. (1983) : sémiotique de la poésie-seuil. paris. p. 130. (٣٩)
- (٤٠) روبرت شولز : (سيمياء النص الشعري) اللغة والخطاب الأدبي : ترجمة سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ط ١ ، ١٩٩٣ ، ص ٩٣ .
- (٤١) نفسه ، ص ٩٤ .
- (٤٢) رولان بارت : المغامرة السيميولوجية ، ترجمة : عبدالرحيم حزل ، مراكش ط ١ ، ١٩٩٣ ص ٣٨ .
- (٤٣) نفسه ، ص ٢٥ .
- (٤٤) ترنس هوكس : (مدخل إلى السيمياء) بيت الحكمة ، العدد ٥ / السنة ٢ ، ١٩٨٧ ص ١٢٠ .
- (٤٥) بيار غيرو : السيمياء ، ص ١٤ .
- (٤٦) شعيب حليفي : نفسه ، ص ٨٢ .
- Gerard Genette: Seuil ed. Seuil. COLL. Poétique. Paris 1987. P.7. (٤٧)
- (٤٨) سعيد قطين : افتتاح النص الروائي (النص - السياق) المركز الثقافي العربي ، ط ١ ، ١٩٨٩ ، ص ١١١ .
- Genette (G): Palimpsestes. coll. poétique. ed. Seuil (1982) p.7. (٤٩)
- Genette (G): Introduction à l'architexte, ed. Seuil (1982). (٥٠)
- I bid: P.7. (٥١)
- I bid: P.9. (٥٢)
- I bid: P.10. (٥٣)
- I bid: P.15. (٥٤)
- G. Genette: Seuils, P.54. (٥٥)
- Gerard vigner ( une unité discursive restreinte; discursive restreinte: le titre ain: Le FRACAIS dans le monde No. 156. (٥٦)
- 6 octobre 1980. p. 155.
- (٥٧) شعيب حليفي : نفسه ، ص ٨٤ .
- Gerard vigner: "une unité discursive restreinte; discursive restreinte: le titre"P.31. (٥٨)
- Les Hoek: "Description d'un archonte: Préliminaire à une théorie du titre à partir du Nouveau Roman in "Nouveau Roman: Hier aujourd'hui. I. Problèmes généraux , Paris, U.G.E. 10 - 18 - 1972 p.298 (colloque). (٥٩)
- claude, Duchet: "Elements de titrologie romanesque" in littérature, Paris, Larousse (1973 No. 12 p. 53. (٦٠)
- Jean Ricardou: "Naissance d'une Fiction "in Nouveau Roman hier aujourd'hui, 2 Pratiques, Paris V.G.E. 10 - 18 - 1972 p. 380. (colloque). (٦١)
- (٦٢) محمد مفتاح : دينامية النص ، ص ٥٩ - ٦٠ .
- (٦٣) نفسه ، ص ٦٠ .
- (٦٤) نفسه ، ص ٧٢ .
- (٦٥) بشير القمري : نفسه ، شعرة النص الروائي ط ١ ، ١٩٩١ ص ١٢١ .
- (٦٦) م. فوكو : حفرات المعرفة ، الدار البيضاء ط ١ ، ١٩٨٦ ترجمة سالم يفتوت ص ٢٣ .
- (٦٧) بشير القمري ، الهامش ، رقم ٨٠ ، ص ١٢٩ .
- (٦٨) شعيب حليفي : نفس المقال ، ص ٨٤ .
- (٦٩) محمد بنيس : نفسه ، ص ٧٧ .
- (٧٠) نفسه ، ص ١١٣ .
- (٧١) بيار غيرو : ص ١٢٥ .
- (٧٢) نفسه ، ص ١٤ .

## المراجع والمصادر

### أولا: العربية

- (١) بير غيرو: السيمياء، ترجمة انطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت، باريس ط ١، ١٩٣٤.
- (٢) رولان، بارت: مبادئ في علم الدلالة، ترجمة محمد البكري ط ١/١٩٨٦، الدار البيضاء، عيون المقالات.
- (٣) محمد السرفيني: محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة، الدار البيضاء ط ١/١٩٨٧.
- (٤) محمد، مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي ط ١-١٩٨٢.
- (٥) حنون، مبارك: دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر ط ١-١٩٨٧.
- (٦) عواد علي: معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي ط ١-١٩٩٠.
- (٧) مارسيلو، داسكال: الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة. ترجمة حميد الحمداني، وآخرون، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط ١-١٩٨٧ م.
- (٨) الشكلايوس الروس: نظرية المنهج الشكلي، ترجمة: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للنشر والتوزيع ط ١، الرباط ١٩٨٢ م.
- (٩) سيزا قاسم: (السيميوطيقا: حول بعض المفاهيم والأبعاد) مدخل إلى السيميوطيقا ج ١، منشورات عيون المقالات، ط ٢ - الدار البيضاء.
- (١٠) عبدالرحمن طنكول: (خطاب الكتابة وكتابة الخطاب في رواية مجنون الأمل)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، العدد ٩-١٩٨٧.
- (١١) أبو بكر العزاوي: (الحجاج والشعر: نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر) دراسات سيميائية أدبية لسانية، العدد ٧-١٩٩٢ م.
- (١٢) روبرت شولز: (سيمياء النص الشعري) اللغة والخطاب الأدبي، ترجمة واختيار سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ١-١٩٩٣ م.
- (١٣) بان كوهن: بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي، ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، ط ١-١٩٨٦ م.
- (١٤) رولان بارت: المغامرة السيميولوجية، ترجمة عبدالرحيم حزل، مراکش، ط ١-١٩٩٣ م.
- (١٥) تزنس هوكس: (مدخل إلى السيمياء)، بيت الحكمة، العدد ٥، السنة ٢، ١٩٨٧ م.
- (١٦) شعيب حلفي: (النص الموازي للرواية) استراتيجية العنوان، مجلة الكرمل، العدد ١٦-١٩٩٢ م.
- (١٧) سعيد يقطين: افتتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي ط ١-١٩٨٩ م.
- (١٨) محمد مفتاح: دينامية النص، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء ط ١.
- (١٩) بشير، القمري: شعرية النص الروائي، ط ١-١٩٩١ م.
- (٢٠) ميشيل فوكو: حفرات المعرفة، الدار البيضاء، المغرب ط ١-١٩٨٦، ترجمة. سالم يفوت.
- (٢١) محمد بنسيس: التقليدية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط ١-١٩٨٩.

### ثانيا: الأجنبية

1. Groupe d'Entrevernes: Analyse sémiotique des Textes. ed. Toubkal, led 1987.
2. Pierce (C.S) 1978: Ecrits sur le signe. Seuil. Paris.
3. Corontini (E): (1984): L'action du signe. Librairie. éd, Laurain, laneure
4. Saussure: cours de linguistique générale. Payot. Paris.
5. Barthes, R. Éléments de Sémiologie, in communication N° 4.
6. Rifaterre, M (1983) Sémiotique de la poésie. Seuil, Paris.
7. Gerard, Genette: Seuils ed. Seuil. Coll. Poétique. Paris, 1987
8. Gerard, Genette, Palimpsestes, Coll. Poétique, ed. Seuil 1982.
9. Gerard, Genette, Introduction à l'architexte, ed. seuil 1982.
10. Gerard Vigner (une unité discursive réstrelnte: le titre) in: le Français dans le Monde N°156.6, Octobre 1980
11. Leo Hoek: "Description d'un archonte": Préliminaire à une théorie du titre à par tir du Nouveau Romanin Nouveauro-man: Hier Aujourd'hui. I. Problemes généraux, Paris, V. G. E 10-18 1972 (Colloque)
12. Claude, Duchet: "Elements de fitrologie romanesque" in Littérature, Paris, Larousse (1973) N° 12.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

أما عبد القاهر الجرجاني فقد يكون من الحديث المعاد المكرور أن يقال إنه يتربع في تراثنا النقدي على مكانة قل أن طاوله، أو يطاوله في الوصول إليها أحد سواء، وما ذلك إلا لجهود الرجل المتميزة وإضافاته النوعية التي تمكن من إنجازها، ومكنته منها ذهنية متفتحة متقدمة ظلت محل تقدير معاصريه وخلفه على السواء. وفي تقدير الدراسة المحاولة فإن استكشاف العلاقة ما بين النص وصاحبه لا يتم إلا بدراسة جانبيين: الأول، معاينة هذه العلاقة في المنجز النقدي الحديث، والانتقال - من ثم - وهذا هو الجانب الثاني إلى تأمل العلاقة عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء تأمله الأهم للعلاقة ما بين الأركان الثلاثة: المبدع والنص والمتلقي.

(٢)

١:٢

إذا كان المؤلف قد بسط سلطته على الساحة النقدية لروح من الزمن، وإذا كانت سطوة المؤلف أو هيمنته اقترنت بدراسة ما قبل النص وما بعده، واهتمت بدراسة النص في ضوء علاقته بشروطه الاجتماعية والتاريخية والثقافية، واتجهت إلى الكشف عن مستوياته الدلالية والسيكولوجية والاجتماعية، وإذا كان هذا الزمان قد طال أمده وتعمقت فيه النظرة إلى النص على أنه «وثيقة تاريخية تدل على زمنها، أو نفسية تشرح مغاليق نفس مبدعها...» وصارت دراسة الأدب عبارة عن دراسة لكل الفنون الإنسانية ما عدا اللغة<sup>(١)</sup>. إذا كان الأمر على ما أقوله<sup>(٢)</sup> فإن هذه السلطة ما لبثت أن تداعت واندحرت أمام تدافع السلطات الأخرى ممثلة في سلطتي النص والقراءة، وأمام ضغط ميل العصر واتجاهه إلى البعد عن التناول الكلي للنص الأدبي والاستعاضة عن ذلك بالتركيز على هذا الجانب أو ذلك من الجوانب التي يطرحها النص ذاته.

وفي البدء فقد أعلنت البنيوية Structuralism بمختلف اتجاهاتها من سلطة النص، ومنحته نفوذاً لا يدانيه أو يقاربه أي نفوذ آخر، وظلت تصدر في هذا الإعلاء عن قناعة مؤداها أن ليس ثمة من صلة تربط الإنسان بوصفه ذاتاً فاعلة، بعملية التغير الاجتماعي «هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فليس هناك من علاقة تربط المؤلف، بوصفه ذاتاً خلاقاً، بالنص، ومعنى هذا أن دور الإنسان في الحالتين كليهما يهوي إلى الأسفل أو إلى درجة الصفر<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا النحو تلغي البنيوية في ما يمكن أن أقوله، وقول هذا ليس بجديد - علاقة النص بصاحبه - وتجلى معالم هذا الإلغاء بنحو خاص عند رولان بارت Rolan Barthes، ربما كان أظهرها ما كان متضمناً في قوله عن الكتابة «الكتابة قضاء على كل صوت، وعلى كل أصل، الكتابة هي هذا الحياء، هذا التأليف واللف الذي تتيه فيه ذاتيتنا الفاعلة، إنها السواد - البياض الذي تضيق فيه كل هوية ابتداء من هوية الجسد الذي يكتب<sup>(٤)</sup>. ويستغل الرجل كل ما من شأنه أن يقوض علاقة النص بصاحبه، وخير ما يمكنه من ذلك فكرة «التنصوئية Tetuality» أو «التناص Intertextualit»، وهي فكرة تتحول العلاقة - على ضوئها - بين المؤلف والنص من علاقة بين أب وابنه حيث ينتسب الابن - في ما يقال - إلى أبيه، ووجوده سابق على وجود الابن، تتحول إلى علاقة (ناسخ) و(منسوخ)، أي أن المؤلف لا يكتب عمله، وإنما هو ناسخ نسخ النص بيده مستمداً جهده من اللغة التي هي مستودع إلهامه، بعبارة أخرى موضحة فإن المؤلف ناسخ «ينسخ نصه مستمداً وجوده من المخزون اللغوي الذي يعيش في داخله مما حمله على مر السنين، وهذا المخزون الهائل من الإشارات والاقتراسات جاء من مصادر لا تحصى من الثقافات ولا يمكن استخدامه إلا بمزجه وتوليفه، ولذا

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

بارت في مرحلة ما بعد البنيوية عن ولادة القارئ إلا إعلاناً نهائياً عن مصرع المؤلف، المهم في هذا الإعلان أن القارئ يجد نفسه وحيداً، بعد غياب المؤلف، في حضرة النص يتأمله ويفحصه فيبعد عنه كل ما هو أجنبي، وتتيح له خلوصه به أن يمارس معه كل صنوف العشق والهيام، والأهم أن هذا الذي يمارسه القارئ مع النص متعدد بغير حصر، مفتوح في أيما اتجاه، منطلق في غير ما قيد، ولذا فقد كانت القراءة التشريحية «هي نفسها مفتوحة للتشريح... ولا يمكن لأي قراءة أن تكون نهائية... ولكنها مادة جديدة للمشرحة»<sup>(١٣)</sup>.

القراءة بالغة الأهمية بالنسبة للنص، والقارئ هو الذي يستطيع أن ينعش النص أو أن يذبله، وهو الذي يستطيع أن يحرك النص أو يقف به حيث هو، أو أن يعيده إلى وراء، إنه القادر على إحياء النص أو إماتته، وبالجملة فقد طالت هامة القارئ وعلت قامة القراءة، وصار ينظر إلى القارئ على أنه منتج للنص لا محض متلق سلبي خاضع لسلطته.

في هذه الأضواء يمكن أن نفهم التركيز على فاعلية القراءة في النص، ونفهم تعدد ضروب القراءة ونقدر اختلاف مرجعياتها<sup>(١٤)</sup>، وفي هذه الأضواء - أيضاً - يمكن أن ندرك الاهتمام بتفاوت مستوياتها وبيان شروطها<sup>(١٥)</sup>، ويمكن أن نفهم الالتفات إلى تناص القراءة ونوعي وظائفها<sup>(١٦)</sup>، المهم في هذا كله أن القراءات - مهما تباينت أنواعها وتفاوتت مستوياتها - تستضيف النص في ضوء قناعة مؤداها أن فضاء النص رحب، وأن قراره صحيح، ولقد قيل أن الكلمة في النص «أبعد من قامتها، وتستذكر أكثر من طاقتها على قراءة الماضي والهجس بالمستقبل، فالنص «يتحول شبكة من دلالات لا متناهية ورؤى تحمل غموض العالم وإشكاليته»<sup>(١٧)</sup>. وقيل إن النص «لا يمثل «بنية» لغوية متسقة منطقياً، تخضع لتقاليد ثابتة يمكن الكشف عنها، بل يمثل «تركيبية» لغوية تعارض نفسها من الداخل، وتعج بالكسور والشروخ، والفجوات، على نحو يجعل النص قابلاً لتفسيرات وتأويلات لانهاية لها»<sup>(١٨)</sup>. وقيل إن النص «بنية لغوية مفتوحة البداية ومعلقة النهاية»<sup>(١٩)</sup>، والأهم أن هذه القراءات تتعامل مع النص - بهذا الفهم - فتحل ملغزه ومشكله، وتستكشف سره وغامضة، وتحلّو ظاهره وباطنه، ويكتسب النص بها وجوده وحضوره، ويتوقف عليها بقاء النص أو ذهابه.

ومن الضروري أن نشير في سياق هذه الحقيقة إلى أن النصوص تتفاوت في ما بينها في استفزاز القارئ ودفعه إلى ممارسة فعل القراءة، فهناك من النصوص ما يغريك بقراءته، وثمة منها ما يصدك عن قراءته، وهناك من النصوص ما يجعلك تعيد قراءته، وثمة من النصوص ما لا تقرأه إلا مرة، وكذا فإن من النصوص ما يتمنع على قراءة ولا يتمنع على قراءة أخرى.

وما أشير إليه هنا لم يكن ببعيد عن وعي النقاد المحدثين، ولعل أكثرهم إبانة عنه بارت، إذ يقول في معرض حديثه عن نصي اللذة والمتعة: «نص اللذة» إنه ذلك الذي يضيء، يفعم، يغبط، ذلك الذي يأتي من صلب الثقافة، ولا يقطع صلته بها، هذا النص مرتبط بممارسة مريحة للقارئ... أما نص المتعة: ذلك الذي يضعك في حالة ضياع، ذلك الذي يتعب... فإنه يجعل القاعدة التاريخية والثقافية والسيكولوجية للقارئ تترنح، ويزعزع كذلك ثبات ذوقه، وقيمه، وذكرياته، ويؤزم علاقته باللغة.

إنها ذات متأخرة عن زمانها تلك التي تمسك بكلا النصين في حقلها، وتقبض على أعنة اللذة والمتعة كليهما، ذلك لأنها تشارك في ذات الوقت، وعلى نحو متناقض، في النزعة اللذنية العميقة في كل ثقافة...

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

إذا تحولنا إلى عبد القاهر الجرجاني لنبين في ضوء ما قدمناه عن العلاقة بين النص وصاحبه وما استدعته هذه العلاقة من امتداد النظر باتجاه القارىء - أقول: إذا تحولنا إلى الجرجاني لنبين في ضوء هذا الذي عرفناه، تصويره لهذه العلاقة وتداعياتها، فإن لنا أن نسترجع أن الجرجاني قد استطاع أن يتجاوز، بنحو متقدم، في خطابه النقدي ما قد توصل إليه عصره، فاستوقف بهذا التجاوز ناقديه، وانتزع بصنيعه إعجاب دارسيه.

ولا ترغب الدراسة في أن تتوقف عند مفاصل هذا التجاوز أو تقاطعاته، فذلك ما قد أغنانا عنه داسو الجرجاني، يكفي أن تشير الدراسة إلى ما قد أنجزه على صعيد ما يعرف بـ «معنى المعنى» The Meaning of Meaning، و«الشعرية» Poetics، و«النحوية» Grammarology، و«التناص» Intertextuality، ويكفي الدراسة أن تقول إن قيمة الإشارة - هنا - تقع في ما تشي به وترمي إليه من امتداد خطاب الجرجاني في النقد الحديث بله المعاصر، وتردد أصداؤه فيه، وتتصب «علاقة النص بصاحبه» فتقف هي الأخرى شاهداً يعزز ما قد ذكرته عن المنجز النقدي الجرجاني الذي سيظل يفرض حضوره باحترام برغم ما يمكن أن يلحظ فيه من نقص أو قصور.

ولفت الانتباه أن عبد القاهر الجرجاني لا يستخدم، فيما يعرفه الباحث، مصطلح النص، وبدهي والأمر كذلك ألا يحدده. وإنما المصطلح الذي يستخدمه مصطلح «الشعر» فهل ينطبق ما يقوله عن الشعر على النص منه؟ ذلك ما يميل إليه الدارس، وذلك ما سيأخذ به، وكذا فإن عبد القاهر الجرجاني لا يستخدم مصطلح المبدع وإنما تشيع عنده مصطلحات مثل «صاحب» و«قائل» و«منشئ». فهل يرجع هذا إلى أن هذه المصطلحات تتناوب في الدلالة، وتنبو مناب «المبدع» وتسده مسده؟ وهل يرجع هذا إلى أن الرجل يحب نفسه بهذا الاستخدام ما يثيره مصطلح «المبدع» من حساسية لدن المتلقي؟ ذلك ما يرجحه الدارس، وذلك المصطلح الذي نجبه عبد القاهر هو الذي سيستبعده.

ومهما يكن المصطلح الذي يستعمله عبد القاهر الجرجاني في كتاباته فإنه يتصور أن ثمة علاقة تقوم ما بين النص وصاحبه أو منشئه، وهي علاقة يتضمنها قوله «اعلم أنا إذا أضفنا الشعر - أو غير الشعر من ضروب الكلام - إلى قائله، لم تكن إضافتنا له من حيث هو كلم وأوضاع لغة، ولكن من حيث توخّي فيها «النظم» الذي بينا أنه عبارة عن توخّي معاني النحو في معاني الكلم. وذلك أن من شأن الإضافة الاختصاص، فهي تتناول الشيء من الجهة التي تختص منها بالمضاف إليه. فإذا قلت: «غلام زيد»، تناولت الإضافة «الغلام» من الجهة التي تختص منها بزيد، وهي كونه مملوكاً» (٢٤).

يمثل هذا النص، والنصوص التي توضحه أو تسانده، وثيقة نقدية بالغة الأهمية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، فهو يؤكد ريباً للمرة الأولى العلاقة ما بين النص وصاحبه، وهي علاقة في قوة العلاقة الماثلة ما بين «المضاف» و«المضاف إليه». وهذه العلاقة هي الأخرى من الممكن بحيث يبدو من الصعب، إن



# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

يغلب عليه، كما ألاحظه، ميله إلى النهج التفكيكي المعاصر أكثر من ميله إلى النهج البنيوي أو التأويلي، وقد أقول إن الجرجاني يجمع في تفسيره - في الأغلب الأعم - ما بين الجانين: الموضوعي والذاتي، موضوعية العبارة/النص وذاتية المفسر/المخاطب، وهو جمع يتجلى في ما يعطيه للعبارة من قيمة، ولكن العبارة وحدها قاصرة عن أن تفضي بمعطياتها، ما لم يقوم المفسر بعملية التفسير. إن ما يقوم به المفسر من تأويل أو تفسير، أو ما ينبغي عليه أن يقوم به، ليس تفسيراً ذاتياً خالصاً بعيداً عن مكونات العبارة وعناصرها، وإلى هذا كله أو جلّه، يشير أحد الدارسين المعاصرين فيقول إن قضية التفسير برمتها «لا تقلل وعورة وتشعباً عن قضية القصد. ويمكننا أن نقول بصفة عامة إن منزع الجرجاني في هذه القضية أقرب إلى «نزعة» التفكيك المعاصرة منه إلى الهرمنيوطيقا أو البنيوية. إنه يجمع بين موضوعية القول وذاتية المخاطب، فهو يولي معطيات العبارة/النص أهمية كبيرة ولكنه في الوقت نفسه يعول في التوصل إلى التفسير النهائي على الجهد العقلي الخاص الذي يبذله المخاطب، أو الذي يجد نفسه مطالباً ببذله. النص عند الجرجاني لا يفضي بمكنونه وحده، والمخاطب لا يؤوله تأويلاً ذاتياً صرفاً بمعزل عن مكوناته ونظام تكوينه. العبارة في ذاتها تعني، ولكنها تعود بهذا المعنى فتعني به معنى آخر، والمخاطب مطالب باستكشاف هذا المعنى الآخر وتحديده»<sup>(٣٤)</sup>.

(٤)

١: ٤

النص - إذًا - هو مأم عبد القاهر الجرجاني وهو محججه، هو منطلقه وهو منتهاه، ولكن ما النص؟ لقد أسلفت أن عبد القاهر الجرجاني لا يعرف النص صراحة، ولعلنا لا نقع على مثل هذا التعريف في معجم النقد العربي القديم البتة، ولكن ذلك لا يمنعنا من أن نجتهد في ضوء ما نقرأه عنده فنقول إن النص يمكن أن يكون عبارة أو بيتاً من الشعر، ويمكن أن يكون نتفة أو مقطوعة أو مقطعة، ويمكن أن يكون النص قصيدة، ويمكن أن يكون الشعر كله نصاً، المهم أن النص، مهما تكن صورته، بنية لغوية، وأن أي اهتمام بها هو خارج هذه البنية إنما هو اهتمام أجنبي عنه غريب على حقيقته وجوهره لا يفيد النص أو النظر فيه في كثير أو قليل، ولقد قيل إن الاهتمام بالنص بوصفه بنية لغوية نحوية ليس بالشيء الهين في تاريخ الثقافة الأدبية في اللغة العربية «ولأول مرة تقريباً يرى مؤلف أن ما يجب أن يشغل قارئ الأدب هو اللغة والبنية النحوية أما القصص الذي يتناقله القراء والإخباريون... فكل هذا عرضي ينبغي أن لا يرهق البحث أو يصرفه عما هو أولى وأهم»<sup>(٣٥)</sup>. والأهم أن علاقة النص - مهما يكن حجمه - بصاحبه تنحصر فيما يقوله عبد القاهر الجرجاني وفيما يوقعه فيه من نظم، ولكن علينا ألا ننسى أن مدار النظم على معاني نحو، وأن النشاط النحوي في الشعر كما يقرره عبد القاهر الجرجاني «ليس ضرباً من المتابعة الجوفاء ولا هو نظام أعمى خال من الدلالات، ولا هو أيضاً ضرورة اقتضتها العادة اللغوية، وإنما النظام النحوي... نمط من الإفادة والإفصاح ينبغي ألا يهمل بحال»<sup>(٣٦)</sup>.

٢: ٤

النص بهذا الذي يقوله عبد القاهر الجرجاني عنه أو بهذا الذي تشي به كتاباته عنه، غني أو فياض بالدلالة. إن هذا الغنى قد يتمظهر في غير ماصورة أو مظهر، قد يتجلى هذا الغنى - مثلاً - فيما يطلق عليه

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

إن لذة العلم بالنص قرينة تأمله وتدبره، وإذا ما شئت فقل إنها قرينة قراءته. قد تتطلب هذه القراءة من القارئ ما يمكن أن ندرجه ضمن مكوناته، كأن يكون ذا ذائقة وثقافة ودربة<sup>(٤٤)</sup>، وقد تستوجب قراءة النص قراءته بعين بنيت، وقد تستهدي قراءة النص كل ما من شأنه أن يقاربه. وعلى هذا الأساس يمكن أن نفهم إلحاح عبدالقاهر الجرجاني المستمر على الفكر والروية، والنظر والتدبر، والدقة واللطافة. وعلى هذا الأساس أيضاً يمكن أن نفهم تركيز الجرجاني المتواصل على متعة الكشف بعد النصب والتعب، فذلك كله يشير - كما أنحاله - إلى أثر القراءة في النص المقروء، ويشير - وهذا هو الأهم - إلى هوية العلاقة التي تجمع ما بين النص وقارئه، وهي علاقة يتوقف حضور كل طرف منها على حضور الطرف الآخر تماماً كما العلاقة بين النص وصاحبه، ولعل في موقع النص المتوسط ما بين صاحبه وقارئه ما سيظل يشي بعمق علاقته بهما رغم كل ما يمكن أن يقال عن قوة، أو ضعف، هذه العلاقة أو تلك.

وإذا شئت أن أصل آخر الكلام - هنا - بما قلته في أوله فأبين رأي عبدالقاهر الجرجاني، الناقد القديم، في قضية نقدية جديدة، هي قضية علاقة النص بصاحبه - قلت: لقد تصور الرجل العلاقة ما بين النص وصاحبه ضمن تصوره الأعم للعلاقة بين الأركان الثلاثة التي تشكل الظاهرة الأدبية، وهي المنشئ والنص والقارئ. فبدت له العلاقة، موضوع الدراسة، في قوة العلاقة بين المضاف والمضاف إليه، وتصور الجهة التي يختص منها القائل بنصه على أنها النظم، ولما كان النظم توخي معاني النحو في ما بين الكم، وكان النص مدار الأمر فيه على النظم، فقد كان من المنطقي أن تنحصر صلة النص بصاحبه فيما يجريه فيه من نظم.

وإذا ما فرغ المنشئ مما يتوخاه من نظم وصار النص بذلك منجزاً، عندئذ فإن النص يتلقاه قارئه، ووقتئذ فإن لعبد القاهر أن يعلق صلة النص بصاحبه، وأن يؤصل لعلاقة جديدة هي علاقة النص بقارئه، وكذا فعل. لقد تصور عبدالقاهر الجرجاني هذه العلاقة في عمق العلاقة السابقة، فلا نص بغير قراءة، ولا قراءة بغير نص. أما القراءة فقد بدت من خلال تصوره فعلاً خلاقاً، وأما القارئ فقد بدا هو الآخر شريكاً للقائل في النص موازياً له في خبرته به وتعامله معه.

بقي أن أقول لقد حاول الجرجاني أن يعرض تصوره للعلاقة بين النص وصاحبه فلم تخل محاولته من جدة وطرافة، وحاول أيضاً أن يقدم تصوره لهذه العلاقة ضمن إطار من التماسك والتكامل فلا نملك معه إلا أن نقدر أصالة المحاولة وأهميتها، ونعجب بذكاء المحاولة وفطنتها. أما ما يمكن أن يلحظ في المحاولة من نقص أو قصور فذلك أمر لا تتنزه عنه أية محاولة.

## الهوامش

- (١) عبدالله الغدامي، الخطيئة والتكفير، ٢٦ - ٢٧.
- (٢) راجع للاستزادة عن علاقة النص بصاحبه محمود الربيعي، مداخل نقدية معاصرة إلى دراسة النص الأدبي، ٣٠٢.
- (٣) راجع تفاصيل ذلك عند فاضل ثامر: اللغة الثانية، ١٣٠، وقارن بما أورده يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، ٤٤ - ٤٥.
- (٤) رولان بارت، درس السيميولوجيا، ٨١.
- (٥) عبدالله الغدامي، الخطيئة والتكفير، ٧٢.



# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذوايدي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## المراجع

### أولاً: العربية

- رشيد بنحدو، العلاقة بين القارئ والنص في التفكير الأدبي المعاصر، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، المجلد الثالث والعشرون، العددان الأول والثاني، الكويت، ١٩٩٤.
- شكري عياد، كتاب أرسطو طالس في الشعر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.
- عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- أسرار البلاغة، تحقيق محمد عبدالمعنى خفاجي، مكتبة القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير (من البيوية إلى التشريعية - قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر)، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- عبده عبود، التلقي أم التقبل أم التقبل؟ مقدمات منهجية لدراسة استيعاب «نظرية التلقي» الأدبي ومنظومتها المصطلحية في الوطن العربي، بحث مقدم إلى ندوة النقد الأدبي الخامس، جامعة اليرموك، اربد، الأردن، ١٩٩٤.
- عز الدين اسماعيل، قراءة في «معنى المعنى» عند عبدالقاهر الجرجاني، بحث منشور في مجلة فصول، المجلد السابع، العددان الثالث والرابع، القاهرة، ١٩٨٧.
- فاضل ثامر، اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٤.
- فؤاد أبو منصور، النقد البيوي الحديث بين لبنان وأوروبا، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥.
- قاسم المومني، أداة الناقد، دراسة في الموروث النقدي عند العرب، بحث منشور في مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الخامس، (الأدب)، الرياض، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- نحو تأسيس مفهوم معاصر لقراءة النص الأدبي، بحث منشور في مجلة كلية التربية، العدد الخامس عشر، جامعة عين شمس، ١٩٩١.
- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢.
- دينامية النص، (تنظير وإنجاز)، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.
- مصطفى ناصف، النحو والشعر - قراءة في دلائل الإعجاز، بحث منشور في مجلة فصول، المجلد الأول، العددان الثاني والثالث، القاهرة، ١٩٨١.
- يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

### ثانياً: الأجنبية

#### (١) المترجمة

- رولان بارت، درس السيميولوجيا، ترجمة عبدالسلام بنعبد العالي، دار توفيق للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٦.
- لغة النص، ترجمة فؤاد صفا والحسين سبحان، دار توفيق للنشر، الدار البيضاء.
- كريستوفر بطلر Christopher Butler: التفسير، والتفكيك، والأيدولوجيا، ترجمة نهاد صليحة، بحث منشور في مجلة فصول، المجلد الخامس، العدد الثاني، ١٩٨٥.
- مارك أنجينو Mark Angenot: مفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد، دراسة منشورة ضمن كتاب «في أصول الخطاب النقدي الجديد» ترجمة وتقديم أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.

#### (٢) الإنكليزية

- Alex Preminger, princeton Encyclopedia of poetry and poetics, princeton univ. press, U.S.A., 1977.
- Elizabeth Freund: The return of the Reader: Reader-response criticism, methuen, London, 1987.
- Geoffrey Strickland: Structuralism or Criticism? Thoughts on how we read, Cambridge Univ. Press, London, 1985.
- Robert Scholes: Semiotics and Interpretation, New Haven and London, Yale Univ, Press, 1982.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

وفي سياق هذه الرؤية الثلاث نرى تجرّبتنا النقدية في مجتمعات الخليج خلال النصف الأول من هذا القرن وقد تموضعت في إطار الرؤية الثالثة المتذبذبة بين الذات والمرجعية الأدبية والاجتماعية، الأمر الذي يعني أن مدخلنا لمطالعتها ودراساتها إنما يتم من خلال ما تستصعبه هذه الرؤية من ملابسات أو مظاهر تدل على الاضطراب والحيرة وعدم الوضوح بل إنها تدل على التناقض والصراع الاجتماعي الذي كان عليه المجتمع إبان ظهور نماذج هذه الرؤية النقدية .

ونحن أمام ثلاثة نماذج للتجربة النقدية في الخليج في فترة النصف الأول من هذا القرن، تدخل جميعها في سياق الرؤية الثالثة كما أوضحنا وهو سياق التماهي والانزواء وراء الآخر بوصفه مرجعاً قابلاً في وعي هذه النماذج . وسيذهب التماهي بالآخر إلى الحد الذي سيجعل بعض النماذج تعبيراً عن صراع اجتماعي مستتر لا يمنحه مجتمع تلك الفترة الحرية الكاملة في الظهور . فالنقد كما ذكرنا من قبل دال على صراع الأفكار والقيم . يذهب إلى النظريات حقاً وإلى النصوص لكن هذه النظريات والنصوص لا بد أن تحيل إلى ما يبلوره الواقع الاجتماعي من أفكار وأشكال تعبيرية وصور متباينة . وهو بذلك لا مناص له من التورط في الصراع الدائر بين الفرد والمجتمع والسلطة ، والدين والتراث والمعاصرة والقوانين إلخ .

ولقد ظلت مجتمعات الخليج منذ تلك الفترة تخلو من الأحزاب السياسية والجماعات الاجتماعية والفكرية المعلنة . . على خلاف ما حدث في البلاد العربية الأخرى كمصر وسورية وتونس والمغرب التي عاشت انفتاحاً سياسياً وثقافياً دفع المثقفين إلى صفوف الأحزاب والتجمعات السياسية والفكرية . وجعلهم من ثم يدخلون حواراً نقدياً متصلاً على كافة أصعدة الثقافة . . في السياسة والمجتمع والدين والأخلاق والأدب إلخ . . ويمكن ملاحظة ذلك منذ المعارك الأدبية الطاحنة التي انفجرت حول تجربة أحمد شوقي أو حول تجربة الشعر الحديث أو حول قضايا الالتزام والثورة والواقعية والفن للفن . إنه حوار حاد وساخن، تنبعث حدته وسخوته من حدة الصراع السياسي وسخونة الواقع الاجتماعي والثقافي الذي كان يلهث وراء تجاوز عتبات العصر الحديث .

وما من شك في أن النقد في أجواء متفتحة كهذه لن ينزوي وراء الأقنعة، ولن يتستر وراء مرجعيات يتنكر لها، ولن يتخذ لغة المهادنة والمصالحة . . سيكون له مرجعية محددة بدون شك شأنه في ذلك شأن أي نقد في أي مجتمع آخر، وسيكون له لغة تتسم برغبة عنيفة في إزاحة قديم تهتك أو جديد يتخايل، أو تتسم برغبة في الطلوع بتيار جديد أو التبشير بأفق مغاير . . سيكون له ذلك طالما أن كلمة النقد لن تحاصر بعزلة مباشرة من سلطة أو دين أو أخلاق أو تقاليد . لقد حدث مثل ذلك إبان فترة الصراع السياسي والفكري في مصر منذ بدايات هذا القرن . وقد لاحظ الذين عايشوا تلك الفترة أن نقداً يقترن بالحرية ورغبة التحقق الفردي لا بد له من أن يزيح الأقنعة مرتين : مرة من وجه الناقد صاحب الرؤية وأخرى من وجه المنقود . ولعل قراءة «الديوان في الأدب والنقد» للعقاد والمازني خير مثال على ذلك . فهو يرينا الناقد غير متوارين بما يخفي عقيدتهما وأفكارهما ونظريتهما في الشعر والأدب والحياة والسياسة والدين والأخلاق، وهو يرينا المنقود (أحمد شوقي والمنفلوطي وأمثالهما) وقد أزيحت عنها الأستار الكثيفة التي تحول دون رؤيتها في حالة من الجمود والصنمية .

## عالم الفكر

وإذن فإن حقيقة اقتران النقد بالحرية ثابتة، إذا كان شاهدها الإيجابي ما ذكرناه في عجالة فإن شاهدها السلبي هو الوسط الاجتماعي والثقافي الذي عاشته النماذج الثلاثة التالية التي تشترك في ملامح وتختلف في ملامح حسب تعبيرها عن حساسية الارتباط بالواقع الاجتماعي المحلي في مشاهدته الثقافية المتفتحة، المتحررة:

### النموذج الأول

النموذج المتماهي المعزول بحتمية الصراع بين القديم والجديد. ويتمثل في جملة من الكتابات النقدية الصحافية التي تركزت حول إثارة قضايا ذات طابع نظري غالباً كما سنلاحظ ذلك. وقد نشرت في جريدة البحرين وصوت البحرين وفي البعثة الكويتية وكاظمة والرائد ونحوها من صحف تلك الفترة.

### النموذج الثاني

النموذج المتماهي المعزول برومانسية ومثالية متعالية على الواقع الثقافي المحلي ومتعاقبة مع واقع ثقافي وإبداعي أبعد وأرحب وأكثر شمولاً. ونرى هذا النموذج في تجربة الشاعر الكبير إبراهيم العريض، وفي كتاباته النقدية التي شارف بها على نهاية فترة الخمسينات. وإذا كان قد دخل بعضها في عقد الستينات فلأنها روحاً ومنهجاً لم تخرج عما كان عليه العريض في العقد الرابع والخامس. من ذاتية ومرجعية كونت نقده الانطباعي.

### النموذج الثالث

النموذج المتماهي المندمج في الصراع الاجتماعي والثقافي المحلي والعربي على السواء. ونرى هذا النموذج في أول تجربة نقدية محلية متصلة بالحوار حول قضية الأدب في البحرين ومنطقة الخليج، وحول قيمة ما يكتبه الشاعر في هذه المنطقة، والخطوط العريضة أو المسار العام الذي تتحرك فيه القصيدة آنذاك وقد تمحورت هذه التجربة حول شعر عبدالرحمن قاسم المعاودة الشاعر البحريني المعروف آنذاك بتوجهه نحو قضايا الشباب والوطن والمجتمع. فقد نشر عدداً من الرباعيات التي يعارض أو يحاكي بها رباعيات الخيام الشهيرة، فتصدى لها أحد المثقفين بالنقد ومن ثم بدأت تجربة حوار نقدي لم تشهده الصحافة ولا المجتمعات في الخليج من قبل.

وسنعمد كثيراً على دراسة النموذج الثالث، لا من أجل التعبير عن الانحياز لها من الوجهة النقدية وإنما من أجل صياغة السؤال المنهجي لهذه الدراسة، وهو ما مدى انفتاح رؤية النقد حين ترتب بانفتاح في المجتمع والثقافة؟ وماهي حدود الانزياح أو التماهي حينئذ في الآخر (المرجعية) وماهو دورها الحقيقي؟. هل هو دور معرفي نقدي أو هو دور اجتماعي وثقافي عام؟ وفي كل ذلك. هل كانت مرجعية الانفتاح لهذه التجربة دالة فعلاً على ضرورة ظهور تجربة النقد في مجتمع البحرين والخليج آنذاك؟

هذا سؤال في صيغة مجموعة من الأسئلة لا يطرحها النموذجان الأول والثاني بمقدار ما يطرحها النموذج الثالث، ومن هنا وبعبارة عن أي تفاصيل تاريخية فإننا سنعتبر تجربة النموذج الثالث هي البداية الفعلية لتجربة النقد. كما سنتوقف عندها بوصفها نموذجاً فكرياً لأسئلتنا النقدية الراهنة. ولن نغفل خلال ذلك أن نسوق تجربة هذا النموذج في سياق المقارنة مع النموذجين الأول والثاني. كما لن نغفل تداعيات الظرف الثقافي العام للفترة. ولذا فإننا سنتوقف أولاً من النموذجين الأولين لنتتهي بعد ذلك إلى التجربة النقدية المندمجة في الصراع الاجتماعي والثقافي والمتمحورة حول شعر عبدالرحمن المعاودة.

### النقد بين المجتمع والصحافة

#### الانزياح نحو القديم والجديد

محور الخطاب النقدي في هذا النموذج الأول يتراوح بين الذهاب إلى القديم والدفاع عنه والتذرع به أو الذهاب إلى الحديث والتعلق به إما هجوماً على ذلك القديم ومحاولة الكشف عن جهوده . أو شروعاً في صياغة هذا الجديد ومحاولة التعريف بأفكاره وفنونه . وتتوزع التناجات في سياق هذا النموذج فوق مجموعة كبيرة من الكتابات معظمها في الصحافة وقليل منها تضمنته إشارات بعض الكتاب في أنشطة أخرى أبرزها كتاب عبدالعزيز الرشيد «تاريخ الكويت» في جزئه الثاني بوجه خاص . وفي كل ذلك تبرز ظاهرة أساسية وهي انزياح صيغة الصراع الاجتماعي الديني والثقافي والفكري في صيغة الصراع بين قديم وجديد، وكأن «القديم» و«الجديد» عنوانان أو رمزان لمجموعة متعددة من الثنائيات التي لا يصرح بها المجتمع ولا يسمح بظهور ملامحها المباشرة، وهي ثنائيات مغيبة بحكم الضبط الاجتماعي والسياسي وطبيعة التركيب الاجتماعي والثقافي والديمقراطي المزدوج والمتنوع لسكان منطقة الخليج . فهناك السنة والشيعية والحضر والبدو، والقبائل المقيمة والأخرى الوافدة، والعرب المنزاحون من قلب الجزيرة العربية والآخرين المنزاحون من المناطق والسواحل المجاورة كالعراق وإيران .

وهناك ثنائيات قومية، ومذهبية تقيم الفواصل بين تزلت وتزلت وسلف وسلف وتختلف وتحرر إلخ . ذلك مما ورثته مجتمعات الخليج من تكوينات القرن الماضي . وخاصة بعد انتهاء مرحلة الدويلات، واستقرار أشكال الحكم، وقيام معاهدات الحماية مع بريطانيا، وتثبيت شكل الخارطة السياسية للمنطقة .

وبما لاشك فيه أن ظهور الصحافة في البحرين والكويت من أهم عوامل اشتداد حركة الانزياح، وربما انكشاف ما ظلت تستنبطه هذه الحركة من أفكار استهدفت توجيه النقد إلى المجتمع والثقافة والأدب . وقد ظلت الصحافة تقف وراء دخول مجتمعات المنطقة إلى عتبات العصر الحديث نظراً لارتباطها بتداعيات «المجتمع الحديث» بدءاً من التعليم وشيوع الوعي والقراءة ومحاربة التخلف والجمود، ومروراً بدخول المطابع والكتب والصحف والمجلات وظهور المكتبات والتعرف على الفنون الحديثة والأفكار الجديدة في السياسة والأخلاق والدين والاقتصاد . وانتهاءً بمعرفة الآخر بكل ما يعنيه هذا الآخر من اختلاف وتناقض أو من إعجاب وتسامح . ولم يكن هذا الانفتاح الثقافي في الربع الأول من القرن الحالي يعني نهاية للمجتمع التقليدي . . بل العكس . . لقد أثار الإقبال على جديد العصر استفزاز ذلك المجتمع، فتهماً المثقفون التقليديون بمواقف أكثر صلابة، سنجدتها تنعكس على السياسة والمجتمع والثقافة في آن واحد .

ففي السياسة يزداد التحالف التقليدي بين التجار والأعيان من جهة والسلطة التقليدية السياسية من جهة أخرى . . في الكويت مثلاً عبّر هذا التحالف عن قوته في حادثة هجرة تجار اللؤلؤ التي ذكرها عبدالعزيز الرشيد، والتي جعلت الحاكم (مبارك الصباح) يرضخ لشروط التجار والأعيان ويذهب إلى البحرين معتذراً عما بدر منه بعد منعه الغواصين من البحر.<sup>(٤)</sup> لقد صكت هذه المصالحة تحالفاً بعيد الأثر بين السلطة والمثقف التقليدي في الكويت، نجد له امتداداً قوياً في البحرين حين انعقدت صيغة التحالف مرة أخرى في الحركة التي قادت إلى خلع الحاكم من قبل الإنجليز (الشيخ عيسى بن علي الخليفة) فبعد سلسلة من الأحداث



# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

بعدد من المقالات النظرية التي تبرز الأصول الفنية للقصة القصيرة، وتلمس بعض قضاياها الأدبية التي لا بد أن يعي كاتب القصة جوانب أساسية فيها .

وفي أول مقال نقدي تنشره الجريدة بعنوان «لماذا نقرأ القصص» سنجد ثلاث نقاط أساسية تؤكد على وعي صاحب المقال بفكرة الانزياح التي يؤديها الحديث عن فن القصة في مجتمع تقليدي ينظر إلى فن القصة نظرة دونية . . أولها : أن الكاتب ينقض فكرة ارتباط القصص بالتسلية والترويح عن النفس والمتعة ، ويؤكد أن وظيفة الفن القصصي أرفع من ذلك وأسمى لأنها تتجه إلى إثارة النفوس بالمعاني الجادة والعميقة ، وإيقاظ الغرائز، وإشباع الأحاسيس الدفينة وهي أهداف بعيدة عن طلب اللذة والتسلية .

وثانيها : أن القصص تخطط لفكرة الإسقاط والتقمص التي هي من وسائل الإشباع النفسي . . فالتقاليد والأعراف تحول دون تحقيق الكثير من الرغبات لكن القارئ حين يندمج متقمصا بشخص القصص يتمكن من تحقيق رغباته الممنوعة .

وثالثها : أن القصص تعوض النقص الكبير الذي يشعر به القراء إزاء الحياة باتساع معانيها ومطالبها<sup>(٧)</sup> .

وتكمن أهمية هذا المقال في أنه يصطدم مع القارئ العادي ، ومع الوعي العام في المجتمع التقليدي . . فالأول مضغوط بالشائع عن القصص من أنها وسيلة تسلية ، وقد اصطدم صاحب المقال مع ذلك بعنف ورده بمنطق إيقاظي وإعبي بالوظيفة الاجتماعية والنفسية للقصة . والثاني مضغوط بالضوابط والتقاليد وقد رأى المقال أن القصة تخترق ذلك وتتجاوز عنه بوسائلها الفنية . وفي الحالين تظهر نبرة خطاب تعليمي يستبطن ظاهرة اعتناق الجديد «فن القصة» ويستشرف الإمكانيات الهائلة لهذا الفن في مواجهته للمجتمع التقليدي ، واختراقه لأحكامه ومعاييره . وهو ما نراه في مقال نقدي نظري آخر بعنوان «أثر القصة في تربية الأطفال»<sup>(٨)</sup> .

تنتقل نبرة الخطاب التعليمي (في مقال آخر نشر لباحث من عدن لم يذكر اسمه) إلى المستوى الفني فيعني أولاً بمسألة المصطلح «القصة» و«الرواية» والفروق الفنية بينهما ، والتي يحددها في وحدة الحدث والشخصية والعاطفة مع الأولى ، وتنوعها وتوزعها مع الثانية . ثم يمضي مع بعض أصول وقواعد القصة ، وبنائها الذي يحدده في التمهيد والخطة والهيكل والحل . ورغم التباس مصطلح فن القصة القصيرة بالفن القصصي عامة لدى الكاتب إلا أنه يبرز ملامح فنية هامة لهذا الفن الجديد ، ويصحح مفاهيم خاطئة ، ويؤكد عدم سهولة هذا الفن .

وقد اشتد الهاجس التعليمي في الخطاب النقدي الذي أتت عليه جريدة البحرين مع فن القصة في مقال آخر بدون توقيع تحت عنوان «القصة وأثرها في المجتمع» وهو مقال يعبر عن شعور قوي من أبناء جيل الفترة بضرورة خلق أدب القصة القصيرة في الحركة الأدبية البحرينية ، بينما أدب القصص تاريخ حافل بجلائل الأحداث في الأدب العربي القديم والحديث<sup>(٩)</sup> .

ولن نستطرد كثيرا في عرض مؤشرات انزياح الجديد في الخطاب النقدي النظري الخاص بالفنون الحديثة ، فغاية الأمر في تتبعنا لمساره إنه كان يستقطب الاتجاه إلى المغايرة ويواجه التقليد لا بأسلوب مهاجمة القيم والأحكام التقليدية في المجتمع . وإنما بأسلوب الدعوة إلى استحداث الفنون القادرة على تمثل المجتمع بمختلف مشاكله وقضاياها . وكذا فإننا لن نطوف كثيرا مع مؤشرات انزياح القديم في الخطاب النقدي خلال

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

أن نستجلي صور المعاني التي نتخيلها، وأن الصلة بين اللفظ والمعنى هي في الواقع صلة الروح بالجسد الحي .  
ويقرّ العريض منذ الصفحات الأولى بأنه يكتسب هذا المذهب من اضطلاع به بعض الآداب الأجنبية، لكنه لا يشير إلى مذهب النقاد العرب القدماء في ذلك وخاصة عبدالقاهر الجرجاني رغم أنه سيرجع إلى أمثلة شعرية وقف عندها هذا الأخير، مثل مقطوعة :

ولما قضينا من منى كل حاجة      ومسح بالأركان من هو ماسح  
وشدت على حذب المهاري رجالنا      ولم ينظر الغاوي الذي هو رائح  
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا      ومالت بأعناق المطي الأباطح

ولا تهمنا قضية اكتساب الفكرة الخاصة بارتها الألفاظ ببعضها، فهي قارة وثابتة في مرجعيات الخطاب النقدي للعريض رغم نفيه المتكرر، ولكن ما يهمننا أكثر من ذلك تطبيقاته النقدية لفهم العلاقة تلك، واستجلاؤه لمقومات الشعر بعد ذلك . ويواجه العريض إشكالاً منهجياً صريحاً عند تطبيقه لفكرة أن الصلة بين اللفظ والمعنى كالصلة بين الروح والجسد الحي . يتضح ذلك من أن الإجراءات والأدوات النقدية التي يستخدمها ويفهمها لا تتمكن من استيعاب النصوص الشعرية بشمولية تحليلية . وإنما تنظر إليها بجزئية، وتقتبس منها المقاطع الدالة على ملاحظات الاستحسان والاستهجان . وهو في ذلك لا يختلف عن نقد القدماء التقليدي، ولا يختلف عن نقد المهجريين الذين لم يتمكنوا من اكتشاف نظرية نقدية متكافئة مع نظريتهم الرومانسية عن الإبداع الشعري . وبسبب ذلك مضت ملاحظات العريض تتحدث عن الألفاظ منعزلة عن المعاني ومنفصلة عن روحها معللاً ذلك بقصدية الإيضاح للقراء<sup>(٢٢)</sup>.

أما بالنسبة لتحديد مقومات الشعر التي ستنهض على أساسها صلة الألفاظ بالمعاني فيلخصها العريض في أربع مقومات وهي : الموسيقى والعاطفة والخيال واللسون، وقد رأى شعراء المهجر في هذه المقومات بوصفها أساس نظريتهم في الإبداع، وحاول العريض أن يفعل ذلك أيضاً لكن مشكلته تقع في أنه يذهب سريعاً إلى التطبيق على النصوص فيواجه ذات المشكلة المنهجية وهي أنه ينظر إلى كل مقوم منفصلاً عن الآخر في جزئيات أو مقاطع شعرية مبتسرة . وفي أحسن الأحوال يصرح بأن الموسيقى قد تقترن بالعاطفة وحدها أو بالعاطفة والخيال . . أو تستقل<sup>(٢٣)</sup>، ويسوق أمثلة غير دقيقة على ذلك، يمكن لقراءة نقدية أخرى أن تفترض عكس ما ذهب إليه .

لقد ظلت مشكلة شمولية التحليل أو القراءة النقدية التطبيقية واحدة من أهم عناصر الضعف في نقد العريض . وهي واضحة في الكتابين اللذين أشرنا إليهما . أما كتابه الثالث «جولة في الشعر العربي» فلم يخرج عن نطاق الكتابين السابقين . لقد انعكست في خطابه بصمة الأساليب الشعرية وعلاقة الشعر بذات الشاعر وبالفنون الأخرى، ولم يزد من ثم عن كونه قراءة تطبيقية لتأملاته الانطباعية النقدية السابقة، وقد اعتمد في اختياره للنصوص الشعرية على ذوق متميز واختيار دقيق، أما قراءته لها فقد اعتمدت على ثقافته الشعرية ونظريته الرومانسية المثالية للشعر التي صاغها في الكتابين الأولين .

قد لاحظ عبداللطيف شرارة في تقديمه لكتاب ضم محاضرة العريض عن الشعر ومخاراته الشعرية . لاحظ صاحب المقدمة أن العريض «لم يوضح علاقة الشعر العربي خلال عصوره بالحركات الفكرية والفلسفية، ولم يحدثنا



# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

تحديداً لم ينظروا إلى ما جاء في تلك التجربة النقدية من أحكام ونتائج تحدد طبيعة شعر المعاودة، أكثر مما تحدد شكل الرباعيات التي نظمها .

وليس هذا فحسب بل إن شاعراً كبيراً مثل إبراهيم العريض يدرس جميع الترجمات لشعر رباعيات الخيام في أكثر من محاضرة أو لقاء<sup>(٣١)</sup> . لكنه لا يأتي من قريب أو بعيد للرباعيات التي صاغها المعاودة معارضاً بها الخيام . لكننا نرى أن المعاودة في هذه التجربة يسبق جميع شعراء المنطقة في الالتفات إلى رباعيات الخيام فيعارضها رغم موضوعاتها الصعبة ، والمعقدة ، والتي قد لا يتقبلها مجتمع تقليدي كالمجتمع في الخليج آنذاك ، كما أن صيغة المعارضة هذه لم تتخلص من روح الخيام . لقد تشربتها حتى الثمالة ، وبدت بعض الرباعيات أقرب ما تكون إلى الاقتباس أو الترجمة . ومع ذلك فإن العريض استبعداها وقطع صلتها بها متناسياً تأثيرها الكبير على الحركة الأدبية في الأربعينات . وربما كان له العذر في ذلك من زاوية واحدة فقط وهي أن المعاودة لم يكن مترجماً بقدر ما كان متقمصاً ومقتبساً ومعارضاً .

وإذن فلنأخذ نرى عكس ما آلت إليه التجربة النقدية حول المعاودة من إهمال وقطيعة ، ونولي سياقها أهمية وتأثيراً على مسار الحركة الشعرية في المنطقة أكثر مما أثارته أي تجربة نقدية خلال فترة النصف الأول من هذا القرن ، وذلك لأمرين لهما دلالتهم : الأول أن المرجعية الأدبية والفكرية لهذه التجربة تقترب بشعر شاعر ملتحم بالواقع إلى حد التورط في تناقضاته الاجتماعية والثقافية والسياسية . والثاني : أن تلك المرجعية لم تقع عليها عوامل الانزياح حقاً لكنها لا تعكس عليها ظلال التناقض والافتعال كما حدث في النماذج التي عرضنا لها في بداية الدراسة ، ذلك أنها تندفع أيضاً بعوامل التوجه المباشر إلى النص الشعري تاركة للمرجعية الاجتماعية والتراثية ثقلها الأساسي في التحكم بطبيعة الخطاب النقدي .

وطالما أن هذه الدراسة تستهدف جلاء المرجعية من المجتمع ومن الشعر والتراث . . كما تستهدف في ذات الوقت كشف دلالات تحديد المسار للحركة الشعرية (تجربة المعاودة الشعرية) مفترضة أن القيمة النقدية الأساسية في نقد هذه التجربة إنما تكمن في قدرتها على هذا التحديد الذي انفردت به عن بقية التجارب النقدية الأخرى . . أقول طالما كان الأمر كذلك فإن قراءتنا للمقالات النقدية التي نشرتها جريدة البحرين حول شعر المعاودة ، سنتطرق من مدخل القراءتين النقديتين اللتين انقسمت عليها جميع مقالات الجريدة :

- قراءة ترى شعر المعاودة بما لم يكن عليه من عناصر الخيال والابتكار .

- قراءة ترى شعر المعاودة بما كان عليه من التميز والقوة والخيال .

وقد شارك في هاتين القراءتين مجموعة كبيرة من المثقفين أهمهم كاتب من المنطقة الشرقية (الاحساء) وهو عبد الله بن محمد الرومي الذي يرجع إليه فضل إثارة الوسط الثقافي بهذه التجربة النقدية الجادة . وقد اشترك معه مجموعة من المثقفين منهم عبد الرحيم روزبة الذي عرفت جريدة البحرين العديد من مقالاته النقدية منها حوار مع عبدالرزاق البصير الذي أشرنا إليه سابقاً . ومنهم علي التاجر الكاتب الصحفي الذي سيكون له دوره أيضاً في تأسيس «مجلة صوت البحرين» في الخمسينات ، ومنهم يوسف سائر وغيرهم من المهتمين بتجربة المعاودة الشعرية في البحرين والمنطقة الشرقية بالملكة العربية السعودية . ويمكن ملاحظة أن الخطاب النقدي لهذه التجربة لم يخل من مظاهر الانزياح بصورة مطلقة ، أو من مظاهر الاحتفاء بالرموز ، فقد انقسم

## عالم الفكر

هذا الخطاب حول شعر المعاودة انقساماً يعبر عن تناقض اجتماعي وثقافي متستر هو الآخر. يتمثل في استخدام التوقيعات المستعارة التي تشير إلى أسماء من النقاد والعلماء العرب القدماء ، كما تقتزن هذه التوقيعات بالتأكيد على سوسيولوجيا المكان المنقسم بين المدينتين المحرق والمنامة ، وهما عاصمتان ثقافيتان ، يصوغ التنافس بينهما صراعاً اثنياً بعيداً تتخفى وراءه تناقضات الصراع بين المدينتين ، وهذا مسرد بتوقيعات أصحاب المقالات يوضح الملامح الأولى لانزواء خطاب هذه التجربة النقدية :

الخطاب النقدي المختلف مع النص	الخطاب المختلف مع الخطاب النقدي	الاختلاف بين الخطابين
١- ابن الرومي ، الاحساء / ١٦ أكتوبر ١٩٤١	١- طبق الأصل - أحد القراء والمقال عبارة عن مقدمة ثم قصيدة شاع بين المهتمين أنها من نظم المعاودة . كما اشارت المقالات لذلك .	الشيخ عبدالمحسن الحلي (مقال بعنوان: في سبيل الهدنة والصلح بين الأدباء ٢٦/٢/١٩٤٢
٢- أحد القراء ، المنامة / ٦ نوفمبر ١٩٤١	٢- قاري المحرق / ١٨ ديسمبر ١٩٤١	
٣- ت ، المنامة / ٢٧ نوفمبر ١٩٤١	٣- المحرق - ابن العميد / ٢٠ نوفمبر ١٩٤١	
٤- ابن الرومي ، الاحساء / ٤ ديسمبر ١٩٤١	٤- المحرق - ابن العميد / ٢٧ نوفمبر ١٩٤١	
٥- ت ، المنامة / ٤ ديسمبر ١٩٤١	٥- المحرق - ابن العميد / ٤ ديسمبر ١٩٤١	
٦- ت ، المنامة / ١١ ديسمبر ١٩٤١	٦- المحرق - ابن العميد / ١١ ديسمبر ١٩٤١	
٧- م . د / ١٨ ديسمبر ١٩٤١	٧- المحرق - ابن العميد / ١١ ديسمبر ١٩٤١	
٨- كاتب الاحساء / ٨ يناير ١٩٤٢	٨- قاري / ١٣ نوفمبر ١٩٤١	
٩- كاتب - الاحساء / ١٥ يناير ١٩٤٢	٩- قاري - المحرق / ١١ ديسمبر ١٩٤١	
١٠- الاحساء - القالي / ٢٥ ديسمبر ١٩٤١	١٠- المحرق - ابن العميد	
١١- الاحساء - كاتب / ١٢ فبراير ١٩٤٢	١١- المحرق - ابن العميد / ٢٥ ديسمبر ١٩٤١	
١٢- الاحساء - القالي / ٢٩ يناير ١٩٤٢	١٢- المحرق - ابن العميد / ٨ يناير ١٩٤٢	
١٣- الاحساء - القالي / ٢٢ يناير ١٩٤٢	١٣- المحرق ابن خلدون / ١٥ يناير ١٩٤٢	
١٤- ابن رشيقي - الاحساء / ١٦ يوليو ١٩٤٢	١٤- المحرق - ابن خلدون / ٥ فبراير ١٩٤٢	
١٥- الاحساء - كاتب / ١ يناير ١٩٤٢	١٥- فتى - الجزيرة / ٢٣ يوليو ١٩٤٢	

ويكشف المسرد الإحصائي السابق لعدد المقالات والتوقيعات ملامح كثيرة لعل من أبرزها الانتماء المكاني الواضح ، والانتماء للمرجعية التراثية المتمثلة في اختيار أسماء مثل (ابن الرومي ، القالي ، ابن رشيقي ، ابن العميد ، ابن خلدون) . وهي أسماء تمثل رموزاً أساسية في النقد العربي القديم . ولانشك أن الملمحين السابقين (المكان + المرجعية) يمثلان المدخل الأول في سوسيولوجيا هذه التجربة النقدية المبكرة . فمن خلالها يمكن معرفة الحدود البعيدة لدور انزياح الواقع والمرجعية في تأسيس خطاب التجربة النقدية المبكرة في البحرين والخليج .

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.



# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

ويعلق على ذلك بقوله: «أنت ترى أن كلا الشاعرين يحاول أن يتعاطى وصاحبه الكأس . لكن تعاطى أبي عبادة له حد محدود هو تلك الإغفاءة، أما تعاطي شاعرنا فهو هالك وهات ! ثم إلى آخر هذه «الهاجتهات» إن كان لها آخر» .

وما من شك بأن المقارنة في سياق انفعال الناقد بفكرة ضعف المعاني وهلهلة الألفاظ عند الشاعر لا تؤدي وظيفتها النقدية الموضوعية . إنها تكشف حقاً عن جلاء أكثر لموقف الناقد وثقافته وحدود مرجعيته التراثية لكنها تنحرف إلى حدود المباحكة ، والاستعراض . خاصة إذا تأملنا الفارق الأساسي بين المعادة حين ينادي الحبيب (يا حبيبي) والبحترى حين ينادي (عبدالعزيز تفديك نفسي) ، مما يعني اختلافاً طبيعياً في تصوير أجواء التعاطي بين الشاعرين .

وهناك جانب آخر ينضاف بوضوح في هذا المقال وهو السخرية التي يستخدمها الناقد لذات الغرض السابق وهو تأكيد دونية المعاني والألفاظ لدى الشاعر . وقد استخدمها من قبل في مقاله الأول في إشارات عابرة . لكنه عاد إليها بصورة واضحة تجلي انفعاله ومحاولته الواضحة للتقليل من قيمة الرباعيات التي صاغها المعادة . . ومن أمثلة سخريات الناقد التي تستهدف إسقاط معاني الشاعر، وتشويه قدرته على التحكم في اللغة والنظم قوله:

«ثم يقول

إنما ريقك والخمر حياتي

إن في ثغرك كأسٍ والمدام

وبغض النظر عما في هذا البيت من ضعف التركيب وسوء الصناعة فهو لايجوي معنى يحسن السكوت عليه . ونحن قد نوافق الأستاذ الشاعر أن في ريق حبيبته امتداداً لحياته ، ولكننا لا نوافقه أن يكون في ثغر هذه المسكينة كأس الأستاذ ومدامه أيضاً إلا على اعتبار ذلك الثغر مستودعاً في إحدى الخانات الكبرى لا ثغر غانية تعيش على منظر ومسمع من القرن العشرين» (٣٤)

ثم يصف الناقد ألفاظ بديع الحسن وحلو الدلال في قول الشاعر:

يا بديع الحسن يا حلو الدلال

أه لو نرجع هاتيك الليالي

يصفها بألفاظ ضاربات الدفوف في الأعراس .

وقد أدت سخرية الناقد وظيفتها في تأكيد الموقف المتصادم مع الشاعر، وفي تعزيز فكرة أن المعادة لا يعني بألفاظه ومعانيه ، وإنما يركض وراء سهولة ظاهرية مقلداً ومستهلكاً ، لكن هذه السخرية دلت على سياق مرجعي مناوئ للنص ينطلق من تكوين مختلف وذوق مغاير . وهو سياق يصب في مجرى النظر إلى النص بما لم يكن عليه من قيم وقواعد . إنه يزيح النص المنقود ليحل محله نصاً آخر تكتبه آليات المرجعية التي يعملها ابن الرومي . وتتصاعد السخرية السابقة لتصل حدّاً يثير قضية السرقة ، فابن الرومي يرى أن الشطرين من الرباعية التالية :

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

الأولى : موقف محمد الرومي الذي عرضنا له والذي يبرهن على سلطته في خطاب علي التاجر النقدي .  
والثاني : ذوقه الشخصي في التأويل والتخريج لألفاظ واستعارات المعاودة في رباعياته كما سيتضح ذلك في أحد الأمثلة التي سنأتي عليها .

ونرى أن «التاجر» قد صاحب فكرة ذات حيوية خاصة في مجمل خطابه خلال ثلاث مقالات حين قال :

«الشعر ليس مجرد إضافة كلمة إلى كلمة وفكرة إلى فكرة، وإنما هو أن تنفذ بعينيك وتستشف بروحك دقائق تلك الكلمات والأفكار»<sup>(٣٧)</sup>

هذه فكرة لها بريقها دون شك . لكنها تطرح سؤالاً هاماً، وهو كيف يمكن ممارستها في الخطاب النقدي؟ هل تعمل المرجعيات المتزاخرة في ثقافة الناقد على بلورتها في سياق نقدي متميز؟ أم تدفع بها للاستباق والتسلل بوصفها حكماً جاهزاً؟ والذي نلاحظه أن خطاب التاجر في المقال الأول قد ألمح إلى بذور تلك الفكرة، ثم جاء المقال الثاني بلمحات أخرى . وأخيراً جاء الثالث ليؤسس لها منذ أسطره الأولى، وكأنها خلاصة نهائية لأراد لها . . . . . ونعتقد أن فكرة التاجر تتجلى في أمثله من الشعر العربي التي أتى بها من شعر المتنبي والمعري أكثر مما تتجلى في شعر المعاودة عبر خطابه النقدي . . . فهو أولاً لم يزد عما ذهب إليه الرومي في تخريج أبيات المعاودة . وهو ثانياً لم يلجأ إلى أمثلة أخرى من رباعيات هذا الشاعر يؤكد من خلالها ممارسة نفوذ الفكرة وتأسيس حيويتها في الخطاب الشعري .

وأخيراً فإن الإجراء النقدي الذي نهجه «التاجر» باعد بين الفكرة والممارسة . وقاده إلى الاستباقات غير المقتنة . فمن إجراءات انشغاله بشجب أصحاب المعاودة وأتباعه . واندفاعه نحو الاستباق ضاعف من ازدياده لرباعيات المعاودة من جهة . وللرأي الآخر من جهة أخرى . فكان مرة يقارن بين شعر ابن الرومي والمعاودة في سياق لا مبرر له إلا التأكيد على «دونية» الأخير . وكان مرة أخرى يلجأ إلى رد دفاع الرأي الآخر بأنه مأخوذ من الرافعي وسيد قطب . أما أكثر ما عزل الفكرة عن التطبيق فهو التعليمية الواضحة في خطاب علي التاجر النقدي . . . لقد كان يخاطب الشاعر المعاودة ومن دافع عنه (خاصة ابن العميد - عبد الرحيم روزبة) بأسلوب يمتزج فيه التهكم بالتعليم ، والثقة بنفوذ المرجعية التي يعملها فهو يقول : وجوابنا أن ماظنت من أن استعمال المعاودة لكلمة الجاهل في هذا التركيب اللفظي :

(الشم الجاهل فيارب خرف)

(كان قبلاً هيفاء نحف)

بمعنى خرف هو على سبيل الاستعارة وهم ليس له ما يبرره . ومن هذا ندرك أن معلوماتك في اللغة لا تنهيك لك أن تفهم الاستعارة . لو حاولنا شرح أقوال علماء البيان فيها . مهما اجتهدنا في تبسيط أبوابها لك . ولهذا سنأخذ معها سبيلاً آخر في مناقشتك الموضوع . وسنبين هذا هو سبيل علماء التربية في تبسيط النظريات للطلاب . سنصوغ لك أمثلة نقلد في تركيبها اللفظي بيت المعاودة ثم نحتكم إلى رأيك . هل تفهم إذا قلنا (اشرب الماء . فيارب خمره كانت سبياً في هلاك شاربها) إننا استعملنا (الماء) هذا بمعنى (الخمرة) على سبيل

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذوايدي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.



# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

انزياح الوعي لدى أصحاب هذا الخطاب . ذلك أنها تتمركز في منطقة واحدة وهي إثبات الجهل بالتراث اللغوي والشعري ومحاولة تشويهه . . دفاعاً عن الاحتفاء بعروبية الخطاب ، وإثبات المركزية الثقافية للمكان الذي ينتمي إليه أصحاب الخطاب أيضاً . وفي هذه المنطقة المتوترة ينحرف الخطاب النقدي ، ويبدو وكأنه لا ينصرف نحو قضية محددة .

لقد تطايرت قضايا ثانوية عديدة في سياق توتر الخطاب النقدي بالانزياح لا شأن لها بشعر المعاودة ، ومن ذلك التجديد والابتكار والسرقات وكسر القوافي والأوزان ونحو ذلك . لكنها لم تتمركز على نحو ما وجدنا في بعض العبارات الشعرية التي أطلقها المعاودة (مثل تراءى من الحق ضلال) . . ولم توظف نقدياً في كشف ملامح جديدة في شعر المعاودة . . إن نقد روزبة لم يزد عن محاولة تصحيح فهم بعض العبارات الشعرية التي تعرضت للتشويه . ونقد الرومي والتاجر لم يزد عن محاولة إثبات فساد لغة المعاودة وضعف خياله . هذان جوهر جمل الخطاب النقدي ، وأهم ما فيه من قيم نقدية . لكن مشكلة هذا الجوهر أنه يندفع بعوامل انزياح الوعي نحو تفاصيل تكشف عن تنازع المركزية الثقافية للمكان . ولهذا سقطت شاعرية المعاودة ضحية هذا التنازع في المحصلة الأخيرة . فأصحاب الرومي ينزعون عنه شاعريته حتى أنهم يسخرون من لقبه «شاعر الشباب» في مواقع عديدة من مقالاتهم . وأصحاب المعاودة يخلعون عليه شاعريته ، ويعززون موقعه شاعراً للشباب في البحرين ، وحاملاً للواء العروبة ، ولاهجاً بأعجائها العظيمة .

وهناك سلسلة من المقالات الأخرى التي وقعها كتاب يقرنون أسماءهم المستعارة (كابن خلدون مثلاً) بالاشارة إلى المكان (المحرق) ، وهؤلاء لا يختلفون عما جاء في نقد روزبة . إنهم يرددون حججه ، ويقفون موقعه ويقعون مثله تحت سطوة خطاب المرجعية التراثية واللغة النقائضية . ورغم أننا لا نتوقف مع هذه المقالات كما لم نتوقف مع المقالات الأخرى التي وقفت موقف ابن الرومي لذات السبب وهو ترديدها لذات التفاصيل وتكرارها ذات البراهين . . إلا أننا ننظر إليها من زاوية انضوائها في نظام التناقض بين انزواءين لمكانين متمركزين . . (المحرق + النامة) . فالموقف المضاد من شعر المعاودة (ابن الرومي) يتشكل من وعي له أرضيته الاجتماعية والثقافية عبرت عنه سلسلة المقالات التي ذكرناها فيما مضى . . والموقف المضاد من نقد ابن الرومي (روزبة) يتشكل من وعي له أرضيته الاجتماعية والثقافية أيضاً تعبر عنه المقالات العديدة التي لم نفصل القول فيها . وينقسم الوعي في الحالتين بين الذات والموضوع انزياحاً نحو المسكوت عنه (ذاتاً) ، وانشداداً نحو وضع شعر المعاودة في مساره الصحيح (موضوعاً) . وقد حاولت هذه الدراسة فيما مضى أن تنصرف نحو تحليل الخطاب النقدي الذي ينصب مباشرة على التجربة الشعرية للمعاودة ، أما الخلفية الذاتية لهذا الخطاب فقد أساء الجميع استخدامها إلى حد استدعى أن يتوسط أحد أصحاب الخطاب الديني والإصلاحي بالتدخل ، فضلاً لعلو نبرة النزاع الذاتي بين الطرفين<sup>(٤٣)</sup> .

### الخلاصة

#### محددات تطرح أسئلة جديدة

النقد بوصفه - إنتاجاً في المعرفة - لابد أن يكشف عن آليات لاحصر لها في مجال الفكر والفلسفة وحتى في مجال العلوم الأخرى ، ورغم أن الهوية الأساسية للنقد فكرية إلا أنه ليس في منجاة من التورط في المواقف

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

أما النموذج الثالث فيرسي الدور للممارسة النقدية المتأرجحة بين سلسلة من المرجعيات المتناقضة أحياناً (مثال مرجعيتها في التراث ومرجعيتها في الصراع الفكري الدائر في مصر) لكن رغم ذلك فإن إسقاطات هيمنة هذه المرجعيات تتم عبر تحديد نقدي لا تنقصه الدقة أو الصرامة في تقييم الشعرية عند عبدالرحمن المعادة. وقد أسست هذه الإسقاطات للكثير من أشكال الإسقاط الأيديولوجي في نقد الستينات والسبعينات، رغم أنه لم يكن على صلة مباشرة بأصحاب الخطاب النقدي للنموذج الثالث. بل لقد انتهى تقييم الشعرية لدى المعادة في سياق الحركة الشعرية إلى ما انتهت إليه تجربة هذا النموذج من أحكام زعزعت إمكانيات المعادة في اللغة والخيال.

وأخيراً فلننا نرى أن جميع المحددات التي تنتهي إليها الدراسة عبر النظر في النماذج الثلاثة إنها هي في نهاية الأمر محددات لأسئلة جديدة. تتصل بالشبكة المعقدة التي تتكون منها مرجعية الخطاب النقدي والإبداعي عادة. ذلك أن تحليل الخطاب النقدي من خلال مرجعياته الثقافية والفكرية المفسرة، أو من خلال هيمنة صيغة الحكم والتفسير إنها هو توغل - عمقا - في أسئلة نقدية متقاطعة قد تؤدي إلى تكثيف مجموعة لا حصر لها من نقاط الارتكاز في العملية النقدية ذاتها.

## الهوامش والمراجع

- (١) انظر: د. ماهر حسن فهمي. تطور الشعر في الخليج. وكتاب النثر في شرق الجزيرة العربية للدكتور محمد المبارك.
- (٢) انظر كيف يتوقف الباحث الدكتور محمد عبدالرحيم كافور حول أسماء مثل محمد الماجد وعلي سيار وعبدالرزاق البصير وفاضل خلف وعلي زكريا في كتابه النقد الأدبي في الخليج العربي. دار قطر بن فجاءة للنشر.
- (٣) انظر: للدكتور محمد مندور، الميزان الجديد والمذاهب الأدبية، وللدكتور محم غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث والرومانتيكية.
- (٤) انظر: تاريخ الكويت، عبدالعزيز الرشيد، منشورات دار مكتبة الحياة ص ١٩٠ وما بعدها.
- (٥) ظهرت قوانين الصحافة في البحرين سنة ١٩٥٤ وفي الكويت سنة ١٩٥٦ ثم صدرت قوانين أخرى بعد ذلك في الستينات.
- (٦) أثار صاحب جريدة «البحرين» عبدالله الزايد قضية الطائفية وطرحها في أحد مقالاته بصورة متحررة وواعية، وعقب عليها القراء ولكن سرعان ما أوصد باب الحوار فيها بعد ردود الفعل الأولى. وظلت بعد ذلك واحدة من القضايا التي لا يجوز طرح الحوار فيها مما جعلها تستصحب رواسب اجتماعية كثيرة.
- (٧) القصة القصيرة في الخليج العربي، إبراهيم عبدالله غلوم، مركز دراسات الخليج العربي، البصرة ١٩٨١ ص ١٠٢.
- (٨) نشر المقال الأول «لماذا تقرأ القصص» في جريدة البحرين ١٦ يناير ١٩٤١.
- دون توقيع. ونعتقد أنه من إعداد صاحب الجريدة عبدالله الزايد. أما المقال الثاني فقد نشر في العدد ١٠٤ - ٢٧ فبراير ١٩٤١ بتوقيع يرمز إلى الحرفين الأولين للزايد وهو ع. عبدالله علي الزايد.
- (٩) جريدة البحرين، ٢٤ يوليو ١٩٤٣.
- (١٠) هناك آراء لبعض كتاب جريدة البحرين ومنهم الكاتب الكويتي عبدالرزاق البصير لم تلتفت لها رغم أنها تناولت قضية الفنون الحديثة كالقصة وذلك لأنها اتخذت موقفاً محاظاً واعتبرت قراءة الرواية والقصة مضيعة للوقت كما عدت رواية الجريمة والعقاب من الأعمال الفارغة. انظر مقال «القراء وما يقرؤون» جريدة البحرين ٨/٨/١٩٤٠ وقد عدل البصير عن هذا الرأي بوجه المتقدم في كتاباته خلال فترة الستينات.
- (١١) انظر: مقال عبدالرزاق البصير في كاظمة، تشرين الأول ١٩٤٨ م.
- (١٢) انظر مقال عبدالرزاق البصير في جريدة البحرين ٢٦/١٢/١٩٤٠ ومقال عبدالرحيم روزية في الجريدة ١٩/١٢/١٩٤٠. وكذا مقال البصير «في النقد الأدبي» في ١٣ فبراير ١٩٤١.
- (١٣) انظر بعض هذه التقارير الواردة في كتاب جولة في الشعر العربي المعاصر الذي نشرته «صوت البحرين» وضمت فيه رسائل من ميخائيل نعيمة وفدري طوقان وعلي الحلبي.
- (١٤) انظر مقدمة ديوان لسان الحال. وانظر مقدمة مجموعة قصص فؤاد عبيد صدرت في الستينات وفيها يصف إبراهيم العريض صاحب المجموعة بأن فرخ نسر يحاول أن يحلق كالعقاب.
- (١٥) انظر، نظرية الإبداع المبهجرة، اسعد دورا كوفيتش، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، ١٩٨٩. وفيه ملاحظات دقيقة حول

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.



# التحليل النفسي للشعر بين الوسيلة والغاية

د. فتحية محمود فرج العقدة\*

حظيت دراسة الأسلوب الفني في النقد الأدبي الحديث بقدر كبير من العناية، كان من أهم مظاهرها محاولة البحث عما يحمله الأسلوب الشعري من دلالات نفسية، ومنطلقات شعورية تؤثر في صياغته وتشكيل صورته الفنية، ونسقه العام، وأوزانه، وألفاظه، وتراكيبه، وجميع عناصره.

ذلك أن التعبير الشعري يمثل ترديداً شعورياً لتجارب وانفعالات متشعبة المنطلقات متنوعة الاتجاهات، وهذه في جملتها واحدة من مصادره والعوامل المؤثرة فيه، والمشكلة جوهره، وأحد الجوانب الكامنة وراء ألفاظه وأشكاله التعبيرية التي لا يمكن تفسير العملية الشعرية إلا في ضوءها، ومحاولة الكشف عن غوامضها.

وحيث يتأمل الشعر من هذا الجانب يستطيع الناقد أن يقف على جزء كبير من أسسه وركائزه، حيث يحاول سبر غور النص من أشد جوانبه دقة وخفاء، ولعل ذلك ما دعا إلى القول بأن «الصورة في العمل الفني ليست مقصودة لذاتها، هذا الجانب العملي من الفكر الذي يحب ويكره، ويرغب في الشيء أو ينفر منه، وإنما العاطفة في العمل الفني هي تجسيد للحظة شعورية معينة يسيطر عليها الفنان، ويخضعها للصورة، كما يخضع الصورة لها بحيث يصبح الشعور هو الشعور، والصورة هي الصورة المحسوس بها»<sup>(١)</sup>.

\* دكتوراه في الأدب العربي - جامعة عين شمس - القاهرة.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

فقد أخذ الشعور بالحذر وصفة الخوف طريقهما إلى التحديد عن طريق ذلك التصعيد اللغوي والبلاغي من خلال الاقتران بصورة تشبيهية معينة، على مجموعة درجات، ابتداء من «على خوف العيون»، وانتقالاً إلى «خذول تراعي النبت»، وانتهاء «بمشعرة ذعراً» ليوازي ذلك كله ما ينتاب نفس الحذر من مشاعر تبدأ بخوف المراقبة، وتنتقل إلى تحقيق الغاية الملائمة لذلك الحذر، لدى ذروة تلبس الكثير من المظاهر الحسية التي قد يشغل تتبع وصفها الظاهري عن مراقبة تلك الجوانب.

والذي يتتبع تراكيب الشعر وعناصره بحثاً عما تحمله من دلالات، وما يصدر عنها من أسس، وما ترمي إليه من غايات، يستطيع أن يقف على العديد من الوسائل التي تقوم بأداء أدوارها العديدة في هذه المجالات.

من ذلك قيام الأداء الفني على وسائل: العطف، والإضافة، والاستفهام، والنداء والتحديد الزمني من خلال استعمال الظرف وغيره، وكذلك وسائل الوصف والتعليل، وبيان الحال، والشرط، والتأكيد، وبيان الغاية، وغيرها، داخل أساليب بلاغية، وأطر فنية متكاملة تقوم مجتمعة بأداء وظائفها المتعددة.

وتتوقف قوة قيام كل هذه الوسائل بوظائفها وتحقيقها غايتها، على مدى إجادة الشاعر في استخدامها فنياً ولغوياً وبلاغياً.

ففي قول الشاعر: (١٣)

كأنّي وإسماعيل يوم وداعه      لك الغمد يوم الروح فارقه النصل

نجد وسيلة العطف محققة قوة تركيز دلالة الصورة التشبيهية حيث أتاحت الجمع بين طرفين في إطار واحد، جمعاً دالاً على قوة التلازم، ورسوخ العلاقة، فضلاً عن بيان الشأن والمكانة.

كما أن ورود الظرف بعد ذلك مباشرة قد أتاح للتعبير أن يتضمن بدقة تحديد نقطة زمنية معينة، تشير إلى درجة المعاناة النفسية التي تهدف الصورة إلى وصفها.

وقد التقى العطف من جهة، والإضافة من جهة أخرى، والتأكيد من جهة ثالثة لبيان ذلك.

وإذا كان الجمع بين ضمير المتكلم، واسم المثنى، وزمن وداعه، يمثل طرفاً في هذا الإطار العام، فإن ذكر الغمد، والنصل، ويوم الروح، يمثل الطرف الثاني فيه.

وإذا كانت الإضافة في: «يوم وداعه» قد حملت دلالة التفرق لما اجتمع واتصل، فإن صيغة الماضي الدالة على الانتهاء وانقضاء الأمر في: «فارقة النصل» قد حملت هي الأخرى دلالة موضحة لمعنى ذلك التفرق، وقوة وقعه على النفس، ودرجة الانفعال به.

وإذا كانت درجة المعاناة قد بلغت ذروتها لدى لحظة شعورية معينة، معلّلة بلحظة الوداع، فإن ما يلازمها من درجة التحسّر على ذلك تتبلور لدى نقطة محددة كذلك، معلّلة هي الأخرى بلحظة الروح التي فارق فيها النصل الغمد.

وقد يرد النداء في الأسلوب الفني كوسيلة من وسائل التعبير عن درجات متعددة من الأحوال النفسية المختلفة، كحالة الحيرة، وما يلابسها من مشاعر الألم أو اليأس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذوايدي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.



## عالم الفكر

فقد دلّ استخدام النداء هنا على ضرب من الأزواج الانفعالي الذي نشأ عنه ضرب من ازدواج الصراع النفسي بين جانبيين، أحدهما هو المائل في مخاطبة الذات ومساءلتها والآخر هو المائل فيها تنطوي عليه هذه الذات من مشاعر متقابلة، وصراع شديد الوقع.

وهذان الجانبان معاً يضمنان في إطارهما مجموعة من المعاني المشيرة إلى مصادر هذه الألوان من الصراع، منها: ما يتصل بالقوة والشدة في قوله: «واستجمعت همومي حتى ملأن الصدر»، ومنها: ما يتصل بأسباب ذلك من جهة، وآثاره من جهة أخرى في قوله: «ذاقت من الأعادي عيني لحظاً مُراً»، وهنا نجد التجسيد الاستعاري يقوم بدوره في تصوير الأثر وحدة الوقع على النفس، ومنها: ما يتصل باستشعار الخطر، ورهبة الموقف في قوله: «ضاح الوفاء منهم وأضمروا لي الغدرا»، ومنها: ما يتصل بالاسترجاع والندم على فوات الماضي في قوله: «يا نفس لي بقوم كانوا كراماً زهراً» ومنها: ما يتصل بقوة تركيز مصدر الألم وأثره، وخلوه تماماً من كل ما من شأنه تخفيف وقعه وحدته في: «مضوا بخير عمري وتركوا لي الشرا» ومنها: ما يتصل بالهبوط إلى هاوية نفسية مسلمة لشعور اليأس في: «ولم أجد إذا ماتوا لي في الحياة عذراً»، ومنها: ما يتصل بالعودة ثانية إلى تصعيد عنصر الصراع بين جانبيين يتضمنان دلالة مؤكدة لجميع ما سبق، أحدهما مائل في: «عاشوا بخير عصر، سقى لذاك عصر»، والآخر في: «نبئت أن قومي قد دفنوا لي مكراً»، ومنها: ما يتصل بتحديد نقطة الدلالة الكلية العامة التي تلتقي جميع الخطوط السابقة في تركيز شديد لديها، وذلك في قوله: «طال عليهم عمري، فاستعجلوا بي القبرا».

وقد ساهم في تحقيق جميع ذلك اجتماع الكثير من الوسائل اللغوية والبلاغية التي أبرزت الأسلوب في ذلك الضرب من التصوير المتضمن اتجاهاً فنياً معيناً.

من ذلك اجتماع وسيلة النداء المكررة، مع تكرار من نوع آخر متعدد الأنماط، منه ما يتصل بالألفاظ، ومنه ما يتصل بالحروف، ومنه ورود الاستفهام، والإكثار من استخدام صيغة الماضي دون المضارع وتنويع الأسلوب بين التعريف والتنكير، والخبر والإنشاء ومنه العناية بالألفاظ الوصفية، والنافية، والدالة على بلوغ الغاية، والتحديد الزمني للأوقات الموصوفة، والتحديد الحسي للموصوفات المشخصة، والتحديد المكاني للمواضع المتعلقة ببعض الجوانب المبرزة خط الالتقاء الدلالي.

وتتخذ وسائل الربط بين العناصر المشيرة إلى المجالات النفسية هنا اتجاهات عديدة من شأنها أن تتيح الفرصة للتحليل النقدي ليقف على أبعادها ودلالاتها.

فوسيلة العطف — مثلاً — حين تجتمع وغيرها من الوسائل الأخرى كالجبر والإضافة في إطار فني مشخص للانفعالات النفسية على نحو معين، تستطيع تقديم تركيب انفعالي متلاحم دال على ما يكمن وراءه من قوة نفسية، وما يحركه من درجات الشعور تلاؤماً أو تضاداً.

ومن ذلك ما يتضح في مثل قول الشاعر: (١٦)

تراءى الهوى بالشوق فاستحدث البكا وقال للذات اللقاء: ترحلي

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

منها: صيغة المبالغة «سكوب» التالية للوصف «سمحة القيادة» .  
ومنها: وصف الثرى بأنه «مكروب»، وهي صفة نفسية ترمي إلى بُعد المدى وشدة الحاجة، وبلوغ الذروة .  
ومنها: اجتماع صفتي الكرب والاستغاثة في موصوف واحد إشارة إلى تراكم الانفعالات، وقوة وقعها على النفوس .  
ومنها: استخدام الشرط «لو» مرتين ربطاً بين التراكيب التي يمتنع تحقق بعضها لامتناع البعض، وإشارة إلى بلوغ أقصى درجات الشعور التي تجاوز ما يمكن إلى ما يمتنع .  
ومنها: وصف المكان بصيغة المبالغة «الجديب» تلاؤماً مع ذلك كله .  
ومنها: استخدام صيغة الماضي «سعت - لَذَّ - طاب - قامت - فعانقتها» مما يرتبط بدلالة الانتهاء، وتحقيق الوقوع من جهة، ويشير إلى مظاهر حسية متصلة بالحركة الملازمة لمظاهر انفعالية متلازمة من جهة أخرى .  
ومن وسائل التحليل النقدي في هذا المجال أيضاً الوقوف لدى كل ما يعين على استكشاف أبعاد المعنى، ودلالات الصور .  
ذلك أن من ألفاظ اللغة - مثلاً - ما يرتبط بالدلالة على الحصر وتحديد المعاني ووضعاً لخطوط لا تتجاوزها، ومنها ما يدل على العموم والشمول، وما يدل على القرب وهذه جميعها وغيرها من الوسائل يمكن - إن أجاد الشاعر استخدامها فنياً - أن تحمل دلالات كثيرة، وأبعاداً فنية متميزة داخل ما ترد عبره من صور وتراكيب فنية .

ومما ورد فيه ذلك وغيره مجتمعاً قول الشاعر: (١٩)

دنيا معاش للسورى حتى إذا	جُلي الريع فإنيها هي منظر
أضحت تصوغ بطونها لظهورها	نوراً تكاد له القلوب تنور
من كل زاهرة تفرق بالندى	فكانها عين عليك تحذر
يدو ويحببها الجميم كأنها	عذراء تبدو نارةً وتحفر
حتى غدت وهائها ونجاءها	فتتني في ضلع الريع تبخر

فاتساق التركيب الفني على هذا النحو متحقق من خلال اتساق عناصره، واتساق العناصر متحقق من خلال اختيارها على نسق محدد، ووضعها في إطار لغوي بلاغي فني يلائم الأداء وإنما ارتبط ذلك كله بأبعاده، ومصادره، ومنطلقاته التي حققت مجتمعة داخل هذه التراكيب وظائفها، واستمدت منها وسائلها وعناصر بيانها .

وإذا كان المنطلق الشعوري هنا متسماً بالتلاؤم والاتساق الانفعالي، فإن عملية الانعكاس الفني قد وردت هي الأخرى في حالة من الاتساق والتلاؤم، لا بين الموصوفات المحددة فقط، بل بينها وبين ما ارتبطت به من سائر الموجودات .

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

ولقد اتخذت هذه الحلقات مجموعة اتجاهات مشكلة شكلاً منتظماً،

منها حلقة تمثل صدى لجوانب: الوهم والرجاء والرغبة في:

ما كنت أحسبني أزجى لمصالحه وأنسي رغبة يوماً لمرقب  
وحلقة تمثل صدى العاطفة وظلالها الخيالية في:

حتى أنتني فتاة بضعة خرد حوراء ترفل في الميسي والسخب

وحلقة تمثل صدى الشعور الساخر بالنفس، وما يتعلق به من أفكار الذات من جهة والصراع بينه وبين نقيضه من جهة أخرى في:

فقلت لما شككت حبي ولوعته هزأت فاقني حياءً ونك واتبي  
أهزئين فما مثلي بمعتششق ألا تأملتني في حال محتطب؟  
قالت: وحبيك ما أمسيت هازئة هواك أوردني في لجة العطب

وحلقة تمثل عودة أخرى إلى جانب الإنكار المنطوي على النفي، والمردد نمطاً مدياً من الصدى الجامع لأصداء الصراع واليأس والحيرة في:

فقلت إذ زعمت أنني لها شجن لأيا حالة عن آيا سبب؟

وتشكل أساليب الاستفهام أنماطاً أخرى من الوسائل التعبيرية حين يتجه استعمال الشاعر لها إلى ضرب من التكرار الدال على الأبعاد النفسية المرتكزة على جانب شعوري واحد في إطار مبني بعضه على بعض، ممثلاً خطأ واحداً، متجهاً من ذلك الجانب إلى مدى مطلق غير محدود.

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر: (٢١)

نسائلها أي المواطن حلت وأي ديار أوطنتها وأيت  
وماذا عليها لو أشارت فودعت إلينا بأطراف البنان وأومت  
وما كان إلا أن تولت بها النوى فولى عزاء القلب لما تولت

فالمساءلة قد بُني عليها ما تلاها من أساليب الاستفهام المكررة والمصدرة بأي مرتين وأيت مرة ثالثة، والمتبوعة بماذا في المرة الرابعة.

ودلالة هذه الأساليب قد بني عليها وارتبط بها ما دل عليه أسلوب المصدّر بلو تأكيداً لدلالة الامتناع، وهذان بدورهما قد بني عليها ما تلاهما من أسلوب القصر الذي ترتب عليه ولازمه ما كان من تألف الفعلين الممثلين مركز التقاء جميع ذلك بورودهما على صيغة الماضي، وتكرار لفظيهما، وتعلقهما بتعلق المؤثر بأثره في قوله: «فولى عزاء القلب لما تولت».

وقد تحمل الصورة الجزئية الموجزة التي يتضمنها أسلوب الاستفهام إشارات عديدة إلى بلوغ أبعاد التأثير الانفعالي مبلغاً واسع النطاق.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

شخصين، أو هيتين وذلك ملازم لتلاقي المشاعر المتصلة بالفراق والموت والحزن، وما إلى ذلك، والآخر صار البين ولد الموت، فبرزاً في إطار شخصين أشدّ ترابطاً من سابقيهما، وذلك ملازم لنموّ المشاعر، وتراكم العواطف، وتعمّد الانفعالات.

أضف إلى ذلك كلّ التلاقي العام بين التشخيص السابق للبين في إلحاحه على النفوس، وبين هذين التشخيصين، ثم ما أدته لفظه النفوس في صيغتها هذه من عموم المعنى ونجده، وما أدته لفظة أخ ثم لفظة ولد في تنكيرهما من جوانب متصلة بذلك، وأخيراً ما أدته لفظة الموت في تعريفها من دلالات مشيرة إلى قوة الوحي به، وحدة آثاره في المشاعر، ويُعد أغواره في النفس.

وقد ترتبط قوة دلالة التشخيص، والقدرة على وضع المقياس الموازي لها انفعالياً وشعورياً من خلال وسيلة الحصر والتحديد، وتقييد المعنى بتركيزه في إطار لا يتجاوزه إلى غيره، لتظل المعاني الناشئة عن ذلك في تلازم تام داخل تلك الحدود المقيدة لها، وتظل بظلالها وآثارها المترابكة في تداخل يسوده التراكب الانفعالي الذي يجتمع بكل جزئياته ليعبر عن قوة ما يكمن وراءه من منطلقات نفسية تمثل موقفاً له حدته وبعد أثره. ومما يوضح ذلك قول الشاعر: (٢٣)

وقفنا على جمر السوداع عشيةً ولا قلب إلا وهو تغلي مارجلة

فالتقييد والحصر هنا قد أخذتا طريقهما من خلال تقييد المعنى بلحظة زمنية محددة، وبموقف معين مرتبط بتلك اللحظة، ثم بتصوير قوة أثر ذلك الموقف في إطار أسلوب القصر القائم على تصوير تضاعف ذلك الأثر وتركز قوته.

وإلى جانب ذلك وسيلة فنية بلاغية أخرى من أبرز الوسائل التي يمكن التعويل عليها في بحث أسس النصوص وتحليلها من هذا الجانب، وهي المقابلة التي تنطوي على جمع المتناقضات، والوقوف على ملامح التفاوت، وسمات التضاد بينها.

وهذه كلها جوانب لها قوياً الأثر في استكشاف أبعاد النصوص التي تتضمنها، وبيان الكثير من أسسها ومنطلقاتها.

فقد يشير هذا الأسلوب البلاغي إلى تنازع جانبيين شديدي الوقع على النفس في مجال واحد مما يصور حدة ذلك التنازع، وقوة أثره، وشدة الانفعال به، وما يتعلق بذلك من أسباب وآثار ومواقف، كما هو الحال في قول الشاعر: (٢٤)

ومن يلق ما لا يئس في كل مجتني	من الشؤك يزهد في النار الأطايب
أذاقتني الأسفار ما كثره الفننى	إني وأغراني برفض المطالب
فأصبحت في الإثراء أزهك زاهدي	وإن كُنْتُ في الإثراء أرغب راعبي
حزيباً جباناً اشتهي ثم انتهي	بلحظي جناب الرزق لحظ المرأبي
ومن راح ذا حزمٍ وجُبْنٍ فإنه	فقير أتاه الفقر من كل جانب

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.



## عالم الفكر

فقد ترد في إطار أسلوب مرتكز على وصف جانبيين متضادين في الموصوف الواحد متخذة نقطة انطلاق محددة، يصير بمقتضاها كل حال إلى نقيضه، كأن تبدو الأشياء في مظهرها الخارجي على هيئة مناقضة لما ينطوي عليه جوهرها انطلاقاً من مصدر مؤثر. ومن قول الشاعر: (٢٥)

إذا كانت الأنفاسُ جَمرًا لدى الوغَى      وضائقُ ثيابِ القومِ وهي فضايفُ  
بحيثُ القلوبُ الساكناتُ خوافِقُ      وماءُ الوجوهِ الأريجياتُ غائِضُ

فالمؤثر النفسي الذي صدرت عنه هذه المقابلة منطلق من نقطة محددة، صارت الأشياء بمقتضاها إلى تناقض تام، فهذا الشرط (إذا) المنطلق من نقطة زمنية محددة (لدى الوغى)، والمرتبطة بلحظة شعورية تمثل ذروة اجتماع أسباب الانفعال وتداخلها حيث صارت (الأنفاس جمرًا)، قد امتد تأثيره إلى جميع الأشياء، ليصل إلى أبعاد غير مرئية، ولتتحول جميع المراتب في الظاهر إلى ما يناقضها في الجوهر والباطن.

فقد (ضاقت ثياب القوم وهي فضايف)، كما صارت (القلوب الساكنات خوافق) (وماء الوجوه الأريجيات غائض).

وهذه جميعها أمور مجتمعة في قوم مخصوصين بوصفها، متأثرين بلحظة شعورية واحدة، وحدة انفعال سائدة، تشكلت عبرها جميع مشاعرهم، فصارت من القوة والحدة بحيث اتخذت مظاهر مادية حسية دالة عليها، فما يستشعرونه من الضيق قد اتخذ مظهر ضيق الثياب، وهذا الضيق المكثف عنه عنها، تتأكد دلالاته المعنوية لتتصرف إلى حقيقة نفسية مجردة، لأن الظاهر يخالف ذلك، فهي في الظاهر (فضايف)، وما ساد قلوبهم من اضطراب وفزع اتخذ مظهرًا حسيًا صارت بمقتضاه قلوب من السكون إلى الخفقان كما صارت الوجوه إلى مادل على هذين الحالين من التغير والتبدل.

وارتبط كل مظهر من هذه المظاهر بالآخر ارتباطاً سببياً، بُنيت عبره كل جزئية على تاليتها لتشكّل باجتماعها اتساقاً عاماً لحالة متتامة الجزئيات.

وقد تتخذ العلاقة القائمة على التقابل بين صفتين متناقضتين مرتبطتين ارتباط الأثر والمؤثر الظاهرين في جانبيين أو موصوفين مختلفين نمطاً تعبيرياً يقوم على المشاكلة التي تجمعها في إطار واحد، موضحة حدة أثر وقع أحدهما على الآخر.

ومن ذلك قول الشاعر: (٢٦)

مشت قلوب أناس في صدورهم      لما تراءوك ثمشي نحوهم قدما

فقد اجتمعت جميع جزئيات هذا التعبير الموجز لتحقيق مجموعة من أنماط التضاد المتقابلة لدى نقطة واحدة، منها هذا التضاد بين حال الموصوف الذي (يمشي قدما) وأحوال القوم الذين (مشت قلوبهم في صدورهم)، ومنها ظهور حاله (لما تراءوك) وخفاء حالهم (في صدورهم)، ومنها ذلك التضاد المائل في تعريف الموصوف وتنكير أولئك القوم تنكيراً دالاً على كثرتهم وهوان شأنهم، ومنها ما هو كائن بين الأفراد والجمع وما يحمله ذلك من دلالة بين جانبي القوة المائلة في المفرد، والضعف الكائن في الجمع.

## عالم الفكر

وقد ترد المقابلة في إطار نمط من تراكب الصور المتضادة تراكباً منطلقاً من أسلوب المقارنة بين أمرين أو موصوفين من جهة معينة أو عدة جهات ، متخذة من ذلك التراكب تعبيراً عن تجارب وانفعالات تمثل مجتمعة موقفاً نفسياً محدداً.

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر: (٢٧)

لُدْجَلَةً حَسْبُ لِّلَيْمِ لَهَا	تُرَاتِي بِحِلْمٍ تَحْتَهُ جَهْلٌ وَائِبِ
نَطَامُنُ حَتَّى تَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا	وَتَغْضَبُ مِنْ مَزْحِ الرِّيحِ اللُّوَاعِبِ
وَأَجْرَافُهَا رَهْنٌ بِكُلِّ خِيَانَةٍ	وَعَذْرُ فُفْيَهِهَا كُلُّ عَيْبٍ لِعَائِبِ

فانطلاقاً من هذه المقارنة بين دجلة واليم ، ورد تراكب الصور على هذا النحو الذي اتخذ كل جانب من جوانبه مظهرين متناقضين ، كما مثلت هذه الجوانب مجتمعة تعبيراً كلياً عن موقف نفسي خاص ، اتخذ هو الآخر ضرباً من التراكب الانفعالي الذي تتخذ من خلاله الأشياء أوضاعاً مناقضة لما هي عليه في الظاهر ، فالحلم يخفي وراء الجهل ، وما يبعث على الاطمئنان يمهّد للفزع ، وما يثير الفرح يبعث على الغضب ، وما اجتمعت لديه صفات الوفاء والهدوء والجمال يحمل في أعماقه صفات الغدر والخيانة والثورة والقيح .

واستمرار الموقف الانفعالي وحدته وعمقه في هذا المجال القائم على تقابل العناصر التي تظهر في أكثر من جانب من جوانب التعبير متخذة من مجالاته المتعددة مخارج تراءى عبرها من حين لآخر مشيرة في ذلك إلى عمق آثارها ، وقوة منطلقاتها .

ومن ذلك قول ابن الرومي أيضاً: (٢٨)

وحسبي رائعاً أهوال بحر	يظل العقل منها ذا غروب
تسامى فيه أمواج صعب	كأن زهاء من زهاء لوب
أظلل إذا طفوت على ذراها	أهلل من محاذرة الرسوب
تلاعب بي تلاعب ذات جد	غوارب متن مجداد لُغوب
أعيد ركوبةً صبحاً ومُسيّاً	وما هو بالدُّلُول ولا الرُّكُوبِ
وكم يوم أُراني الموت فيه	جنون الموج في هوج الجنوب
وقاني شره من بعد يأس	دفاع الله دفاع الريبوب
فمن يطرب إذا هبَّت جنوب	فلسْتُ لها وعيشك بالضروب
ولكنني لها منذ كنت قال	قل المملوك للوالي الضروب

ولئن كان المجال الوصفي هنا قريباً من سابقه ، فإن دلالة التعبير هنا لا تتوقف لدى الإشارة إلى ما وراءه من موقف انفعالي فحسب ، بل إنها تحمل دلالة الاستمرار والتجدد وعمق ذلك الموقف ، وبعد غور منطلقه وأثره .

## عالم الفكر

وذلك مائل في مجموعة جوانب، منها: قوة دلالة الألفاظ المرددة لأثار هذا الانفعال في النفس مثل: أهوال - غروب - صعب - ذارها - أهمل - محاذرة - الرسوب - تلاعب - جد - غوارب - الموت - حنون - هوج - شره - يأس - قال - قلى الضروب).

ومنها ما يؤكد دلالة الجانبيين السابقين من خلال التقائهما لدى جانب يجمعهما في إطار أسلوب النفي الذي يأخذ مظهر الاقتران بنقيضه، إبرازاً لدلالته، وتحقيقاً للغاية منه، كما هو الحال في: (وما هو بالذلول ولا الركوب) المقترن بما سبقه من قوله (أعيد ركوبه صبحاً ومسياً) وفي: (فلمست لها وعيشك بالطروب) المقترن بما سبقه من قوله: (فمن يطرب إذا هبت جنوب).

ومن خلال تلاقي هذه العناصر واجتماعها داخل الإطار الأسلوبي العام، وما تخلله من عناصر الشرط، والعطف، والتعلّق، والجمع، والتشبيه، والاستعارة، تحقق التكامل الدلالي المشير إلى هذه الجوانب من الاستمرار والحدة والعمق مما سلف ذكره.

وقد يتخذ أسلوب التقابل بين حالين نهجاً آخر في بناء التركيب الفني للصور المتتابعة حيث يقوم نسج عناصره على وضع سيات الخط الدلالي المحوري في صدر مجموعة من الصور التي يرد تدرجها البنائي بعده على هيئة إتباع الجزء بالكل، . ليكون ذلك مشيراً دلاليّاً آخر إلى ضرب انفعالي يمثل وقفات جزئية لدى بعض جوانب التأثير ومنطقاته.

ومن أمثلة ذلك النمط ما يعمد فيه الشاعر إلى مجموعة من العناصر الفنية ليضعها في مستهلّ صوره، لتصير بمثابة المركز الصوتي، أو المنطلق الخيالي، أو غير ذلك مما يجمع أطراف التعبير جمعاً محورياً ليبنى ما بعده عليه فتتعلق جميع جزئياته بدلالته.

ومن أمثلته قول الشاعر: (٢٩)

تنازعني رغبٌ ورهبٌ كلاهما	قويٌّ وأعياني اطلاق المغاييب
فقدّمت رجلاً رغبةً في رغبةٍ	وأخرت رجلاً رهبة للمعاطب
أخاف على نفسي وأرجو مفازها	وأستار غيب الله دون العواقب
ألا من يريني غايي قبل مذهبي؟	ومن أين والغايات بعد المذاهب؟
ومن نكبةٍ لاقيتها بعد نكبةٍ	رهبت اعتساف الأرض ذات المناكب
وصبري على الإقتار أسر محملاً	عليّ من التعزير بعد التجارب

فهذا الإطار الصوتي والدلالي الجامع للمتقابلين اللذين يمثلان حدة الصراع، وبعد آثاره، في تعبير متصدّر مجموعة الصور الجزئية هنا، ورد بمثابة المركز المحوريّ المردّد لقوة آثارهما في: (تنازعني رغب ورهب كلاهما قوي)، ثم أخذ بعد ذلك وضعه البنائي في تتابع جزئي مبني عليه، حتى صارت جميع الجزئيات في شكل اتجاهين متعلقين بذلك المحور، وصارت الهيئة العامة للصور في اكتمالها العام مشيرة إلى دلالات ذلك المنطلق ومبرزة موقفاً جامعاً لأطرافها في لحظة شعرية واحدة.

## عالم الفكر

أما حين ينتجه أسلوب المقابلة إلى تصوير حالين متباعدين زمنياً منطويين على تعدد وجوه الصراع بينهما وحدتها لتعلقهما بموقفين متضادين، فإن بناء الصور يتخذ اتجاهات أسلوبية ملائمة لتصوير ذلك التباعد الزمني، وتلك الحدة الناشئة عن قوة الصراع وتعدد وجوهه ويعد مداه .  
وما يتضح فيه الكثير من سمات ذلك مجال تصوير «الشيب» وموقف النفس منه وما يتعلق به من أمور، وما يتصل به من استرجاع لما قبله، وما ينشأ عن ذلك من انفعالات وآثار.  
ومن الوسائل الفنية التي يركز عليها التصوير في هذا المجال «التكرار»، الذي يتخذ منه الأسلوب للتعبير عن ترديد آثار هذه الظاهرة في النفس واستمرارها، وصداها الدائم الذي لا تقوى النفس على مقاومته .  
ومن أمثلة ذلك قول الشاعر: (٣٠)

يا شبابي وأين مني شبابي      أذنتني حباله بانقضاب  
.....

هف نفسي على نعيمي وهوي      تحت أفنائه اللدان الرطاب  
ومعز عن الشباب مؤس      بمشيب اللدات والأتراب  
قلت: لما انتحى تعد أساءه      من مصاب شبابه فمصاب  
ليس تأسو كلوم غيري كلومي      مابه، مابي، ومابي ماي

فقد اتخذ الاتجاه إلى تصوير شدة وقع الإحساس بالشيب على النفس صدى مضاداً وموازياً شعورياً مقابلاً، في صورة من العدول عن وصفه إلى وصف نقيضه .

واتخذ الأسلوب من التكرار وسيلة لإبراز ذلك، فبدت كلمة «الشباب» مرددة صدى الرغبة فيه، وانفعال التعلق به، وشدة التحسر عليه . وفي اتجاه مواز لذلك اتخذ التكرار مظهراً آخر بدا من خلاله الشعور بالأسى واليأس يأخذان مكانهما في إيقاع صوتي مرتبط بالثبوت والدوام، فإذا كانت الألفاظ: (مؤس، أساء، تأسو) اتخذت مكانها السياقي الموازي لوضعها الشعوري في هذا الأسلوب، فإن ترديد كلمتي (مصاب وكلوم) قد اتخذتا أيضاً مكانيهما بعيدي الغور في تلك المشاعر وهذا السياق، ثم وردت الصورة الصوتية الدالة بإيقاعها القائم على مدحرفي الميم والباء المتبوعة بالهاء في هذا التتالي الصوتي المتمشي وحركات الانفعال، وما يصاحبها من مظاهر شعورية بعيدة الأثر، ليؤدي جميع ذلك مدلولاته المحققة بتلك الوسيلة اللغوية التي تنتهي لديها هذه الأبيات في قوله: (مابه مابه، ومابي ماي).

أضف إلى ذلك ما حققته الوسائل الفنية الأخرى من جوانب التعبير الملائمة لغايته فالنداء، والاستفهام، والحوار، والنفي من جهة، واختيار الكلمات المرتبطة بالمتناقضين المصورين، وما لازمهما من شعور الانتهاء والانقطاع والأسى كما هو الحال في: (حباله - انقضاب - هف نفسي - نعيمي وهوي - معز - مؤس - مشيب اللدات والأتراب - يعد أساءه)، وما إلى ذلك قد اجتمع ليحقق غايات التعبير ويشير إلى تلك الآثار:

ومن الأساليب المرتبطة بالتعبير عن هذا الجانب النفسي القائم على الصراع بين هذين الجانبين المتناقضين والمتباعدين زمنياً أيضاً، تصوير أحدهما بربطه بصورة تشخيصية متضمنة عناصر دالة على شعور بغض والألم، أو الحب والارتياح، واتخاذ هذا التصوير وسيلة للتعبير عن الجانب المقابل، ومن ذلك قول الشاعر: (٣١)

## عالم الفكر

كفى بالشيب من ناءٍ مطاعٍ على كسره، ومن داح مجاب  
ولقد قام أسلوب الاحتراس هنا بدور المؤشر البارز إلى محور الانفعال، ودرجة الصراع، ذلك أن اجتماع صفات النهي والطاعة، والدعوة والإجابة، قد يلازمها رغبة وحرص، أما إذا ارتبط بالكراهية، فتكون ملازمة للاضطراب، ومنطوية على البغض والصراع البالغين أشدهما.

وفي المقابل نجد ربط وصف التعلق بالسباب بغيره من مجالات الوصف التي يتخذ من خلال ربطها به مجالاً آخر للتعبير عن مدى ملازمته للنفس ومشاعرها، ودرجة إقبالها عليه ورغبتها في استمراره، واستمرار ما يلابسه من أحوال وانفعالات.

وفي ذلك وسابقه ما لا يخفى من ظلال هذا التصوير الذي من شأنه أن يحمل إشارات بارزة إلى المشاعر المناقضة المرتبطة بالجانب المقابل.

ومن أمثلة هذا النمط الذي يرتبط فيه وصف الشباب بوصف غيره من المجالات التي تمثل مجموعة من التجارب والمواقف المتعلقة به، والتي تشكل في جملتها دوائر متصلة الحلقات، متقابلة الاتجاهات قول الشاعر: (٣٢)

يدكرني الشباب جنانُ عدن	على جنبات أنهار عذاب
تفيء ظلها نفحات ريح	تهز متون أغصان رطاب
إذا ماست ذوائبها تداعث	بواكي الطير فيها بانتحاب
يدكرني الشباب رياض حزن	ترنم بينها زرق الدباب
إذا شمس الأصائل عارضتها	وقد كربت تواري بالحجاب
وألقت جناح مغربها شعاعاً	مريضاً مثل الحافظ الكعاب
يدكرني الشباب سراة نهي	نمير الماء مطرد الحجاب

ومن خلال ذلك التعبير يجد الموقف النفسي فرصته لتجسيد الكثير مما يتعلق به من مجالات شعورية متضادة ومتلازمة.

فبالرغم مما يحمله تكرار جملة «يدكرني الشباب» من دلالات نفسية متصلة بالحب والملازمة والرغبة، إلا أن ما ارتبط به ذلك من مجالات الوصف المتعددة قد تضمن مجموعة من العناصر التي تبدو ظاهرياً معبرة عن حالة من الاتساق الشعوري التام على الرغم من أنها متضمنة الكثير من مشاعر الصراع بين تلك المشاعر وما يناقضها.

وذلك ملحوظ من خلال التقاء دائرتين تعبيريتين متضادتين ومتداخلتين في: (سهام حتف - يصبين مقاتلي - جنان عدن - أنهار - عذاب نفحات ريح - أغصان رطاب - ماست ذوائبها - بواكي الطير - انتحاب - رياض حزن - ترنم بينها زرق الدباب - شمس الأصائل - كربت تواري بالحجاب - شعاعاً مريضاً - الحافظ الكعاب - سراة نهي - نمير الماء - مطرد الحجاب).

## عالم الفكر

وهما دائرتان متعددتا الحلقات، متضادتاً الاتجاهات، تمثلان ما يكمن خلف ظلال هذه العناصر من مشاعر وأحوال نفسية يسودها الصراع والتوتر.

وتتخذ وسائل التعبير الفني أوضاعاً متعددة الاتجاهات في علاقاتها الكثيرة بما تصوّره من مجالات وأحوال، فترد أساليب الشعر زاخرة بالعناصر الفنية التي يمكن للناقد حال تحليلها أن يلاحظ مساراتها، العديدة، وتراكيبها التي تنطوي على تشابك العلاقات وتعقدها بين هذه العناصر وتلك المجالات، وما تصدر عنه جميعها من منطلقات نفسية وفكرية قد تبدو ظاهرياً في حالة من الاتساق وقرب المأخذ، بالرغم من كونها تتطلب - حال التحليل النقدي الهادف - الكثير من الدقة في تتبع تلك العلاقات المتشابكة، وتحليلها إلى صورها الأولية التي تركّبت من خلالها فييا وردت عليه من هيئات حتى يمكن الوقوف على ما يجمع بينها من نسق، وما يكمن خلفها من اتجاهات.

فحين تتناول صورة شعرية تتعلق - مثلاً - ببعض مجالات الوصف الحسي الظاهر المتصل باللون، أو الحركة المرئية، أو المستشعرة، أو الصوت أو غير ذلك، فإن ذلك التناول لابد أن يقف لدى تلك المظاهر بنظرة نافذة إلى ما تتعلق به من مجالات التعبير، وما ترتبط به من مواقف نفسية، أو قضايا فكرية بحثاً عن دلالات تلك الصورة وعناصرها والنسق الذي دعا إلى ترابطها على ذلك النحو، والأبعاد التي تكمن خلف ظلالها والمنطلقات التي تصدر عنها وتوجهها تلك الوجهة.

فحين نتأمل قول الشاعر: (٣٣)

وجمل كُفّه كأساً تلظى      بنار لا تقنع بالدخان  
فلما صبّ فيها الماء ثارت      كما ثار الشجاع إلى الجبان

يمكن ملاحظة أن الصورة لا تقف هنا لدى هذه العناصر الظاهرة التي تجمع لتصف الكأس، وصفاء لونه، والحركة السريعة الملاحظة حال صب الماء فيه، وتشبيه ذلك بحركة القوي المتمكن حال انقضائه على الضعيف العاجز.

ذلك أن تأملها يمكن أن يفضي إلى إدراك ما بين هذه العناصر من علاقات جامعة في إطار أوسع نطاقاً، وأرحب دلالة من ذلك، حين يستطيع الناقد أن يتخذ من الجمع بين قوة النار، وشدة اشتعالها، وصفاء لونها، وشدة الحركة وقوتها، وربطها بجاني القوة والضعف المائلين في: «ثار الشجاع إلى الجبان»، وسائل ينفذ عبرها إلى ما وراء هذه العناصر من علاقات نفسية يسودها التعقيد الشعوري بين جوانب متصارعة ضعفاً وقوة وفعالية في جانب، ورغبة ورهبة ومحاولة في جانب آخر.

أضف إلى ذلك ضرورة الربط بين طرق صياغة هذه العناصر، وما ترتبط به هي الأخرى من العلاقات المتعددة، فإسناد الفعل حمل إلى الكف التي هي وسيلة الفعل، وإضافة الكف إلى الهاء مما يحمل دلالة التلازم والترابط بينهما، ثم تنكير لفظة «كأس» ووصفها بجملة «تلظى»، والربط بين «صبّ وثارث» على هذا النحو الذي ترابط فيه الفعلان ترابطاً شرطياً، ثم ما اقترن به ذلك من صورة تشبيهية ملائمة، يحمل الكثير من الدلالات المشيرة إلى آثار تلك المواقف، وأنماط ذلك الصراع، ودرجات وقع ذلك كله على النفس ومشاعرها.

وحين نتأمل قوله: (٣٤)

يمسح إبريقه المزاج كما امسح شهاب في إثر عفريت

فليس الأمر مجرد وصف ظاهر لهيئته وحال ظاهرين في إطار صورة بيانية مقربة لهما في شكل هيئة أخرى تصور الشهاب الممتد في إثر عفريت، بل إن التأمل لعناصر التعبير يستطيع أن يلحظ ما يكمن خلف تلك العناصر من علاقات نفسية واتجاهات فكرية يسودها الاضطراب والصراع بين جانبيين اثنين، موصوف مرغوب فيه، وتوجس خفي من فكرة الإهلاك أو العقاب الناشئة عنه.

وحين نتأمل قوله: (٣٥)

وصفراء باكرتها والنجوم م خاففة كقلوب تجب

وتحسبها قبساً مزعجاً إذا جرشته الرياح النهب

نجد مجموعة من العناصر التي إذا وضعت متجاوزة على هذا النحو الذي وردت عليه في: (صفراء - والنجوم خافقة - وقلوب تجب - وقبساً مزعجاً - وجرشته الرياح)، لا تبدو بينها علاقة ظاهرة جامعة إلا بضرب من التأويل الذي لا ينطوي على قوة الدلالة، أو حقيقة الصلة، فإذا ما نفذنا من خلال ذلك إلى أبعاد أكثر خفاء من خلال الربط بين اللون الأصفر وما يرمز إليه، والنجوم وما تتعلق به من حال القلوب التي اجتمعت في نسق واحد في تصوير للأولى بأنها (خافقة) والثانية بأنها (تجب)، والاثنان تمثلان طرفي صورة تشبيهية واحدة، ثم ذلك القبس المزعج الذي يلتهب إذا (جرشته الرياح)، نستطيع أن نصصل إلى كثير من الأبعاد والمتعلقات النفسية التي تحملها دلالات هذه الصورة.

ومن هنا يمكن القول بأن وسائل التحليل النقدي في هذا المجال كثيرة ومتعددة وأنه ينبغي للناقد أن ينظر إليها متتبعاً مساراتها المتعددة، وارتباطها بما تصدر عنه من منطلقات، وتتجه إليه من غايات، ومدى ما تحققة في هذه السبل من علاقات متشابكة مع غيرها من الوسائل والعناصر التي تمثل مجتمعة جوهر العمل الفني وطابعه واتجاهه.

كما يمكن القول بأن القدرة على استكشاف الجوانب النفسية وما تنطوي عليه من انفعالات ومشاعر إزاء المواقف المصورة تعني القدرة على فهم أبعاد النص الأدبي، وتقدير قيمته، والوقوف على مدى مساهمته في تقديم معالجة فنية جادة.

## الهوامش

- (١) محمد زكي المشايوي: قضايا التقصص الأدبي والبلاغة: ١٠٣.
- (٢) ديوان بشار بن برد ١٣٥/٣.
- (٣) السابق ١٠٤/٢ - ١٠٥.
- (٤) السابق ٥٥/٤.
- (٥) السابق ٥٦/٤ - ٥٧.
- (٦) ديوان أبي نواس: ٦٢٢.
- (٧) السابق: ٦٢٠.
- (٨) السابق: ٦٦١.
- (٩) ديوان مسلم بن الوليد: ١٦٢.
- (١٠) السابق: ٢٠.
- (١١) السابق: ٣٤.
- (١٢) السابق: ٤٥.
- (١٣) السابق: ٣٣٢.
- (١٤) السابق: ١٧٢.
- (١٥) ديوان ابن المعتز: ٨٧.
- (١٦) ديوان مسلم ابن الوليد: ١٤٤.
- (١٧) ديوان أبي تمام: ٥٨١/٤.
- (١٨) السابق: ٢٩١/١.
- (١٩) السابق: ١٩٤/٢ - ١٩٥.
- (٢٠) السابق: ٦٢٠/٤.
- (٢١) السابق: ٢٩٩/١ - ٣٠٠.
- (٢٢) ديوان أبي تمام: ١١/٢.
- (٢٣) السابق: ٢٣/٣.
- (٢٤) ديوان ابن الرومي: ٢٥٧/١.
- (٢٥) ديوان أبي تمام: ٢٩٩/٢.
- (٢٦) السابق: ١٧٠/٣.
- (٢٧) ديوان ابن الرومي: ٢٦٦/١ - ٢٦٧.
- (٢٨) السابق: ٢٩٩/١ - ٣٠٠.
- (٢٩) السابق: ٢٥٨/١.
- (٣٠) السابق: ٣٧٦/١.
- (٣١) السابق: ٣٦٧/١.
- (٣٢) السابق: ٣٧٢/١، ٣٧٤.
- (٣٣) ديوان ابن المعتز: ٢٥٣.
- (٣٤) السابق: ٢١٤.
- (٣٥) السابق: ٢٢١.



# نظرية الشعر

## في اليونان القديمة\*

د. فؤاد المرمي\*\*

### مقدمة

شهدت الساحة الأدبية العربية منذ مطلع القرن العشرين، ولاتزال تشهد، معركة نقدية صاخبة ومستمرة حول مفهوم الشعر ولغته وموسيقاه ووظيفته الجمالية والاجتماعية. وكثر الحديث عند بعضهم عن أصالة الشعر العربي وفرادته وتميزه وثبات موازينه وأغراضه، فبلغ الأمر بهم حد اتهام المجددين من الشعراء والمنظرين بالخيانة القومية.

كذلك كثر عند بعضهم الآخر الحديث عن ضرورة تجديد الشعر والتخلص من تقاليد الشعر العربي القديم وقيوده مجارة لمتطلبات الحياة المعاصرة وإنجازات الشعراء والمنظرين المبدعين في الغرب الأوربي تحديداً، فبلغ الأمر بهم حد التنكر للموروث الشعري العربي بوصفه عبثاً يجثم على صدور الشعراء وعائقاً يمنعهم من الإبداع.

وفي خضم مناقشات حامية كان الباحث طرفاً في بعضها، واستمرت سنوات بين أنصار هذا التيار وذاك في رحاب جامعة حلب ومنتدياتها الثقافية، نبشت لديه فكرة تتبع نظرية الشعر من نشأتها إلى عصرنا الحاضر في بقعة من العالم ضمت حضارتى اليونان القديمة والدولة العربية الإسلامية، نظراً لما بين هاتين الحضارتين من علاقات وتفاعلات اجتماعية وفكرية وفنية في الماضي تجعل الحديث

---

\* اقتضت الأمانة أن تكتب النصوص المقتبسة كما وردت في الكتب المترجمة، لذا برز اختلاف في الأسلوب والمصطلح بينها وبين لغة الباحث، ولكنه اختلاف لا يغيب المعنى.  
\*\* أستاذ بقسم اللغة العربية - جامعة حلب - سوريا.

## عالم الفكر

عن نظرية الفن في أي منهما (ونظرية الشعر أحد فروع تلك النظرية) بمعزل عنها في الحضارة الأخرى ناقصا ومغلوطا .

لقد حظي تأثير الحضارة اليونانية في الفلسفة والفنون العربية (ومن بينها فن الكلمة) بدراسات غير قليلة انطلقت كلها من النظر إلى تلك الحضارة بوصفها إنجازا أوريبيا غريبا عن المنطقة العربية ومؤثرا خارجيا ترك بصماته في مجالات الحضارة العربية الإسلامية المختلفة . غير أن الدراسات الأثرية والتاريخية واللغوية الحديثة تتيح للمرء أن يزعم أن الحضارة اليونانية ليست سوى استمرار وتطوير لحضارات مصر والشام وبلاد الرافدين ، وإنما لم تغد إلى هذه المنطقة في عصر الترجمة في الدولة العربية الإسلامية ، بل كانت مقيمة فيها قبل الفتح الإسلامي الذي أوجد ظروفًا جديدة فتحت آفاقًا عظيمة لنشوء الحضارة العربية الإسلامية وتطورها بالاستناد إلى إنجازات حضارات الشرق القديم كلها بما في ذلك إنجازات الحضارة اليونانية . بعبارة أخرى يستطيع المرء أن يزعم أن الحضارة اليونانية القديمة حضارة تنتمي إلى الشرق القديم . وسيساعد هذا الزعم ، إذا أخذ به الباحثون في لقاء أضواء جديدة على نظرية الشعر في النقد العربي القديم .

من الواضح - طبعاً - أن الباحث ليس أول من يدرس نظرية الشعر عند اليونان ، فالمكتبة العربية تضم مجموعة كبيرة من المراجع القديمة والحديثة ، المؤلفة والمترجمة عن هذا الموضوع ، موزعة بين النقد الأدبي وفلسفة الجمال وتاريخ الأدب اليوناني ، ونظرية الشعر ونظرية الدراما . . إلخ ، بل إن الباحث نفسه ضمن كتابه «المدخل إلى الآداب الأوربية» الصادر عن مديرية الكتب والمطبوعات في جامعة حلب عام ١٩٧٨ ، فصلا كاملاً درس فيه هذه النظرية . غير أن معظم تلك الدراسات جاء ترجمة عن مصادر مكتوبة باللغات الأوربية أو عرضاً لها أو تأليفاً يتكسب عليها اتكاء شديداً ، أضف إلى ذلك أن تلك الدراسات كانت تقبس من أعمال المفكرين اليونانيين القدماء ما يتناسب والغرض الذي كتبت من أجله (دراسة أعمال مفكر بعينه أو دراسة موضوع محدد في النقد الأدبي أو علم الجمال أو تاريخ الأدب أو نظرية الدراما . . إلخ) ، لذا فإن الباحث يعتمد على تلك الدراسات ، وخاصة عند الباحثين العرب ، لم تكن مأخوذة عن اللغة اليونانية القديمة ، بل عن ترجمات النصوص الاغريقية إلى اللغات الأوربية الحديثة (الإنكليزية والفرنسية والألمانية . . ) ، وهذا أمر يضاعف احتمال ابتعاد النص المترجم عن المعنى الدقيق للنص الأصلي بغض النظر عن الأمانة العلمية للمترجم ودرجة إتقانه للغتين العربية والأجنبية التي يترجم عنها ، وبغض النظر أيضاً عن مدى معرفته للموضوعات التي تناولها تلك النصوص ومصطلحاتها .

إن ترجمة النص اليوناني القديم ، حتى ذلك الذي تم تدقيقه من مختصين أجلاء في اللغة اليونانية القديمة ، تحمل في ثناياها الكثير من التناويل لأن المترجم والمدقق ، على حد سواء ، واقعان تحت تأثير العصر الذي يعيشان فيه والبيئة الثقافية التي نشأ فيها ، ولأن النص الأصلي نفسه مكتوب بلغة ميتة طوى الزمن الكثير من دلالاتها . وهذا ما يجعل محاولة البحث مجدداً عن فهم قضية ما على نحو مغاير ، كما هي الحال في بحثنا عن نظرية الشعر ، عملاً مشروعاً .

لقد توخى الباحث أكبر قدر من الدقة في اختياره للمقبوسات الواردة في دراسته فأخذ بعين الاعتبار عند اختياره لها المكانة المهنية والعلمية للمترجم ومدى اطلاعه على الفكر والأدب في اليونان القديمة ومعرفته بلغة النقد الأدبي ومصطلحاته في العصور المختلفة وسعى إلى اختيار الترجمات التي تبدو بعامة أكثر اتفاقاً في المعنى

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

الفئات المستهلكة - الفلاسفة والحراس أو المحاربون والعسكريون - السلطة، أما الفئات المنتجة فمعبدة عن المشاركة في الإدارة. ولا يتوجه أفلاطون في تعاليمه إلا إلى الذين في قمة السلم الاجتماعي آملاً أن يجد بينهم من سيريه ليكون حاكماً مثالياً. أما الشعب فيجب أن يحتفظ بمعتقداته الغيبية التي تصبح عنده وسيلة واعية لخداع الجماهير.

ترتبط الأبحاث الفلسفية عند أفلاطون بنفاذ البصيرة. وهو بالاستناد إلى بصيرته النفاذة يحدث عن حياة الروح بعد الموت وعن عالم «المثل» الحقيقي الخالد، الأشياء الأرضية متغيرة وزائلة، وهي ليست سوى ظلال «المثل» التي شوهتها ماديتها، «المثل الأعلى هو الخير» والخير هو الضالة المنشودة لكل نفس وهو غاية غايات مساعيها. (١).

ويعتقد أفلاطون أن اقتناعاته العميقة نتاج «وحي» لا يمكن التعبير عنه بالكلمات.

لم يكن أفلاطون مفكراً فقط بل كان فناناً أيضاً، ولذا فإن لأعماله، إلى جانب القيمة الفلسفية، قيمة فنية أيضاً، وجميع هذه الأعمال مكتوبة بصيغة الحوار ماعدا «دفاع سقراط»

وباستطاعتنا أن نلاحظ ثلاث مراحل في أعمال أفلاطون:

١ - المرحلة «السقراطية» وفيها يتبع أفلاطون طريقة معلمه سقراط بدقة ويجري أبحاثه على شكل محادثات قائمة على الأسئلة والأجوبة.

٢ - مرحلة تكون الطريقة الأفلاطونية المستقلة: وفيها تتناوب الحجج الفلسفية مع «الأساطير» المصوغة صياغة فنية. غير أن الدور الأساسي في أعمال هذه المرحلة يبقى لسقراط كما في السابقة.

٣ - المرحلة الأفلاطونية: وفيها يحدث انعطاف في نظرات أفلاطون فيتناقص دور سقراط في أعماله تناقصاً ملحوظاً حتى يختفي تماماً في عمله الأخير «القوانين» كما أن الناحية الفنية تضعف كثيراً في أعمال هذه المرحلة.

### النقد الأدبي في أعماله

في أواخر القرن الرابع كان قد مضى أكثر من مئة عام على بداية الأنشطة والأعمال التربوية العقلانية التي شرعت في الظهور منذ منتصف القرن الخامس بسبب حاجة الدول - المدن الديمقراطية إلى «التعليم العالي». لقد ظلت التربية العقلانية مستمرة، طيلة وجود الدول - المدن المستقلة، تنشئ الثقافات الجديدة مغيرة في مجرى الزمن، أشكال عملها وموضوعاته وأهدافه، وظل فن الكلمة مركز اهتمام هذه التربية التي نشأت من تعليم الناس فن الكلام، فمن المعروف أن جورجياس وتيسياس بدأ في صقلية تعليم مواطنيهم الخطابة باستخدام رواسم أسلوبية معدة سلفاً. وقد نظر مؤيدو هذا المنحى التعليمي الجديد إلى الخطابة بوصفها عملاً يشبه سائر الحرف الأخرى التي تمتلك وسائل تقنية معينة تحقق من خلال استخدامها نتاجات لها مقاييس محددة لتقويمها. وهكذا تحول فن الكلمة في نظرهم من إبداع توحى به الآلهة إلى عمل إنساني أخذ المعلمون الجدد على عاتقهم تعليمه للناس، فراحوا يكتشفون أساليب التعبير الكلامي ويستخدمونها استخداماً واعياً كما أنشؤوا نظرية اللغة الفنية وأدخلوا إلى الأدب فنوناً جديدة، وأصدروا أحكاماً على الأعمال

## عالم الفكر

الأدبية . لقد تكامل الموقف الجديد من فن الكلمة تدريجياً ومن خلال الارتباط المباشر بتطور التربية نفسها ، وظل تطوره يدور حول محور واحد هو مسألة العلاقة بين الإبداع الأدبي والواقع الحقيقي . غير أن الثقافة الكلامية التي أنشأها البلاغيون والسفسطائيون من خلال رفضهم لغيبية الإبداع الأدبي وترويجهم لنظرية «الكلمة الكاذبة المقنعة» ، وسعيهم إلى تحقيق تأثير جمالي للنثر يعادل التأثير الجمالي للشعر ، واجهت موقفاً آخر من فن الكلمة في القرن الرابع قبل الميلاد ، هو الموقف الذي أنشأته وطورته أكاديمية أفلاطون ، ففي الوقت الذي كان فيه السفسطائيون والبلاغيون يقدمون الخدمات لذلك الجانب من حياة الدولة - المدينة ، الذي يتطلب وجود فن كلامي قادر على إخضاع جماهير المستمعين لتأثيره ، ويحولون النثر إلى ما يشبه الأنشيد والملاحم ، كتب أفلاطون مؤلفاته ، التي تختلف عن خطابات البلاغيين في أنها لم تكن تعرض آراء الخطيب بشأن الأحداث والحياة اليونانية المعاصرة وتقومها وتحاول توجيهها الوجهة المناسبة له ، بل كانت تصويراً حوارياً يحمل طابعاً موضوعياً فأفلاطون لم يكتب أياً من مؤلفاته (عدا الرسائل) بصيغة المتكلم ، بل كان يكتب في الحواريات بتقديم آراء أناس مختلفين مانحاً إياهم فرصة التعبير عن آرائهم . إنه لم يقدم المواعظ والنصائح بل صور كيف كان الأثينيون يفكرون . ولذا لانجد نظرياته مصوغة في مؤلفاته صياغة واضحة محددة ، بل نلتقطها من مجمل سياق تلك المؤلفات .

لقد كانت موضوعات محاوراته مختلفة عن محاورات البلاغيين والسفسطائيين ، ومع ذلك فإن شخصيات تلك المحاورات كانت تعالج مسائل الأخلاق والسياسة في الدولة - المدينة ، وهي المسائل الأساسية في كتاباتهم ، وعلى ذلك فإن الاختلاف بينهم وبين أفلاطون كان في أسلوب المعالجة ، فالمدرسة البلاغية كانت تقدم الاقتراحات وتمجد القواعد والصفات الأخلاقية بوصفها كلاً مكتملاً ، وتدافع عن خطها السياسي مادحة إجراءات سياسية محددة ، في حين أن الأسلوب الأساسي للمحاكمة في المحاورات الأفلاطونية هو البحث عن الماهية الواحدة في كل ظاهرة ودحض الآراء الدارجة حولها .

لقد دخلت الأخلاق والسياسة في محاورات أفلاطون بوصفها مادة يتدرب بها وهو يصوغ طريقته الدباليكتيكية وتعاليمه عن الماهية (الأنطولوجيا) والمعرفة ، وقد تجلّى في المحاورات (بالإضافة إلى الاختلاف في الموضوعات والأهداف والطريقة) الاختلاف بين المدرسة الأفلاطونية والمدرسة البلاغية في الموقف من التقاليد الأدبية ومن الشعر الكلاسيكي .

### نقد الشعر

شغل الشعر في محاورات أفلاطون مكانة عظيمة من حيث كمية النصوص المستخدمة وذكر أسماء الشعراء . ولكننا لانجد عنده محاولات لتقليد الموضوعات الملحمية أو سعياً إلى بلوغ شدة تأثير الشعر بواسطة النثر ، كما كانت عليه حال الكتابات البلاغية الكثيرة . . . فالشعر دخل عضواً في المحاورات الأفلاطونية بوصفه جزءاً من الحوار تتناقل شفاه المتحدثين نصوصه باستمرار وبوصفه ، أيضاً ، موضوعاً للتحليل الفلسفي تتم دراسة ماهيته ووظيفته في المحاورات . لقد أتيحت لأفلاطون ، الذي كان دائماً يقف وراء مشهد الحوار يقدم الشخصيات وينظر إلى المتحاورين من بعد ، إمكانية التعامل مع الشعر من خارجه ، الأمر الذي حقق له موقعاً مستقلاً ، رأى منه الشعر ظاهرة مكتملة فقام بتصنيفها بالاستناد إلى خصائصها المميزة فأنشأ ، لأول

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.



# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

بالثناء . وهو أشبه شيء بالحجر الذي يدعوه إفريديس الحجر المغناطيسي وغيره الحجر الهركلي ، فهذا الحجر لا يقتصر على جذب الحلقات الحديدية المتصلة به ، وإنما يهبها من القوة ما يمكنها أن تفعل ما يفعل الحجر نفسه ، أي أن تجذب حلقات أخرى بحيث يتألف منها أحياناً سلسلة كبيرة ، كذلك ربة الشعر تخلق لها قوماً ملهمين وبهم تتواصل سلسلة طويلة من ذوي الإلهام فجميع شعراء الملاحم المجلين لم ينسجوا مطارف شعرهم بفضل الصناعة ولكن هو الإلهام قد هبط عليهم وتبطن مداركهم فدبجوا منظوماتهم الرائعة . .

. . . الشاعر خلق خفيف مقدس وذو أجنحة ، بيد أنه لا يقوى على النظم إن لم يفض عليه روح الإلهام ويختطف حتى كأنه فار فائر جنونه ، كذلك كل إنسان إن لم يسم به الإلهام عجز عن النظم والغناء<sup>(٧)</sup> .

إن المستمع هو آخر حلقة من الحلقات التي قلنا إنها تنال القوة من بعضها وكلها من الحجر الهركلي ، وإن الحلقة الوسطى هي أنت أيها المنشد والممثل ، والأولى هي الشاعر ، أما الله فهو الذي يجذب بواسطة مجموعها روح البشر أيان شاء معلقاً بعضاً ببعض<sup>(٨)</sup> .

لقد حدد أفلاطون في كلمات سقراط هذه موضوعين يمكن أن نسمي الأول منها «علم نفس الإبداع الشعري» وأن نسمي الثاني «علم نفس الاستيعاب الشعري» ، وطور هذين الموضوعين في محاوراته اللاحقة راسماً نموذجاً لذلك الفن الجديد الذي طرحه في محاوره «القوانين» صيغة توفيقية بين الفلسفة والشعر . إن كلام أفلاطون عن الحدس في محاورته «إيون» استمر في محاورته «مينون» و «المأدبة» و «فايدروس» . ففي «مينون» يشرح أفلاطون مفهوم «الإلهام الإلهي» والحماسة والوحي على أنه ملكة الكلام على الأشياء العظيمة من دون معرفة ما يدور عليه الحديث . ومن هذا التعريف السلبي للحدس بوصفه «جهلاً» ينتقل أفلاطون في «المأدبة» إلى تحليل عملية الإبداع التي تجري في النفس الإنسانية ، وهو يميز في هذه العملية عنصرين أساسيين هما التماس مع الجمال أو الفضيلة والسعي إلى الخلود ، ويجمع معاً الشعر والعمل في مجال الدولة وكل إبداع مبتكر . ويتم ، من وجهة النظر هذه ، تقويم أعمال هوميروس وهيزيود بوصفها أعمالاً رائعة وبخالدة . ويعود أفلاطون من خلال كلام سقراط في محاوره «فايدروس» مرة أخرى إلى مسألة «المس الإلهي» مؤكداً على ضرورته من أجل الإبداع الشعري :

«ولكن من يطرق أبواب الشعر دون أن يكون قد مسه الهوس الصادر عن ربات الشعر ظناً منه أن مهارته (الإنسانية) كافية لأن تجعل منه في آخر الأمر شاعراً . فلا شك أن مصيره الفشل . ذلك لأن شعر المهرة من الناس سرعان ما يخفت إزاء شعر الملهمين الذين مسهم الهوس»<sup>(٩)</sup> .

### وظيفة الشعر ودوره

إن أفلاطون بتبنيته للشعر في المكانة والموقع اللذين وضع الشعر نفسه فيهما في فترة سيطرته على مناحي الحياة الروحية عند اليونانيين (من هوميروس إلى بنسار) ، خلّص الشعر إلى درجة معلومة ، من انتقادات فلاسفة القرن السادس قبل الميلاد ، ولكنه حرمه أيضاً من ادعائه دور الريادة الروحية في الحياة الإنسانية ، لقد اكتسب الشعر ، السامي في أساسه ، الحق في أن يكون «غير عارف وتحرر من مطالبته بأن يقدم لمستمعيه الحقيقة عن العالم ، كما اكتسب ، في الوقت نفسه ، وظيفة أخرى هي «التماس مع الجمال» وهذا الإعلان بالذات عن الدور المتميز للشعر ، المختلف عن الدور الذي تؤديه المعرفة الدقيقة ، هو القاعدة التي استند

## عالم الفكر

إليها أفلاطون الفيلسوف في هجومه على الشعر التقليدي وهو يناضل من أجل صورة جديدة للعالم والمجتمع والإنسان .

لقد كان الجزآن الثاني والثالث من محاور «الجمهورية» الخطوة الأولى في هجوم أفلاطون حيث كان ميدان المعركة برنامج تربية طبقة المحاربين في المدينة المثالية ، ففي هذين الجزأين صنف أفلاطون الفن وانتقده بسبب وظيفته المتميزة الخاصة به وهي قدرته على التأثير في مشاعر المستمعين .

إن علم نفس الكلمة الفنية الموجود في أساس التجارب الأسلوبية للسفسطائيين ، والذي أشار إليه جورجياس بوصفه جاذبية سحرية ترغم الإنسان على معاناة أحزان الآخرين وأفراحهم ، وكأنها تخصهم ، لاقي عند أفلاطون تفسيراً جديداً بوصفه ملكة قادرة ليس على إثارة العواطف فحسب ، بل على تكوين الروح أيضاً . ويتخذ مفهوم تكوين الروح عند أفلاطون طابعاً «آلياً» إلى حد بعيد ، إذ يرى أنه يعني لباس روح المستمع «النموذج» الموجود في العمل الفني . وانطلاقاً من هذه المقدمة يحدد أفلاطون في «الجمهورية» برنامج التربية المدعو إلى تكوين الإنسان الحامل لصفات محددة بواسطة الفن . وهكذا تحدد الغاية انتقاء الوسائل التي كان الشعر واحدة منها . غير أن الشعر لا يمتلك بحسب أفلاطون حق الوجود إلا بالقدر الذي يحقق المهمة المطروحة . إن هذه الدعوة إلى تحديد حرية تعليم الفن وإخضاعه لقواعد خارجة عنه كانت أساس هجوم أفلاطون الأول على تقاليد اليونان الشعرية . لقد بدأ انتقاد أفلاطون بمطالبتة بانتقاء الشعر وفصل ما هو ضروري منه عما هو غير ضروري ، وما هو جيد عما هو رديء ، وهو يعبر عن ذلك بالكلمات التالية :

«فأول واجب علينا هو السيطرة على ملفقي الخرافات ، واختيار أجملها ونبتذ ما سواه ، ثم نوزع إلى الأمهات والمريضات أن يقصصن ما اخترته من تلك الخرافات على الأطفال وأن يكيفن منها عقولهم أكثر مما يكيفن أجسادهم بأيديهن . ويجب أن نرفض القسم الأكبر مما يملئ عليهم من الخرافات في هذه الأيام»<sup>(١٠)</sup>

يتضمن هذا المقطع إعلاناً صريحاً عن أسلوب جديد في التعامل مع العمل الأدبي يختلف عن أسلوب السفسطائيين في تفسير معناه ، وعن أسلوب البلاغيين في انتقاده من حيث مطابقتها لقواعد الفن الأدبي . فالمطروح هنا ، بديلاً عن الأسلوبين ، سلم مقاييس موجود خارج العمل الأدبي نفسه ، نابع من تأثير الأدب على روح المستمع وأخلاقه وقد أدى هذا المعيار إلى تصنيف الأعمال الأدبية في حقلين هما «مسموح به وممنوع» .

إن تحليل الفن في الجزأين الثاني والثالث من الجمهورية هو مثال واضح على ذلك النقد ، ففيه يشار بصراحة إلى الهدف النهائي الذي يسعى إليه أفلاطون من خلال انتقاده للفن . وهذا الهدف هو جملة من الخصائص التي يجب أن يتصف بها المحارب المدافع عن المدينة «الفاضلة» . فعلى المحارب في رأي أفلاطون ، أن يكون فيلسوفاً شجاعاً سريعاً قوياً ، وعلى الفن أن يريسه ليكون كذلك . ويقوم أفلاطون بمحاولة قياس الفن الشعري بمقياسه فينظر إليه من جوانب ثلاثة هي : الأسطورة ، أي المشهد الموصوف نفسه ، والأسلوب ، والمرافقة الموسيقية ، ويحكم على كل منها من خلال مطابقتها للمهمة الأساسية . وهنا يتحول النقد إلى حملة تفتيش يتم من خلالها تحديد ما يسمح باستخدامه وما لا يسمح باستخدامه من الشعر في تربية المحاربين .

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

واستناداً إلى هذا المفهوم يقسم أفلاطون الشعر كله إلى ثلاثة أجناس بحسب الأسلوب الذي يعرض به الكاتب محتوى عمله ، أي بحسب طبيعة أداء الكاتب لدور «المحاكي» .

لقد أبرز أفلاطون ثلاث وسائل يعتمد عليها الشاعر في إبداعه ، وأعطى ، على أساس ذلك ، أول تقسيم نعرفه للألوان الأدبية اليونانية إلى التراجيديا والكوميديا والنشيد والملحمة ، يقول أفلاطون في الشعر ، كما في الأساطير ثلاثة أقسام :

أحدها تمثيلي كالمأساة والكوميديا ، والآخر رواية الشاعر نفسه رواية بسيطة .

وتجدها هذا النوع بالأكثر في خمریات باخس ، والثالث يجمع بين هذين النوعين : القصصي والتمثيلي وهو يلاحظ في الشعر القصصي وكثير من أمثاله .<sup>(١٤)</sup>

يناقش أفلاطون هذا الجانب الشكلي في الشعر من الزاوية نفسها التي ناقش منها محتواه . إنه يرى الخاصة الأساسية للشعر في التفاعل بين العمل الفني والمستمع ، أي في أن المستمع «يمحاكي» الشعر في نهاية المطاف . ومن وجهة النظر هذه يرى أفلاطون أن الشعر الذي يعتمد «المحاكاة» (أي الدراما) هو أشد أجناس الشعر تأثيراً ، أي أكثرها قدرة على جعل الإنسان مقلداً ، ولذا فهو أشد الأجناس الشعرية خطراً وهذا يجعل مراقبته مراقبة دقيقة أمراً ضرورياً للغاية . وهكذا يكتسب الشعر في نظر أفلاطون ، بالإضافة إلى قدرته على إكساب الإنسان صفات أخلاقية معينة ، قدرة على إكسابه ملكة «التقليد» ، ملكة «تقمص الشخصية» وفن التمثيل .

لم يغفل أفلاطون أن يحدد بوضوح الغاية من نقده ، فقد أشار إلى تلك الخصائص التي يجب أن يتحلى بها المحارب ، وعلى أساس ذلك أجرى حملة تفتيش على النصوص الشعرية التراجيدية .

إن أفلاطون يقترح هنا أيضاً ، كما فعل حين حلل الأساطير ، قائمة بالأعمال الممنوعة التي لايجوز استخدامها في تربية المحاربين وهي : تصوير النساء اللواتي يشتمن أزواجهن أو يبكين أو يجدفن بحق الآلهة ، وكذلك تصوير العبيد والمهرجين والمجانين والحرفيين وصهيل الخيل وصخب البحر وخوار الثيران والرعد وما شابه ذلك .

وعن طريق إخضاع الأسلوب لقواعد شكلية أقام أفلاطون - كما فعل البلاغيون قبله - علاقة تبعية بين أسلوب الكلام والطابع الأخلاقي للمتكلم ، معلناً وجود أسلوبين للكلام هما : أسلوب الإنسان الشجاع وأسلوب الإنسان الرديء .

ولكن ، إذا كان البلاغيون يرون أن الكلام الجيد هو صورة الروح الجيدة وأنه يكون بقدرة الخطيب على الجمع بين «الفائدة والحلاوة» ، قدرته على طرح موضوعات هامة ومهارته الفذة في استخدام الأدوات الأسلوبية ، فإن أفلاطون يتوصل إلى نتيجة مناقضة لذلك تماماً . فهو بعد أن يحدد الأسلوبين اللذين أشرنا إليهما ، ويحدد لكل منهما الموضوع الذي يحاكيه وإيقاعه وهارمونيته ، يربط بكل منهما هدفاً للتأثير الشعري يناقض هدف التأثير الشعري للأسلوب الآخر . إنه ، انطلاقاً من القواعد الأخلاقية للدولة ، يلفظ من المجتمع الفاضل الشاعر «المقدس» المدهش الممتع «ويقبل فيه الشاعر الأكثر صرامة والأقل إمتاعاً» .

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

يعتمد (علم نفس) أفلاطون على تقسيم النفس إلى ثلاثة أجزاء مكونة هي: النفس العاقلة، والنفس الغضبية، والنفس الشهوانية. وهذا التقسيم مستوحى في أساسه من تقسيم الحياة الاجتماعية في الدولة - المدينة. لقد طبق أفلاطون على مفهوم «النفس» مبدأ التماثل مع المجتمع، وهذا ما جعله لا يتوقف عند تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء، بل دفعه أيضا «إلى أن يزعم أن هذه الأجزاء تتفاعل فيما بينها تفاعلا، يشبه ذلك الذي يحدث بين الفئات الاجتماعية، فهي عنده تتصف بالحركية وبسيطرة أحدها على الآخر، وبالتنافس، ولذا كان «التوازن» في نظره، شرطا «ضروريا» لحياة النفس حياة ناجحة. ومن هذا الموضع الجديد في نظريته إلى ماهية النفس عاد أفلاطون في الجزء العاشر من «الجمهورية» إلى مناقشة الدور التربوي لفن الشعر.

### العلاقة المعرفية بين فن الشعر وموضوعه

لقد ظلت الصفة الخاصة بالأدب التي أشار إليها أفلاطون في الجزأين الثاني والثالث من «الجمهورية»، وهي «تقليده» عالم الظواهر الحسية وجعل روح المستمع تماثله، في مركز اهتمامه، غير أن أفلاطون أضاعها في الجزء العاشر من كتابه إضاعة جديدة. إنه يعيد هنا طرح المسألة التي سبق أن ناقشها في محاوره «إيون» بشأن قيمة الشعر بوصفه وسيلة لمعرفة العالم الواقعي، وقدم عنها إجابة جديدة ترسم هرما «متدرجا» للعلاقة بين فن الشعر وموضوعه، وقد وضع أفلاطون في أعلى درجات الهرم عالم الماهيات المدركة بالعقل (المثل)، ووضع في الدرجة الثانية عالم الأشياء المحسوسة بوصفها تقليدا للماهيات. أما في الدرجة الثالثة فوضع تلك الصور التي ينشئها الفن (الرسم والنحت والأدب)، مجسدا للأشياء المحسوسة بواسطة التقليد. ومن وجهة النظر هذه قوم أفلاطون الفن الشعري، معتبرا إياه الأكثر بعدا عن الحقيقة والأقل شأنًا في تقديم المعرفة لأنه تقليد للتقليد.

وكما أشار أفلاطون في «إيون» إلى جهل المنشد بتلك الحرف التي يغني عنها، يعلن في الجزء العاشر من «الجمهورية» عدم معرفة الفنانين المقلدين لتلك الحرف التي يقلدونها: وهو يرى أن التقليد الشعري لا يختص بالعنصر العقلي بل يختص بعنصر أدنى منه، ويقول إن «الخلق الرصين الهادئ قلما يبدى ميلا إلى التقليد الشعري، وإن الناس الذين اعتاد الشعراء المثل أمامهم بأشعارهم لا يقدرون التقليد ولا يقدرون تعب الشعراء فيه». (١٥).

وإذا كان أفلاطون يقوم دور الشعر في «محاكاة» الموضوعات الخارجية بوصفه «جهلا» فإنه يرى في دوره النفسي (جعل المستمع يماثله) عائقا لعمل الجهاز المعرفي عند المستمع (العقل)، فعند دراسة استيعاب النفس (ذات الأجزاء الثلاثة) للشعر، يجعل أفلاطون التفاعل بين الشعر وروح المستمع في الجزء الغضبي من تلك النفس واصفا تأثير العمل الشعري بأنه إثارة للغضب والإشفاق.

هكذا يضع أفلاطون الشعر في مستوى أدنى من المعرفة المنطقية والمعرفة العملية، فيصل بنقده لفن الشعر إلى حد الهجوم صراحة على هوميروس الذي ظل قرونا، يعد المربي الأول لليونانيين، ويدعو المعلمين إلى عدم استعمال كتاباته في تهذيب الأحداث، مشيرا إلى أن الشاعر يستعمل في وصف الآلهة لغة مثيرة للغضب ويشجع بأشعاره المخاوف من الموت في قلوب الفتيان بإخبارهم أن الحياة في العالم الآتي مظلمة، ويصور صفات أكابر الرجال لبصرهم وسمعهم بصورة محقرة أو مضحكة أو ذنية، وهو يرفض في نهاية المطاف أن

## عالم الفكر

يفسح هوميروس وأمثاله ، مكانا في مدينته الفاضلة ويقول : «نرجو ألا يسوء هوميروس ولا غيره من الشعراء حذفنا هذه الأبيات وأمثالها ، لأننا نحذفها لا إنكارا لشاعريتها ، ورغبة الكثيرين في سماع تلاوتها ، بل قياسا على ما فيها من الشاعرية لخطر سمعها على الكبار وعلى الصغار ، الذين يجب أن يظلوا أحرارا ، وعندهم الموت ولا ذل الاستعباد» . (١٦)

إن لهذا الافتراق عن هوميروس معنى مزدوجا كشف عنه أفلاطون نفسه ، فهو من ناحية يواصل وينهي النقاش القديم بين الشعر والفلسفة ، و من ناحية أخرى يفتح طريقا لنمط جديد من الفنون يلمح إليه أفلاطون بقوله إنه يجب علينا أن «نحصر أنفسنا في مراقبة شعرائنا ، فنوجب عليهم أن يطبعوا منظوماتهم بطابع الخلق الحميد ، وإلا فلا ينظموا ، أو نوسع نطاق مراقبتنا فتشمل أساتذة كل فن ، فنحظر عليهم أن يطبعوا أعمالهم بطابع الوهن والفساد والسفالة والسجاجة ، سواء في ذلك رسوم المخلوقات الحية أو الأبنية ، أو أي نوع آخر من المصنوعات » ومن لا يستطيع غير ذلك فتنهاه عن العمل في مدينتنا» . (١٧)

### المطالبة بفن شعري جديد

لقد اكتسب الافتراق عن هوميروس ، إذن ، معناه من خلال المطالبة بإنشاء فن جديد يجمع بين المتعة والفائدة ، وفي هذا المجال كان أفلاطون منسجما ، مع ما طرحته حضارة القرن الرابع العقلانية كلها ، وقد صاغ أفلاطون برنامج الفن الجديد الذي ألمح إليه في النص المقتبس السابق من «الجمهورية» صياغة مكتملة في كتابه «القوانين» .

يقدم أفلاطون في كتاب «القوانين» نموذجا «ثانيا» لمجتمعه المثالي . ويحدد في هذا الكتاب فن الكلمة الصالح لذلك المجتمع . إن أفلاطون يؤكد في القوانين ضرورة وجود الفن الشعري وحاجة الإنسان إليه ، ويقترح المعايير التي يجب ان نخضع لها هذا الفن . ويكاد البرهان الأفلاطوني على ضرورة الشعر أن يكون «فيزيولوجيا» فهو يبرز في النفس الإنسانية إحساسا «أوليا» بالمتعة والمعاناة ترتبط به الفضيلة والرذيلة من ناحية ، وإحساسا بالإيقاع والهارمونية من ناحية أخرى .

يقول أفلاطون ، مفتتحا (الجزء الثاني) من كتاب «القوانين» : «إن أول مظاهر الضمير لدى الطفل انها هو الشعور باللذة والألم ، وذلك هو المجال الذي نكتسب فيه النفس لأول مرة الفضيلة والرذيلة . والمرء يكون سعيدا ، و«محظوظا» إذا استطاع أن يكتسب الحكمة والاعتقاد الصادق المؤكد حتى وهو على أعتاب الشيخوخة» . (١٨)

وهكذا فإن أفلاطون ، بعد أن أبرز الإحساس باللذة والألم بوصفهما إحساسين أوليين عند الإنسان ، ربط بهما مفاهيم «الفضيلة» و«الرذيلة» و«التربية» .

وقد عرف الفضيلة بأنها ارتباط اللذة مع الحب والألم مع الكراهية في النفس ، على النحو الصحيح .

أما التربية فرأى أنها التعامل الصحيح مع تلك المشاعر ، ذلك التعامل الذي يعلم المرء أن يكره ما يجب أن يكرهه ويجب ما يجب أن يحبه ، وأبرز أفلاطون في الفن طبيعته التمثيلية وارتباطه بغريزة الحركة ، ورأى في ذلك ارتباطه العضوي بغريزة اللذة ، يقول أفلاطون :



# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

(٢)

## أرسطو

### مدخل

كان المبدأ السفسطائي القائل بالتقابل بين الكلمة والمعرفة المكافئة لها، أساس محاكمات البلاغيين وأفلاطون للأجناس الأدبية ووسائل التأثير بالكلمات وضرورة إخضاع إبداع الكاتب لقواعد مفروضة على الأدب من خارجه.

فبالإستناد إلى هذا المبدأ حول السفسطائيون الإبداع الكلامي إلى «نشاط خاضع للتحكم»، وجعلوا تقنية فن الكلمة موضوعا للدراسة وتتبعوا تأثيره العميق في الإنسان، ولكنهم مع ذلك، لم يقدموا حلا لمسألة كانت تفرض نفسها على كل جيل جديد في الدولة المدنية، هي مسألة المحافظة على تركة الماضي الحضارية والإفادة منها. فثمة تناقض واضح مثلا بين مشروع الفن المبرمج المقترح في يوتوبيا، أفلاطون السياسية، والداعي إلى التخلي عن معلمي الإغريق - هوميروس والشعراء التراجيديين، وبين فن هؤلاء الذي يمتلكه المجتمع اليوناني فعلا. ولذا كان بحث أرسطو عن قواعد للإبداع الكلامي تسمح بالاحتفاظ بالأعمال الإبداعية الحائزة على اعتراف جماعي، هو التوجه الأكثر أهمية في نظريته النقدية.

لقد نظر أرسطو إلى الكون باحثا عن جوهر الأشياء في قلب مادتها نفسها. ودرس من هذا المنطلق، كل شيء بوصفه جسما «حيا» يحمل في ذاته القدرة على الاكتمال. وبني لأول مرة في التاريخ، نظرية لفن الكلمة لا تقترح قاعدة فكرية مفروضة عليه من خارجه، كما فعل البلاغيون وأفلاطون، بل مستقاة من تجربة الأدب اليوناني المتكسدة عبر عدة قرون من التطور، فاستند في أسلوبه الجديد في تقويم الأدب، إلى تفسير ذهني جديد للمتعة الجمالية يربط بين جمال الكلام وبين المعرفة التي ينقلها، معلنا أن الكلام الممتع هو الذي يعلم وينقل المعرفة. وقد أسبغ أرسطو بذلك خاصية «نقل المعرفة» على الأساليب التشكيلية ذاتها، فرأى أن معيار المهارة الأدبية الجيدة هو القدرة على استخدام الوسائل التعبيرية للغة على الوجه الأكمل، وبالإستناد إلى هذا المعيار الجديد للقيم الجمالية، اقترح أرسطو مخططه لانتقاء الأدوات الأسلوبية والإنشائية اللازمة في بناء عمل فني كامل، وذلك في كتابه الذي وصل إلينا «فن الشعر» وفيه يحدد مبادئ كتابه «التراجيديا والملحمة».

إن «فن الشعر» بطبيعته، إرشادات وقواعد لمحتري مهنة الكتابة. وقد استخدم أرسطو فيه، كل ما كتبه سابقوه عن فن الكلمة.

ولكنه، مع ذلك ظل يختلف كثيرا عن الكتابات السابقة له في هذا المضمار، إنه محاولة جديدة لحل مسألة النزاع بين الفلسفة والشعر، توصل فيها أرسطو إلى نتائج مناقضة تماما، لما توصل إليه أفلاطون مع إنه استخدم ملاحظاته نفسها، فهو لم يتخل عن هوميروس والشعراء التراجيديين كما فعل أفلاطون، بل تمسك بهم، وهو لم يهاجم، كأفلاطون، فن الشعر، بل وضع الأسس النظرية لهذا الفن.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.



## عالم الفكر

«لقد قررنا أن المأساة محاكاة فعل تام له مدى معلوم، لأن الشيء يمكن أن يكون تاما، دون أن يكون له مدى، والتام هو ما له بداية ووسط ونهاية، كذلك الجميل، سواء أكان كائنا «حيا»، أم شيئا مكونا من أجزاء بالضرورة ينطوي على نظام يقوم بين أجزائه هذه، وله عظم يخضع لشروط معلومة، فالجمال يقوم على العظم والنظام، ولهذا فإن الكائن العضوي الحي، إذا كان صغيرا جدا لا يمكن أن يكون جميلا، لأن إدراكنا يصبح غامضا، وكأنه يقع في برهة لا يمكن إدراكها، كذلك إن كان عظيما جدا بأن كان طوله عشرة آلاف ميدان مثلا، إذ في هذه الحالة لا يمكن أن يحيط به النظر، بل تند الوحدة والمجموع عن نظر الناظر»<sup>(٥)</sup>.

يجب أن يكون للحبكات القصصية طول يسهل تذكره... إن الحجم يتحدد بباهية الفعل نفسه (والتراجيديا) الفضلى من حيث الحجم هي دائما تلك التي تشغل حجما يكفي لتفسير (الحبكة القصصية) تفسيراً كاملاً.

٢- والشرط الثاني، الذي يطلب أرسطو من الشاعر التراجيدي أن ينفذه، هو تصوير أفعال تبدو حقيقية أو محتملة الوقوع. لقد استخدم البلاغيون جميعا مبدأ الاحتمال في خطبهم، ولكن أفلاطون سخر منه وانتقده في «فايدروس». أما أرسطو فقد وازن في «فن الشعر» بينه وبين المعرفة الفلسفية معلنا أنها يعالجان موضوعا واحدا هو «العام» في تميزه من «الفرد». واستطاع من خلال هذه الموازنة أن يدحض أكبر اتهام وجهه أفلاطون إلى الشعر، نعني بذلك اتهامه للشعر بالعجز عن إدراك معرفة ماهية الأشياء، وذلك حين أعلن أن الشعر أكثر فلسفة من التاريخ الذي يتعامل مع الوقائع المحددة، فقال:

«إن مهمة الشاعر الحقيقية ليست في رواية الأمور كما وقعت فعلا، بل رواية ما يمكن أن يقع، والأشياء ممكنة، إما بحسب الاحتمال، أو بحسب الضرورة. ذلك أن المؤرخ والشاعر لا يختلفان بكون أحدهما يروي الأحداث شعرا، والآخر يرويها نثرا. فقد كان من الممكن تأليف تاريخ هيرودوتس نظما، ولكنه كان سيظل مع ذلك تاريخا سواء كتب نظما أو نثرا، وإنما يتميزان من حيث كون أحدهما يروي الأحداث التي وقعت فعلا، بينما الآخر يروي الأحداث التي يمكن أن تقع، ولهذا كان الشعر أوفر حظا من الفلسفة وأسمى مقاما من التاريخ، لأن الشعر بالآخرى يروي الكلي، بينما التاريخ يروي الجزئي، وأعني بالكلي أن هذا الرجل أو ذاك استعمل هذه الأشياء أو تلك للحاجة والاحتمال أو على وجه الضرورة، وإلى هذا التصوير يرمي الشعر، وإن كان يفرد أسماء الأشخاص و«الجزئي» هو ما فعله القبيادس أو ما جرى له»<sup>(٦)</sup>.

٣- أما الشرط الثالث فهو أن تصور التراجيديا أفعالا خفيفة ومحزنة، وأرسطو يخرج في هذه المرة أيضا، عن دائرة مفاهيم جورجياس، ملاحظا أن المخيف والمحزن يبعث الإحساس بالدهشة، وهو الإحساس الذي عده أفلاطون الانطلاقة الأولى نحو المعرفة المجردة.

يقول أرسطو: «وليست المأساة مجرد محاكاة لفعل تام، بل هي أيضا «محاكاة» أحوال من شأنها إثارة الشفقة والخوف، وهذه الأحوال تظهر خصوصا حينما نواجه أفعالا نظراً فجأة وعلى غير انتظار منا» ويتوقف بعضها على بعض بالضرورة، وأمام هذه الأحداث الفجائية تكون الدهشة أكبر منها أمام الأحداث التي تقع من نفسها اتفاقا»<sup>(٧)</sup>.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

بحماس عن مزايا «أوديب» اكتشف عدداً من نقاط الضعف في بنية مسرحية سوفوكليس التراجيدية «أنتيجونا» وفي مسرحيات أخرى لم تصل إلينا نصوصها . وهكذا أظهرت دراسته لأثاره جوانب الضعف والقوة فيها ، شأنها في ذلك شأن دراسته في «فن الشعر» لإبداعات الشعراء التراجيدين الآخرين .

٢- قلنا سابقاً إن أرسطو ذكر في «فن الشعر» أسماء الشعراء التراجيدين ونصوصهم نحو ستين مرة وقد شغل اسم أويريبديدس مكانة مرموقة في ذلك الكتاب ، الذي تضمن استشهادات كثيرة بتراجيديته «إيفجينيا في تاوروس» ومحاولة لتقويم إبداعه تقوياً شاملاً والدفاع عنه في وجه هجمات النقاد ، يقول أرسطو:

«لهذا يخطئ الذين يتقنون يوريبديدس حينما يأخذون عليه أنه يسير على هذا النمط في مآسيه فيختم كثيراً منها بخاتمة أليمة . والحق أن هذه الطريقة لا غبار عليها كما قلنا ، وهاك أبلغ شاهد على ما نقول : في المسرح وفي المباريات تبدو المآسي التي من هذا النوع أبرعها وأتقنها إن أحكم صنعها ، ولهذا أضحي يوريبديدس - وإن فاتته أحياناً بلاغة الإيجاز وإحكام البناء الفني - أبرز الشعراء في تأليف المآسي»<sup>(١٥)</sup>

يتضح لنا من هذا المقتبس أن موقفه من أويريبديدس كان كموقفه من سوفوكليس ، أي أنه كان يبرز جوانب القوة والضعف في إبداعه مع فارق وحيد هو أن أويريبديدس لم يعط صاحب «فن الشعر» نموذجاً «تراجيدياً» كاملاً مثل «أوديب» .

يمتدح أرسطو حسن انتقاء إسخيلوس وأويريبديدس للحجبات القصصية وتمييزها الدقيق للحدث التراجيدي من الحدث الملحمي . وهو يسمي أويريبديدس الشاعر الأكثر تراجيدية بسبب مهارته في تجسيد شقاء البطل على خشبة المسرح ، ويؤكد بأمثلة من تراجيدياته مقولات كتابه عن الطريقة المثلى في «العرض» والأسلوب الأقوى تأثيراً بواسطة تصوير «المخيف والمحزن» .

ويقابل صاحب «فن الشعر» هذا الجانب القوي في إبداع أويريبديدس بجوانب «ضعف» إبداع الشاعر التي تتجلى في عدم التزامه بـ «مماثلة الواقع» وبضرورة اكتمال الحدث . ففي «إيفجينيا في تاوروس» التي امتدحها مرتين في كتابه ، يكتشف تفاصيل لا تدخل عضويًا في الحبكة القصصية فيقول:

«وثانياً» التعريفات التي يرتبها الشاعر ولهذا تكون بعيدة عن الفن ، فأوريبست في «إيفجينيا» يتعرف أنه أورسطس على هذا النحو:

«فبينما تعرّف إيفجينيا يتم بفضل الرسالة ، نجد أورسطس يقول بنفسه ما يريد له الشاعر أن يقوله لا ما تقوله الحكاية»<sup>(١٦)</sup>

وهذا النوع من العرض قريب جداً من الخطأ برأي أرسطو الذي يضع - بسبب هذه المخالفات للوحدة العضوية - أناشيد الجوقة عند أويريبديدس في مكانة أدنى من مثيلاتها عند سوفوكليس .

ومن خلال المقابلة بين المزايا والعيوب التقنية عند الكتاب المختلفين يرتسم شكل الحبكة القصصية «المثالية» كما يراها أرسطو ، فهي يجب أن تجسد كلاً موحداً كما عند إسخيلوس وأويريبديدس ، وأن تصور أحداثاً خفيفة وممزقة كما عند سوفوكليس وأويريبديدس ، وأن تحقق ، من خلال «العرض» والتحويلات في مصائر الشخصيات ، قوة التعبير التي تمتاز بها أعمال أويريبديدس ، وتراعي ، في الوقت

## عالم الفكر

نفسه « معايير سوفوكليس في «مماثلة الواقع» فلا تسمح بوجود أية تفاصيل في التراجيديا تخل بشروط الترابط بين أجوائها جميعاً كاستخدام الآلة في صنع الحل أو وضع أناشيد للجوقة لارتبط بالحبكة القصصية ارتباطاً عضوياً .

إن قواعد العمل المسرحي الجديدة التي وضعها أرسطو هي خلاصة لملاحظاته على الأعمال التراجيدية الكلاسيكية في القرن الخامس . وهي ، في الوقت نفسه ، رفض لعدد كبير من ظواهر الحياة المسرحية التي عاصرها . إنه يعارض معارضة صريحة الأعمال التراجيدية بعد أوريبيديس ، لأنها تخل بمبدأين للتراجيديا هما : الوحدة العضوية في العمل التراجيدي ، وإثارة الخوف والحزن في نفس من يشاهده ، وهو يرفض استناداً إلى ذلك ، أن يسمي المسرحيات المسلية المعاصرة له تراجيديات لأنها لا تبعث المتعة الخاصة بالتراجيديا ، بل تقترب بطبيعة تأثيرها في المشاهد من الكوميديا .

### الشخصية التراجيدية

يدرس أرسطو في كتابه «فن الشعر» إلى جانب الحبكة القصصية (الأسطورة) عنصرين آخرين من عناصر التراجيديا هما الشخص والخصيص والتعبير الكلامي . وفي حين نظر أفلاطون وسابقوه البلاغيون إلى التعبير الكلامي بوصفه تجلياً لسمات الكاتب الأخلاقية والفكرية ، ووسيلة للتأثير في روح المستمع نظر أرسطو إليه من خلال اتحاده بالشخص ، وقام ، معتمداً المعيار الجديد الذي استنبطه ، بتفسير النصوص الكلاسيكية تفسيراً جديداً .

يعتمد تحليل الشخص في «فن الشعر» على التعريف الذي أعطاه أرسطو لمفهوم «الشخصية» التي يجب ، برأيه أن تتوفر فيها أربعة شروط : الشرط الأول منها فقط ، ذو طبيعة أخلاقية ، إذ يطالب فيه بأن تكون الشخصية «جيدة وصالحة» مؤكداً أن هذا الشرط يمكن أن يتوفر أيضاً في الكائنات المتدنية بطبيعتها كالمرأة أو العبد مثلاً ، أما الشروط الثلاثة الأخرى التي يجب أن تتحقق في «الشخصية» ، وهي أن تكون «مناسبة للدور الذي تؤديه ، ومماثلة للحقيقة و«منسجمة» فتنصب على ما يجب أن تكون «الشخصية» ملائمة له في التراجيديا .

قد يذكّرنا اشتراط أرسطو أن تكون «الشخصية مناسبة» بكلام البلاغيين على «الشخصية اللائقة» . ولكن المعنى الذي قصده أرسطو يخالف لما عناه البلاغيون . فالشخصية «اللائقة» ، عندهم ، هي قبل كل شيء ، تلك التي يتجه حديثها إلى هدف هام وجاد ، أو تقوم بأفعال تليق بالأبطال . أما «الشخصية المناسبة» عند أرسطو ، فهي تلك التي يتحقق فيها التناسب بين الشخصية ومحتواها . فـ «الرجولة» مثلاً ، لا يمكن أن تكون ، برأي أرسطو ، صفة لشخصية نسائية .

ولا يشرح أرسطو الشرط الثالث الذي يجب أن يتوفر في «الشخصية» (مماثلة الحقيقة) ، بل يستخدم هذا المصطلح في قوله : ولما كانت المأساة محاكاة لمن هم أفضل منا ، فيجب أن نسلك طريقة الرسامين المهرة الذين إذا أرادوا تصوير الأصل رسموا أشكالاً أجمل وإن كانت تشابه الصور الأصلية ،<sup>(١٧)</sup> وهذا قول يجعلنا نعتقد أن أرسطو يعني بـ «مماثلة الحقيقة» مماثلة ما هو موجود في الواقع .

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

أما المقياس الذي يحدد الوجود الضروري للكلمات غير العادية في النص فهو ، برأي أرسطو ، الحد «اللائق» و «المناسب» الذي اعتمده في حديثه عن الشخصيات . غير أن هذا المقياس يكتسب في مجال الأسلوب معنى إضافياً هو معنى «الاعتدال» و«التناسب مع الجنس الشعري» . فقد رأى صاحب «فن الشعر» أن تجاوز الحد الضروري في استخدام المجموعات الكلامية يؤدي إلى تغيير كامل الانطباع الذي يخلفه النص في نفس المستمع . لذا فهو يحدد صنوف الوحدات الكلامية التي يرى أنها أكثر ملاءمة لهذا اللون أو ذاك من ألوان الشعر .

لقد استند أرسطو في دراسته للأسلوب إلى تجربة الشعراء التراجيدين ودافع عنها . وعد لغة الشاعر تجميعاً وانتقاء للمجموعات الكلامية . وانطلاقاً من هذه النظرة أبرز المحاسن والمساوئ في أساليب عدد من الشعراء ، مبنياً ، في كل مرة ، الانطباع العام الذي يبعثه في نفس السامع أسلوب الشاعر ومعجم الكلمات التي يستخدمها ، مشترطاً للحكم بجودة الأسلوب تحقق أمرين فيه هما :

أولاً: أن يكون الكلام مفهوماً وغير مبتذل .

ثانياً: أن يستخدم في محله .

### الوحدة العضوية

إن مطالب أرسطو تجاه «الأسلوب» و«الحبكة القصصية (الأسطورة)» في الفن التراجيدي ، تقوم على أساس امتلاك التراجيديا لمتعة محددة خاصة بها . وانطلاقاً من هذا القانون الداخلي الخاص بالفن التراجيدي ، عبّر صاحب «فن الشعر» عن مخالفته للتقوييات النقدية للأدوات الأدبية التي كانت رائجة في عصره ، فناقش مسألة «الحل» في التراجيديا ، مدافعاً عن أويريبيديس ومهاجماً النقاد الذين يفضلون التراجيديات ذوات النهايات السعيدة ، ويعيبون عليه نهايات مسرحياته الفاجعة . كما أنه ناقش انطلاقاً من القانون نفسه ، الكلمات غير المألوفة ، فبين وظيفتها الجمالية وأكد شرعية استخدامها لأنها في رأيه ، وسيلة ممتازة لخلق الانطباع بالوضوح والعظمة .

سبق أن ذكرنا أن أرسطو فصل الجانب الأخلاقي في العمل الفني ، أي قدرته على تربية الإنسان ، عن صيغته ، أي تلك الأدوات التي يستخدمها الشاعر ليعطي عمله القدرة على التعبير الجمالي . وقد جعله هذا الفصل بين الأخلاق والتقنية أول منظر فن لا ينظر إلى التقنية الشعرية بوصفها جمعاً انتقائياً للأدوات ، بل بوصفها نظاماً يحدد كل جزء منه وجود الأجزاء الأخرى ووظائفها .

إن أفلاطون والبلاغيين كانوا يعرفون جيداً ، قبل أرسطو ، أن الكاتب كالحرفي يصوغ مادته الخام مستخدماً أدواته الأسلوبية بطريقة معينة . وقد تحدث أفلاطون عن الشعر بوصفه محاكاة للحياة ، ودرس البلاغيون أصوات النص دراسة دقيقة ، واتبعوا في وصفهم للسلوك الإنساني طريقة تصوير تستند إلى مبدأي الاحتمال والملاءمة ، أما أرسطو فقام بالجمع بين نظرية أفلاطون في المحاكاة وفي مادة الشعر ووسائله ، وبين نظرية البلاغيين وطريقتهم القائمة على أساس تصوير الأحداث «المحتملة» و«المناسبة» فبنى بذلك أول نظرية للفن الشعري واصفاً تقنية الفن «المحاكي» بأنها معالجة للأسطورة التقليدية يتم فيها انتقاء الأدوات الأسلوبية بعناية صارمة ، ويجري تسخيرها كلها لغاية واحدة هي إثارة العواطف وخلق انطباع بالوضوح والوحدة العضوية .

## عالم الفكر

وهكذا نظر أرسطو إلى العمل الفني بوصفه بنية يتم تقويم العناصر الداخلة فيها بحسب الدور الذي تؤديه في بناء العمل كله . وهذا ما جعله يختلف عن معاصريه من «منتقدي» الشعر التراجيدي ، فيرى جزءاً ضرورياً من الكل ما كان يراه أولئك النقاد تفاصيل قديمة وغير ملائمة للأذواق الجديدة (كالنهايات التعيسة في تراجيديات أوريبيديس وكثرة الكلمات المعقدة في الشعر التراجيدي).

لقد أعاد أرسطو إلى الشعر مكانته حين دعا إلى تطبيق مبدأي «مماثلة الواقع» و«ملاءمة المقام» عليه . وأكدت نظريته في فن الشعر قيمة الشعر الكلاسيكي ، فكان مثلها الأعلى في الكتابة الشعرية مسرحيات سوفوكليس ووايرويبيديس وأشعار هوميروس التي كان لها الدور الأكبر في تكوين الذوق الأدبي عند اليونانيين .

### في الشعر الملحمي

عالج صاحب فن الشعر « الشعر الملحمي بوصفه فناً » يقوم على المحاكاة فاستخدم لدراسته مخططة البنائي في دراسة التراجيديا ، فتوجه التوجه عينه نحو الشعر الكلاسيكي الذي يعرفه الناس جميعاً ، ومنح تجربة هوميروس تقديراً يضاهي تقديره لمهارة الشعراء التراجيديين ، إذ رأى في شعره التزاماً رائعاً بما يجب أن يتصف به العمل الفني من قدرة على تحقيق الوحدة العضوية ، ومهارة في استخدام الأدوات الأسلوبية لبلوغ شدة التأثير المطلوبة في إطار مقبول من الشرطية .

### الوحدة العضوية في الملحمة

إن النموذج الذي استخدمه أرسطو في دراسته للشعر الملحمي هو ملحمتا هوميروس «الإلياذة» و«الأوديسة» ، حيث عالج من خلالها الكيفية التي يجب أن يتم بها صوغ الحكاية «الأسطورة» ، كي يستوعبها المستمع على أفضل وجه فتخلق عنده انطباعاً بالوضوح ووحدة الرؤية . وقد رفض صاحب «فن الشعر» في دراسته زعم بعضهم أن الحكاية الملحمية تتحد بوجود بطل واحد تصور الملحمة حياته كلها ، وأجرى موازنة بين القصائد التي اتبعت هذا المبدأ فأصابها الترهل والتفكك ، وبين أشعار هوميروس التي اعتمدت «وحدة الحدث» فتركز اهتمام الشاعر فيها على حدث مختار واحد . فالحبكة القصصية لا تكون واحدة حين تدور حول (بطل) واحد ، كما يظن بعضهم ، إذ يمكن أن يواجه الفرد في الواقع كثرة لا متناهية من الأحداث ، بل يمكن أن يكون بعض هذه الأحداث متنافراً لا يمثل أية وحدة ، وكذلك بالضبط لا تتشكل الوحدة من الأفعال الكثيرة التي يقوم بها الفرد الواحد .

إن هوميروس الذي يمتاز (من بقية الشعراء) ينظر إلى هذه المسألة نظرة صحيحة ، إما بفضل فنه ، وإما بفضل موهبته الفطرية ، فهو حين أبدع «الأوديسة» لم يقدم كل ما حدث للبطل ، لم يصور - مثلاً - كيف كان البطل جريحاً على قمة بارناس أو كيف ادعى الجنون حين كانت الاستعدادات للحرب جارية ، إذ لا توجد أية ضرورة أو احتمال لوقوع أحد هذين الحدثين في حال وقوع الحدث الآخر ، لقد نظم «أوديسته» وكذلك «إلياذته» حول حدث واحد .



# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

«فالحق أن الشاعر يجب ألا يتكلم بنفسه ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، لأنه لو فعل غير هذا لما كان محاكياً . إن سائر الشعراء يزجون بأنفسهم في كل موضع ، ولا يحاكون إلا قليلاً ونادراً ، بينما هوميروس يبدأ باستهلال موجز ثم يعرض على الفور رجلاً أو امرأة أو أي شخص آخر يصور خلقه ، أعني أنه ليس ثمة شخص من أشخاصه لا يميزه بخلق خاص ، بل كل له خلق معين»<sup>(٢٢)</sup>.

لقد كان النقاد قبل صاحب «فن الشعر» يفسرون تأثير الشعر في نفس المتلقي على أنه «انجذاب» أو تهذيب للنفس ، غير أنه اكتشف جانباً آخر في ذلك التأثير هو عمل الفكر الذي يظهر في «عاطفة الاندهاش الذكية» وفي بناء الاستنتاج المنطقي . وقد انطلقا من ذلك تفسيراً للطريقة التي يستخدمها الشاعر معترفاً له بحق ممارسة العبث والوقوع في الخطأ المنطقي ، مؤكداً أنها يساعداً في إثارة الدهشة والمتعة . يقول أرسطو : «وينبغي أن نستعين في المآسي بالأمور العجيبة . أما في الملحمة فيمكن أن نذهب في هذا إلى حد الأمور غير المعقولة التي صدر عنها خصوصاً العجب ، لأننا في الملحمة لا نرى الأشخاص أمام عيوننا يتحركون ، فما يتصل بمطاردة هكتور مثلاً لو أنه عرض على المسرح لبدأ مضحكا » الجنود اليونانيون ، واقفون ولا يطاردون « وأخييل يكتفي بانغاض رأسه ، فكل هذا لا يلاحظ في الملحمة . والأمر العجيب يدعو إلى الإمتاع . وآية ذلك أن الناس جميعاً ، حينما يحكون حكاية ، يضيفون من عندهم ابتغاء الإمتاع»<sup>(٢٣)</sup>.

ليس «الكذب» الشعري ، في نظر أرسطو ، اختلاقاً ، بل هو محاكاة عقلية وهمية . وهو يرى أن القيام بالمحاكاة الوهمية سمة عادية من سمات العقل البشري . ويمتدح ، تأسيساً على ذلك ، هوميروس لقدرته على استخدام الخطأ المنطقي «كما يجب» يقول :

«هوميروس ، بخاصة ، هو الذي علم سائر الشعراء من الاحتمالات المتقنة الصنع ، أعني المغالطة فإذا كان وجود أو وقوع واقعة يستلزم ، نتيجة له ، وجود أو وقوع واقعة أخرى ، فإن الناس يجنون إلى اعتقاد أنه أينما وجد التالي وجد المقدم بالضرورة ، ولكن هذا باطل ، ولهذا فإنه إذا كان المقدم باطلاً ، ولكن كان هناك شيء آخر يجب أن يوجد أو يقع إذا كان صادقاً ، فيجب ضم الاثنين ، لأنه متى كان العقل يعلم أن هذا الشيء الآخر صادق ، فإنه يستنتج من هذا - خطأ - أن المقدم هو الآخر صادق»<sup>(٢٤)</sup>.

ويخالف أرسطو أفلاطون الذي سخر من المحاكيات العقلية الوهمية «المائلة للحقيقة» فيفضل هذا النمط من المحاكيات على نسخ الواقع نسخاً حرفياً ، ويعلن أن سلسلة الأحداث التي ترغم المرء على توهم وجود علاقة سببية لوجودها . أكثر صلاحاً للعمل الفني من تلك الأحداث التي تربطها علاقة سببية لا ترغم المرء على الاقتناع بوجودها ، ويدعونا صراحة إلى «أن نفضل المستحيل المحتمل على الممكن الذي لا يقبل التصديق»<sup>(٢٥)</sup>.

وبالحماسة نفسها والاحترام نفسه لعقل القارئ يعالج صاحب «فن الشعر» مسألة حق الشاعر في تصوير ما هو عبثي ولا يقبله العقل . إنه يفضل الامتناع عن فعل ذلك في الأعمال الفنية فيقول : «وينبغي ألا تتألف الموضوعات من أجزاء لامعقولة : بل بالعكس ، لا يمكن أن يكون فيها أمر لا معقول ، اللهم إلا إذا كان خارجاً عن المسرحية»<sup>(٢٦)</sup> ، ولكن سرعان ما يصبح حكمه فيقر بإمكانية استخدام الشاعر للعبث مشيراً إلى الكيفية التي يجب أن يتم بها استخدامه في النص ، فيقول : «لا يمكن أن يكون فيها أمر لا معقول . اللهم إلا إذا كان خارجاً عن المسرحية ، مثل أوديبوس الذي لا يدري كيف مات لايوس ، ولكن هذا غير مقبول في

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.



## عالم الفكر

- (٢٧) أرسطوطاليس - «فن الشعر» تر. د. عبد الرحمن بدوي (ص ٧٠-٧١).  
وقد جاء المقبوس في ترجمة د. شكري محمد عياد لكتاب أرسطوطاليس في الشعر في (ص ١٤٠) على النحو التالي: «القصة يجب أن تخلو من كل ما هو غير معقول، إلا أن يكون ذلك خارج القصة، كما جهل أوديبوس كيف مات لايس. ومن المضحك أن يقال إنه لولا ذلك لتداعت القصة، فمثل هذه القصة ما كانت ينبغي أن تؤولف أصلاً. أما إذا جيء بها وبدت معقولة فينبغي أن تقبل على الرغم من سخافتها. فإن القطع غير المعقولة في الأوديسية - تلك التي تدور حول طرح أوديبوس على شاطئ إيثاكا - ما كانت لتحتل لو تناوفا شاعر آخر، أما الآن فإن الشاعر يجب سخافتها بما يضيفه عليها من ضروب الاجادة».
- (٢٨) أرسطوطاليس - «فن الشعر» تر. د. عبد الرحمن بدوي (ص ٧٢).  
وقد ورد النص المقبوس في ترجمة د. شكري محمد عياد لكتاب أرسطوطاليس في الشعر في (ص ١٤٢) على النحو التالي: «والخطأ الشعري نوعان: خطأ يتبع الشعر نفسه، وخطأ يتبع أعراضه. فإذا أراد الشاعر محاكاة المستحيل لعجزه وضعف شاعريته، فالخطأ راجع إلى الشعر، أما إذا أخطأ لسوء اختياره فرسم جواداً يمد أماميته معاً، أو أخطأ في أمر من أمور صناعة بعينها كالطب وغيره، فليس هذا الخطأ راجعاً إلى صناعة الشعر نفسها».
- (٢٩) أرسطوطاليس فن الشعر، تر. د. عبد الرحمن بدوي (ص ٧٢).  
وقد جاء النص في ترجمة د. شكري محمد عياد لكتاب أرسطوطاليس في الشعر في (ص ١٤٢) على النحو التالي: «إذا كان الشاعر يصور المستحيل فهو خاطيء، ولكن الخطأ يمكن أن يعتذر عنه إذا بلغت به الغاية. . إذا زاد روعة هذا الجزء أو أي جزء آخر من القصيدة».
- (٣٠) أرسطوطاليس فن الشعر، تر. د. عبد الرحمن بدوي (ص ٧٣).  
وقد جاء النص في ترجمة د. شكري محمد عياد لكتاب أرسطوطاليس في الشعر في (ص ١٤٢-١٤٤) على النحو التالي: «... نسأل: هل يرجع الخطأ إلى الصناعة الشعرية نفسها أم إلى عرض من أعراضها؟ فلأن يجهل الشاعر أن الظبية ليس لها قرنان أهون من أن يصورها تصويراً غير محاك. وإذا اعترض بأن التصوير غير مطابق للحقيقة فقد يمكن أن يجاب بأن الشاعر إنما مثل الأشياء، كما ينبغي أن تكون، كما كان سوفوكليس يقول أنه يصور الناس كما ينبغي أن يكونوا، على حين أن أوريبيديس يصورهم كما هم».
- (٣١) أرسطوطاليس، فن الشعر، تر. د. عبد الرحمن بدوي (ص ٧٣-٧٤).  
وقد ورد النص في ترجمة د. شكري محمد عياد لكتاب أرسطوطاليس في الشعر في (ص ١٤٤) على النحو التالي: «أما البحث في جمال العبارة أو عدم جمالها فينبغي ألا يقصر على النظر فيما عمل أو قبل أشريف هو أم خسيس، بل يجب أن ينتظر أيضاً في القائل أو الفاعل، ومن قيل أو فعل له، ومتى، ولم، كأن يبحث مثلاً: أكان هذا القول أو الفعل لكسب منفعة أكبر أو لدفع مضرة أكبر؟».
- (٣٢) أرسطوطاليس فن الشعر، تر. د. عبد الرحمن بدوي (ص ٧٤).  
وقد جاء النص في ترجمة د. شكري محمد عياد لكتاب أرسطوطاليس في الشعر في (ص ١٤٤-١٤٦) على النحو التالي: «ومن النقد - ما يرد بالنظر في العبارة، فلعل الشاعر لا يستعمل... بمعنى «البغال» بل بمعنى «الحراس»، وكذلك ما قيل في دولون: «حقاً لقد كان قبيح المنظر»، فليس المعنى أن جسمه كان متنافراً بل أن وجهه كان قبيحاً. فإن أهل كريت يعبرون بكلمة (حسن المنظر) عن جمال الوجه. وفي هذه العبارة (امزج الشراب أقوى) لم يعن الشاعر الإكثار من الخمر والإقلال من الماء، دأب السكيرين، بل عني الإسراع. ولعل الشاعر أراد أن يستعير، كما في قوله: «ونامت الآلهة والناس كلهم الليل بطوله»، مع أنه يقول في الوقت نفسه: «ولقد يدبر بصره إلى سهل طروادة فيروعه صوت النايات والصفارات»، فكلمة «كل» مستعملة هنا بمعنى «كثير» لأن الكل نوع للكثير. وكذلك قوله: «هي وحدها المحرومة»، فكلمة «وحدها» استعارة، لأن الأشهر يعد أوحده».
- (٣٣) أرسطوطاليس، فن الشعر، تر. د. عبد الرحمن بدوي (ص ٨١-٨٠).  
وقد جاء المقبوس في ترجمة د. شكري محمد عياد لكتاب أرسطوطاليس في الشعر في (ص ١٥٦) على النحو التالي: «إن في التراجيديا كل عناصر الملحمة (حتى ليصح أن تستعمل وزن الملحمة) وتزيد عليها بجزأين غير هينين، وهما الموسيقى والمناظر، اللذان يحدان لذة عظيمة. ثم إن لها من البهاء حين تقرأ مثل ما لها حين تمثل. ثم إنها تصل إلى الغاية من المحاكاة في حيز أصغر، وما كان أشد تركيزاً فهو ألد بما ينتشر في زمان كبير فتضعف قوته. وأعني بذلك أن يتناول تراجيدية «أوديبوس» لسوفوكليس مثلاً فيضعها في مثل حجم الالبادة. فإذا كانت التراجيديا تفضل الملحمة من جميع هذه الوجوه وتزيد أنها تحدث الفعل الخاص بصناعتها (فإنه ينبغي أن تحدث أي لذة كانت، بل تلك التي أشرنا إليها) فبين أنها أفضل لأنها أقدر على بلوغ الغاية من الملحمة».

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

- الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٨٢ .  
 (١٩) فرنز، شارل، الفلسفة اليونانية، ترجمة تيسير شيخ الأرض، بيروت، ١٩٦٨ .  
 (٢٠) القلماوي، سهر، فن الأدب (١) المحاكاة، دار الثقافة، القاهرة ١٩٧٣ .  
 (٢١) كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، القاهرة، ١٩٥٣ .  
 (٢٢) لويس، جون، المدخل إلى الفلسفة، ترجمة أنور عبد الملك، بيروت ١٩٧٨ .  
 (٢٣) المرعي، فؤاد، مبادئ النقد ونظرية الأدب، منشورات جامعة حلب، حلب، ١٩٨٩ .  
 (٢٤) المرعي، فؤاد، المدخل إلى الأدب الأوروبية، منشورات جامعة حلب، حلب، ١٩٧٨ .  
 (٢٥) وافي، عبد الواحد، الأدب اليوناني القديم، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٠ .  
 (٢٦) ووتر، إنجرام باي، كتاب أرسطو «فن الشعر» ترجمة وتعليق إبراهيم حمادة، مكتبة الانجلو- المصرية، القاهرة، ١٩٨٩ .  
 (٢٧) ويمزات، ويليام ك. وبروكس، كلينث «النقد الأدبي»- تاريخ موجز المجلد الأول، ترجمة حسام الخطيب وبهي الدين صبحي، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٧٣ .

### ثانياً: المراجع الروسية

- (١) آسموس ف. ف.، الفن والواقع في علم جمال أرسطو في كتاب «من تاريخ الفكر الجمالي في العصر القديم والعصور الوسطى، موسكو، ١٩٦١ (الصفحات ٦٣-١٣٨) .  
 (٢) - انيكست (آ. آ.)، نظرية الدراما من أرسطو إلى ليسيغ، موسكو، ١٩٦٧ .  
 (٣) تاريخ الأدب الإغريقي في جزأين بإشراف سوبوليفسكي وآخرين، دار نشر أكاديمية العلوم السوفيتية، موسكو ١٩٤٦-١٩٥٥ .  
 (٤) - ترونسكي إي. م.، تاريخ الأدب القديم، الطبعة الثالثة منقحة، دار نشر الكتب الجامعية في وزارة التعليم السوفيتية « لينينغراد، ١٩٥٧ .  
 (٥) دافيدوف، الفن كظاهرة اجتماعية، في وصف آراء أفلاطون وأرسطو الجمالية والسياسية، موسكو، ١٩٦٨ .  
 (٦) رادتسيفس، تاريخ الأدب اليوناني القديم، الطبعة الأولى، موسكو ١٩٤٠ .  
 (٧) طه عودي آ. آ.، التصورات الكلاسيكية والهيلينية عن الجمال في الفن والواقع، في كتاب «علم الجمال والفن»، موسكو ١٩٦٦ (الصفحات ١٥-٥٣) .  
 (٨) لوسيف آ.، تاريخ علم الجمال القديم، أرسطو والكلاسيكية المتأخرة، المجلد الرابع، موسكو، ١٩٧٥ .  
 (٩) لوسيف آ. ف. تاريخ علم الجمال القديم، السفسطائيون، سقراط، أفلاطون، المجلد الثاني، موسكو، ١٩٦٩ .  
 (١٠) لوسيف آ. ف. تاريخ علم الجمال القديم، الكلاسيكية الراقية، المجلد الثالث، موسكو ١٩٧٤ .  
 (١١) لوسيف آ. ف. تاريخ علم الجمال القديم، الكلاسيكية المبكرة، المجلد الأول، موسكو، ١٩٦٣ .  
 (١٢) لوسيف آ. ف. تاريخ علم الجمال القديم، الهيلينية المبكرة، المجلد الخامس، موسكو ١٩٧٩ .  
 (١٣) لوسيف آ. ف. تاريخ علم الجمال القديم، الهيلينية المتأخرة، المجلد السادس، موسكو، ١٩٨٠ .

### ثالثاً: المراجع الإنجليزية

1. Atkins, J.W.H., Literary Criticism in Antiquity. Vo I, Greek, Gloucester, Mass: Peter Smith, 1961.
2. Butcher S.H. Aristotle's theory of Poetry and fine arts, New York, 1955.
3. Butcher, S.H., some aspects of the Greek genius Washington, 1969.
4. Cornford, F.M. The Origin of Attic Comedy, London, 1974.
5. Harsh Philip W.A. Handbook of Classical Drama, Stanford University Press, 1963.
6. Lodge R. S. Plato's Theory of Art. London, 1953.
7. Snell, Bruno, Poetry and Society, The Role of Poetry in Ancient Greece, Bloonington, 1961.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# القومية في شعر الأخطل الصغير

د. سعاد عبد الوهاب العبد الرحمن\*

أولاً : الشاعر والقومية

١ - مقدمة

تتدخل عدة أسباب دفعتني إلى اختيار «القومية» من بين قضايا فنية مختلفة، يمكن أن يشير لها شعر الشاعر بشارة عبدالله الخوري المعروف بالأخطل الصغير<sup>(١)</sup>، في مقدمتها الاهتمام بالموضوع القومي في ذاته، وهو موضوع لم يعد يلفت اهتمام الباحثين والدارسين، وقد كان في منتصف هذا القرن العشرين الموضوع الأساس الذي تدور حوله الدراسات، وتعتقد تحت لوائه مؤتمرات الأدب وندواته، وتصدر عنه الأعداد الخاصة للدوريات الأدبية، اكتفى - في هذه المقدمة الموجزة - بالإشارة إلى مرجع واحد، لعله يمثل الموجة الأخيرة في هذا النطاق، حيث تراجع الأدب القومي تبعاً لانحسار الشعور القومي في أعقاب هزيمة ١٩٦٧ ورحيل جمال عبدالناصر عام ١٩٧٠، والمرجع هو «بحوث ودراسات في العروبة وآدابها» للأستاذ محمد خلف الله أحمد - مدير معهد البحوث والدراسات العربية، بالقاهرة، صدر عام ١٩٧٠، وبصدد بحث العلاقة بين العروبة والأدب تم الربط بين «فلسفة الفن وفلسفة الحياة» - وكما يقول المؤلف :

\* أستاذ بكلية الآداب - قسم اللغة العربية - جامعة الكويت.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.



# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

### أولاً: عن الأقطار العربية

#### أ- عن الشام نجد هذه القصائد:

- |       |                     |
|-------|---------------------|
| ص ٣٨  | ١- سيوف وجراح       |
| ص ٦٤  | ٢- ضفاف بردى        |
| ص ٩٤  | ٣- خيال من دمر      |
| ص ١٢٠ | ٤- المتنبي والشهباء |
| ص ١٤٠ | ٥- الحاملون الشمس   |
| ص ٢٣٣ | ٦- الشام منبتهم     |
| ص ٣٠٦ | ٧- طبع الصاعقات     |

#### ب- وعن مصر كتب هذه القصائد:

- |       |                |
|-------|----------------|
| ص ٦١  | ١- مرجبا مصر   |
| ص ١٥٥ | ٢- بردى والنيل |
| ص ٢٤٣ | ٣- النيل       |

#### ج- وله عن فلسطين قصيدتان:

- |       |                |
|-------|----------------|
| ص ١٨٠ | ١- سائل العليا |
| ص ٢٩٩ | ٢- صدى القبلات |

#### د- وعن العراق قصيدة:

- |       |                 |
|-------|-----------------|
| ص ٣٣٣ | ١- طائر من دجلة |
|-------|-----------------|

#### ثانياً: رثاء شخصيات عربية:

- |       |                                   |
|-------|-----------------------------------|
| ص ١٠٥ | ١- رثاء الشاعر أحمد شوقي          |
| ص ٦٢  | ٢- رثاء الشاعر الزهاوي            |
| ص ٢١٢ | ٣- رثاء شاعر النيل (حافظ إبراهيم) |
| ص ٢٢٥ | ٤- رثاء سعد زغلول                 |
| ص ٢٣٧ | ٥- رثاء الملك فيصل                |
| ص ٣١٢ | ٦- رثاء زعيم سوري                 |
| ص ٣٢٥ | ٧- رثاء شاعر عراقي مات منفياً     |

#### ثالثاً: من التاريخ (العاطفي):

- |       |                |
|-------|----------------|
| ص ١٤٦ | ١- عمر ونعم    |
| ص ٢٤٩ | ٢- حلم عربي    |
| ص ٢٨٧ | ٣- عروة وعفراء |

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

تَتَجَبَّرُ الْأَنْفُسُ فِي جَنَبَاتِهِ مِنْ صَدْرِ صَادِحِهِ وَشِعْرِ زِيَادِ  
وزياد المقصود هو زياد بن معاوية المعروف بالناطقة الذبياني ، وفي هذا المقام يفضل على حسان الذي تغنى  
بمكارم الغساسنة ، لأن الإسلام اجتذب شهرة حسان فتواترت قوافيه في آل جفنة في الظل :

حَسَّانُ لَمْ يَنْقُلْ سِوَى صَلَوَاتِهِ السَّمْحَاءِ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ الْهَادِي  
لهذا ، وبفعل التداخي يمجّد آل جفنة (الغساسنة) :

الْحَامِلِينَ الشَّمْسَ فَوْقَ وَجُوهِهِمْ وَالْحَامِلِينَ الشُّهُوبَ فِي الْأَعْمَادِ  
فِي مَفْرَقِ الْأَيْامِ حُمُرٌ وَقَنَائِعِ مِنْهُمْ ، وَفِي الْأَعْنَاقِ يَبْضُ أَبَادِ  
يَسْقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ طَرَبَ النَّفُوسِ وَرَوْنَقَ الْأَجْسَادِ  
رفعوا الشام على الصفائح والندى وَبَنَوْا مِنَ الصُّلْبَانِ بَيْتَ الضَّادِ (٣٨)

وهنا في البيت الأخير يتصالح في فكر الشاعر المجد العربي ودينه المسيحي ، فالإنسان العربي ولغة الضاد  
هي الأساس ، أما الدين فلله ، ولهذا - كما أشار باحثون - لا تظهر في شعر بشارة الخوري ملامح عصبية  
مسيحية . وفي قصيدة «الشام منبتهم» يتكرر النغم بالإشادة بالعروبة ، ونجدة سورية وجهادها في حقب  
التاريخ ، ويختتم بالإشارة إلى فاتحي الشام البطليين : خالد بن الوليد ، الذي بدأ ، وأبي عبيدة بن الجراح ، الذي  
أكمل الفتح :

نَسَلْتَهُمْ أَمْضَى السِّيُوفِ فَهَلُو لَابْنِ الْوَلِيدِ وَتَلَكِ لِلْجَرَّاحِ  
وَطَنَ أَعَارِ الْخُلْدِ بَعْضَ فَتُونِهِ وَسَقَى الْمَكَارِمَ فَضْلَةَ الْأَقْدَاحِ  
والشمس فوق سهوله ونجوده عَرَبِيَّةُ الْإِمْسَاءِ وَالْإِصْبَاحِ (٣٩)

أما حين تكون مصر هي الموضوع ، فكما يدل الإحصاء على أن عدد القصائد أقل ، وربما تأجج العاطفة  
أقل كذلك . ولكن مجال القول أكثر اتساعا ، والإشارات التاريخية والحضارية أكثر تنوعا . إن القرابة مع مصر  
حضارية ، أكثر منها انتهاء لأصل عربي :

نَحْنُ قُرَّعَانِ  
أَلَفَ الشَّرْقُ قَلْبَيْنَا  
وَالْحَضَارَةُ أَصْلُ

...  
مَعْجَزَاتُ الزَّمَانِ مِنْكُمْ  
وَمِنَّا ،  
زَيْنُ جَيْدِ الْوُجُودِ  
وَالدَّهْرُ طِفْلُ ،  
...

هَرَمٌ تَحِثُّمُ الْعِظَائِمُ فِيهِ  
وَسَفِينٌ  
عَلَى الْبَحَارِ يُدِلُّ<sup>(٤٠)</sup>

...

إنه هنا لا يشير إلى الأصل الواحد، بل على العكس، فهنا تحديد لفرعين، وتفرق بين «منكم» و«لنا» ومضمون الإشارة يضرب في الزمان لما هو أبعد من الإسلام وقيام الدولة العربية، فقد كان الفراعنة معاصرين لحضارة فينيقيا، وقد اشتهر الفينيقيون بصناعة السفن وانتشروا بها في أركان العالم القديم، ولهذا جعل الهرم في مقابل تلك السفن علامة على المؤاخاة الحضارية بين مصر الفرعونية، وفينيقيا. سنشير في قصيدة «النيل» إلى «آمون» معبود قدماء المصريين لقرون طوال:

حَسَدْتُكَ الْأَنْهَارُ

حِينَ آتَاهَا

أَنْ آمُون

مَنْ هَوَاكَ وَطِينِكَ<sup>(٤١)</sup>

ولكن هذه الإشارات العابرة لا تدل على تمكن التاريخ القديم، كما تدل على عدم التعلق بهذا التاريخ القديم، بعبارة أخرى: إن الانتهاء العربي قوي جدا، وفي حال من التوحد والصفاء عند هذا الشاعر. وفي القليل الذي كتبه عن مصر يمجّد عروبته، ويربطها إلى زمن المجد العربي الذي يروقه أن يتغنّى به، زمن الفتح الإسلامي، ثم الدولة الأموية:

بَرَدَى شَقِيقُ النَّيْلِ مُنْذُ أُمِّيَّةٍ      جُمِعَا عَلَى الْأَفْرَاحِ وَالْأَنْجَاحِ  
نَسَبٌ كَخَدِ الْوَرْدِ فِي شَفَةِ الضُّحَى      يَخْتَالُ بَيْنَ الْعَاصِ وَالْجَرَّاحِ

إن الإشادة القومية بمصر المعاصرة تأتي في سياق قصائد الرثاء، فكأنما أراد بشارة الخوري أن يسكت عن ماضي مصر (الفرعوني) وعن دورها في العصور الوسطى (الولاية التابعة، أو الخلافة المهيمنة المنشقة في عصر الفاطميين مثلا) إلى دورها الحديث الذي تتجلى فيه قيمتها القومية العربية. فهذا هو مخاطب مصر في ختام رثائه لشوقي:

يَا مِصْرُ مَا انْفَتَحَتْ عَيْنٌ عَلَى حَسَنِ      إِلَّا وَأُطْلَعْتَ أَلْفًا مِنْ نَقَائِرِهِ  
وَلَا تَقْتَفِثِ الْأَفْكَارُ عَنْ أَدَبٍ      لَا وَأُتْبِثَ رَوْضًا مِنْ بَوَائِكِهِ

أما سعد زغلول فهو أب للعرب جميعا:

لَمْ لَا تَقُولُونَ إِنَّ الْعُرْبَ قَاطِبَةٌ      تَبَيَّنُوا، كَانَ زَغْلُولٌ أَبَاهُمْ

ومصر هي مدخل الاستقرار والاضطراب في الوطن العربي:

## عالم الفكر

مِصْرٌ، وَلَيْسَ سِوَى مِصْرَ هُمْ أَرْبُ      إِنَّ تَشَقَّ يَشَقُّوا، وَإِنْ تَنْعَمَ فَقَدْ نِعِمُوا  
ومصر القادرة على تعويض خسارة العرب بموت زغلول :

تَارِيخُ مِصْرَ وَلَوْ، مَا انْتَمَى شَمُّ      إِلَّا إِلَيْهِ، وَحَابَى نَفْسُهُ الشَّمُّ  
أُمُّ الْحَضَارَةِ بِلَ جَلَى أَشْعَتْهَا      يَوْمَ الْحَضَارَةِ لَمْ تَعْلَقْ بِهَا رَحِمُ

وتبلغ حماسة الشاعر لمصر ذروتها حين يكشف عن عمق الرابطة التاريخية (العربية) بين مصر ولبنان، وفي هذا يختلف عن إشارته السابقة للعلاقة بين الهرم والسفين، إنها - هذه المرة - ركنان للضاد :

مَنْ مُبْلَغُ مِصْرَ عَنَّا مَا نَكَابِدُهُ      إِنَّ الْعُرُوبَةَ فِيهَا بَيْنَنَا ذِمَمُ  
رُكْنَانِ لِلضَّادِ لَمْ تُفْصَمْ عُرَى لَهَا      هُمْ نَحْنُ إِنْ رُزِقَتْ يَوْمًا وَنَحْنُ هُمْ

أما قصيدته عن فلسطين فإنها أبدعتا في ظل ظروف حرجة، فقد ظهرت النيات المبيتة من دولة الانتداب ودول الغرب عامة في إحلال المهاجرين اليهود في فلسطين، وتمكينهم من السيطرة، كما ظهر الخذلان والعجز العربي في التصدي للخطة السرية/ المعلنة. وقد قال قصيدته الأولى «وردة من دمنا» عندما هبت الثورة في فلسطين، وأعلن أبناء البلاد الإضراب عام ١٩٣٥، وتساقط الشهداء الأبطال، ولهذا كان الصدى في القصيدة مزيجاً من الكبرياء والتغني بالماضي ودعوة إلى اجتماع كلمة المسلمين والمسيحيين في الدفاع عن فلسطين، فالمجد واحد والهوى واحد :

ضَبَّجَتِ الصَّخْرَاءُ تَشْكُو عُرْيَا      فَكَسَوْنَاهَا زَيْبًا وَدُخَانَا  
مُذْ سَقَيْنَاهَا الْعُلَا مِنْ دَمْنَا      أَيَقْنَتْ أَنْ مَقْدًا قَدْ نَهَانَا

...

يَنْزِرُ الْقُدْسُ مِنْذُ اخْتَلَمَا      كَعَبَّانَا، وَهَوَى الْعُرْبِ هَوَانَا

...

إِنَّمَا الْحَقُّ الَّذِي مَاتُوا لَهُ      حَقُّنَا، نَمْشِي إِلَيْهِ أَيْنَ كَانَا (٤٢)

...

أما القصيدة الأخرى «صدى القبلات» فإنها لابد سابقة على الإضرابات والثورات الفلسطينية كلها، بل سابقة على الشعور بأن ثمة مشكلة يتم تدبيرها لفلسطين، لأن الشاعر يشير إلى ذكريات الزمن على أرضها، وأنها حلم الأنبياء، ويرمز لشوقه للخمر برمز ديني مسيحي :

أَلَا قَطْرَةٌ، عُرْسُ قَانَا الْجَلِيلِ . . .      وَلَوْ بَيْنَ جِدْرَانِكَ الدَّائِرَةِ  
تَرُدُّ إِلَى الشُّعْرِ وَخَيِّ السَّمَاءِ      فَتَلْهَمُهُ الْأَنْفَسُ الْكَافِرَةِ (٤٣)

### ٢- رثاء شخصيات عربية

وقد اقتصررت قصائد الرثاء على أشخاص الشعراء، لرابطة الفن، وأشخاص الزعماء من ذوي الأثر العام في النهضة العربية، وقد فاز الشعراء بأهم المراثي، أو فاز شوقي - أمير الشعراء - بأحسن مراثيه



## عالم الفكر

للشعراء، كما فاز سعد زعلولو بمرثية أخرى تستحق التنويه، وتوازيها - وإن اختلف النهج - مرثيته في الملك فيصل الأول.

إن أقدم تعريف لقصيدة الرثاء في النقد العربي وضعه قدامة بن جعفر، إذ أقام أساسها على إظهار التفجع والحزن، وحدد وجهتها بأنها مدح الميت، ومن ثم رأى أنه ليس بين المدحة والمرثية من فرق إلا أن المرثية تتضمن مايدل على أنها قيلت في شخص توفي، وقد عرضنا لهذا التحديد أو (الوصف المعيارى) في مكان آخر،<sup>(٤٤)</sup> ونرى أنه تبسيط مسرف، وإذا تأملنا مرثي بشارة الخوري (وسنأخذ مرثيته لشوقي نموذجاً) سنجد أنه يحاول أن يقارب فن شوقي الشعري في هذه القصيدة، وكأن شوقي «هو الذي يكتبها، أو كأنها تمجيد لطريقة شوقي وأسلوبه في نفس الوقت.

وتتميز قصائد الرثاء عند الأخطل الصغير بالطول، وهو الشاعر الذي وصف عامة شعره بأنه مقطوعات (المقطوعة دون السبعة أبيات) أو قصائد قصار، وأطول مرثيه قالها في الزهاوي (٥٨ بيتاً) وأقصرها قالها في شاعر النيل حافظ إبراهيم (٢٥ بيتاً) ورثاؤه لشوقي يأتي ثالثاً من حيث الطول (٥٠ بيتاً)<sup>(٤٥)</sup>. ومرثيته في شوقي، ومطلعها:

قِفْ رُبِّي الخُلْدِ وَاهْتِفْ بِاسْمِ شَاعِرِهِ      فَيَسْذَرُهُ الْمُتَهَيِّ أَدْنَى مَنَابِرِهِ

من بحر «البيسيط»: «مستفعِلن فاعلن مستفعِلن فاعلن مستفعِلن فاعلن مستفعِلن فاعلن» وهذا البحر يوصف - مع الطويل - بأنه أطول بحور الشعر العربي وأعظمها أهبة وجلالة، ويقول عنهما عبدالله الطيب: «واليهما يعمد أصحاب الرصانة، وفيهما يفتضح أهل الركافة والهجنة»<sup>(٤٦)</sup> وهذا يعني أن الوزن الممتد، الذي وصف بأنه الأطول، يناسب غرض الرثاء بما يجب له من الأناة وامتداد النفس، بما يوازي أو يحسد امتداد الحزن والأسى.

على أن عبدالله الطيب في توضيحه لقافية الهاء المتحركة، بالكسر كما في هذه القصيدة، يرى - من حيث المبدأ - أن هاء الغائب لا تناسبها الكسرة، إذ بينهما تنافر. ولهذا الكسرة - فيما يراه - خاصية أخرى، إذ تشعر بالرقّة واللين، «ومن تأمل الشعر العربي وجد أرق قصائده مكسورات الروى في الغالب، وأفخمها مضمومات في الغالب، ووجد شعراء الرقة يميلون إلى استعمال الكسر، وشعراء الفخامة يميلون إلى الضم».<sup>(٤٧)</sup>

وإذا كان بحر البيسيط ملائماً للرثاء، وأن الهاء المكسورة تشعر بالرقّة واللين، فإن هذا ما يصلح وصفاً لشعر الأخطل الصغير في مجموعه، فهو ليس شاعر فخامة أو قعقة، هو شاعر الهوى والشباب كما أحب أن يطلق على نفسه أو ارتضى ما أطلق نقاد الشعر عليه، والشاعر الحق لا يغيّر جلده مع كل غرض أو كل قصيدة، وقصارى ما يستطيعه أن يتمكن من الملاءمة بين طبعه المستقر، وطريقته الراسخة، وبين الغرض الشعري. وشخصية المرثي (وهو شاعر بل كبير شعراء العربية في زمانه) معروفة بالدائمة والرقّة وتآليف المحبين والمريدين، فهو بعيد بشخصه عن الجلبة والمبالغة. وإذا تصفحنا «الشوقيات» سنجد خمس قصائد قافيتها هاء مكسورة:

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

توسع في استجلاب الكلمات المقدسة مثل سدرة المنتهى ، والركن ، وما إليها ، وحتى في الغزل يدفع بتلك العبارات الجاهزة «الكليشية» مثل قوله في إحدى غزلياته :

نم ، إنَّ قَلْبِي مَهْدِكْ كَلِمَا      ذُكِرَ الْهَوَى صَلَّى عَلَيْكَ وَسَلَّمَا<sup>(٥١)</sup>

وتحت عنوان «الجدول الوديع» وهي عن الشعر حارس الضاد<sup>(٥٢)</sup> ، يسلم هذه الحراسة اللغوية إلى القرآن الكريم ، فإذا كان الشعر قديماً حارس اللغة ، فإن القرآن تولى هذه الحراسة فيما بعد :

حَلَّ فِي ذُرْوَةِ الْعُرْبَةِ حَتَّى      خَضَّتْهُ الْآيَاتُ مِنْ قُرْآنِهِ

ومن قبل وصف جهد حسان بن ثابت في الشعر:

حَسَّانُ لَمْ يَنْقُلْ سِوَى صَلَوَاتِهِ      السَّحَاءِ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ الْهَادِي<sup>(٥٣)</sup>

وإذا كانت الملاعب حزينة لفقد أمير الشعراء أحمد شوقي ، فإن المآذن كانت كاسفة :

وَلِلْمَآذِنِ فِي الْفِيحَاءِ كَاسِفَةٌ      كَخَاشِعِ السُّرَى فِي دَاجِي مَقَابِرِهِ

وهنا إشارة ذكية لبقة من الشاعر ، فالملاعب المقفرة في لبنان ، أما المآذن الكاسفة ففي الفيحاء ، وهي دمشق !!

وفي مصرع الملك فيصل الأول ، ملك العراق ، يستدعي مشاهد التاريخ الإسلامي ، ومن النسب الهاشمي ما يعمق الشعور بقيمة الفقيده :

أَسْتَدُوا «الْبَيْتَ» بِالْصُدُورِ ، فَقَدْ مَادَ      وَخَانَتْ جُدْرَانُهُنَّ الدَّعَائِمُ

وَأَمْنَعُوا «الْقَبْرَ» أَنْ يَلْمَ بِهِ النَّاعِي      فَيَنْعِي إِلَى «الرَّسُولِ» الْقَاسِمِ

والبيت المقصود هو الكعبة ، والقبر مثنى محمد صلى الله عليه وسلم . ثم يقول :

فَطَغَى مِصْرَ «الْحُسَيْنِ» عَلَى الشَّرْقِ      وَشَدَّتْ عَلَى الرِّمَاحِ الْعِمَامُ

وَإِكْتَسَى مِفْرَقَ الْجِهَادِ جَمَالًا      بِالْأَكَالِيلِ مِنْ ذُوَابَةِ هَاشِمِ

فهنا كلمات إسلامية صريحة عن الكعبة والرسول والجهاد ، فضلاً عن استدعاء مواقف ومشاهد الاستشهاد للحسين .

ج - وتغيب من شعر الأخطل الصغير الحساسية تجاه الفتح الإسلامي ، وفي هذا ما يدل على عمق انتمائه العربي ، والبعد عن التعصب الديني معاً ، إنه يرى الإسلام عروبة ، ويرى العروبة إسلاماً ، ففي قصيدة «الجدول الوديع» المشار إليها سابقاً يصف الشعر بأنه هبة من الله للضاد :

هَبَةٌ مِنْ مَوَاهِبِ اللَّهِ لِلضَّادِ      وَتُعْمَى حَلَّتْ عَلَى لُبْنَانِهِ

ويجعل القرآن حارساً للغة العربية ، وهو كتاب المسلمين المقدس ، كما دل هذا البيت الذي سبقت الإشارة إليه :

حَلَّ فِي ذُرْوَةِ الْعُرْبَةِ حَتَّى      خَضَّتْهُ الْآيَاتُ مِنْ قُرْآنِهِ

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذوايدي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.



# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

- (١٥) شعر الأخطل الصغير: ص ٤٨.
- (١٦) شعر الأخطل الصغير: ص ٦٨.
- (١٧) أحمد محمد قدور - مجلة البيان - العدد ٢٥٢ - مارس ١٩٨٧.
- (١٨) نفحات الخليج: ج ١ - ص ٨٢ - ط ثانية - ١٩٨٣.
- (١٩) نفحات الخليج: ج ١ - ص ١٥ - ط ثانية - ١٩٨٣.
- (٢٠) نفحات الخليج: ج ٣ - ص ٦٤ - ط أولى - ١٩٨٣.
- (٢١) هو الفنان معجب الدوسري، والقصيدة بديوان نفحات الخليج: ج ١ - ص ٣٤ - ١٩٨٣.
- (٢٢) نفحات الخليج: ج ١ - ص ١٣١ - ط ثانية - ١٩٨٣.
- (٢٣) نفحات الخليج: ج ١ - ص ٥٢ - ط ثانية - ١٩٨٣.
- (٢٤) نفحات الخليج: ج ١ - ص ١٢٦ - ط ثانية - ١٩٨٣.
- (٢٥) نفحات الخليج: ج ١ - ص ٢٦ - ط ثانية - ١٩٨٣.
- (٢٦) نفحات الخليج: ج ٣ - ص ٦٤ - ط أولى - ١٩٨٣.
- (٢٧) أنيس المقدسي: أعلام الجيل الأول - ص ٣٦٩ - بيروت - ١٩٧٢.
- (٢٨) في كتابها: «شعراء ثلاثة» تخصص للأخطل الصغير الجزء الأخير (من صفحة ٢٥٧-٣١٧) وقد صدر كتابها عام ١٩٨٧ وإن كان يعتمد على مادة سابقة.
- (٢٩) في كتابه «الأخطل الصغير» ص ١٧ - صدر الكتب عام ١٩٦١.
- (٣٠) المرجع السابق: ص ١٩.
- (٣١) المرجع السابق: ص ٣٠، ٢٦.
- (٣٢) المرجع السابق: ص ٦٧، ٦٦.
- (٣٣) جمال الدين الرمادي: من أعلام الأدب المعاصر - دار الفكر العربي - ١٩٦٣ - القاهرة.
- (٣٤) صالح جودت: بلابل من الشرق، ومقاتله عن الأخطل الصغير من ص ٩٣-١٠٣.
- (٣٥) القصيدة: ص ٦٤.
- (٣٦) الديوان - القصيدة: ص ٩٤.
- (٣٧) الديوان - القصيدة: ص ٣٨.
- (٣٨) الديوان - القصيدة: ص ١٤٠ والتضمن من بيت لحسان بن ثابت في مدح الغساسنة، وشطره الثاني: «بردى يصفق بالرحيق السلس».
- (٣٩) الديوان - القصيدة: ص ٢٣٣.
- (٤٠) قصيدة «مرحبا مصر»: ص ٦١.
- (٤١) قصيدة «النيل»: ص ٢٤٣.
- (٤٢) الديوان - القصيدة: ص ١٨٠.
- (٤٣) الديوان - القصيدة: ص ٢٩٩.
- (٤٤) في كتاب: «المسوت وجه آخر» وهو عن مراثي الشعراء فيمن مات انتحاراً في الشعر الحديث - الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية - القاهرة - ١٩٩٥.
- أما عبارة قدامة بن جعفر فتقول: «إنه ليس بين الرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه هالك، مثل كان، وتولى، وقضى نحبه، وما أشبه ذلك، وهذا لن يزيد في المعنى ولا ينقص منه».
- (٤٥) جملة أبيات الرثاء في ديوانه الذي نعتي به (٢٦٩ بيتاً) موزعة كالآتي: الزهاوي ٥٨ بيتاً - فيصل (مصرع النسب) ٥٣ بيتاً - شوقي ٥٠ بيتاً - قصيدة كفتوا الشمس ٢٩ بيتاً - سعد زغلول ٢٨ بيتاً - الشيخ العراقي ٢٦ بيتاً - حافظ إبراهيم ٢٥ بيتاً. وهذا الإحصاء مختص بالشخصيات القومية، فمراثيه في أبناء وطنه اللبنانيين لا تدخل في العدد.
- (٤٦) عبدالله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها - ج ١ - ص ٣٦٢ - ط ثانية - دار الفكر - بيروت - ١٩٧٠.
- (٤٧) المرجع السابق نفسه: ص ٦٩، ٦٥.
- (٤٨) خليل برهومي: «الأخطل الصغير» - ص ١٣٩ - والمرجع بهامش الصفحة.
- (٤٩) الديوان: ص ٦٩.
- (٥٠) الديوان: ص ٥٢.
- (٥١) الديوان: ص ٧٠، وفي قصيدة عش أنت (ص ١٤٣) يقول متغزلاً: وحياء عينيك، وهما عندي مثلها القرآن عندك.
- (٥٢) الديوان: ص ٣٩.
- (٥٣) الديوان: ص ١٤١.
- (٥٤) الديوان: ص ٧٣.
- (٥٥) الديوان: ص ١٤٦.
- (٥٦) الديوان: ص ٢٨٧.
- (٥٧) للشاعر جرير بيت مشهور في هجاء الفرزدق يفخر دائماً بأعجام يصفها غيره، فيقول: لقد كنت فيها يافرزدق تابها وريش الخوافي تابع للقوادم

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# البيئة الطبيعية في الشعر الجاهلي

د. حسين جمعة\*

## مقدمة

الشعر شاهد حقيقي حيّ على تأثير مبدعه بأحداث عصره، وصور بيئته الزمانية والمكانية.. فالشاعر لم يكن محايداً أو منعزلاً عن واقعه الطبيعي والاجتماعي والتاريخي.. فهو جزء منه، لأنه عاش التجربة بحسه ومشاعره وأفكاره وخياله، ونقلها إلى فنة لوحات جمالية خالدة.

وهو لسان حال قبيلته وسفيرها لدى الملوك والأمراء والقبائل في كثير من أمورها، حمل همومها وآمالها في السراء والضراء، وفي الحل والترحال «طفلاً وفتى وكهلاً»، ورسم ذكرياته وتطلعاته في بيئة تشرب نسائتها وحرّها وقرّها، وأنس جبالها ووديانها وصحراءها، ورضع الحنين إليها في الجفاف والخصب.

وبهذا كان الشعر عند العرب كافة ديوانهم، وجمع أخبارهم، لم يكن لهم علم أصح منه، كما دل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب.

ونحن لا نشك - البتة - أن مهمة الشاعر ليست مماثلة لمهمة المؤرخ، ولكنه شاء أم أبى لا يستطيع أن يغمض عينيه عما يراه ويتنابه من خلجات شعورية.. فما يعتلج في داخله من صور أدبية إنما هو مخزون نفسي وموضوعي طويل.

\* أستاذ الأدب القديم - جامعة دمشق - سوريا.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.



## عالم الفكر

وقد أدرك أجدادنا الأوائل أهمية البيئة الطبيعية وأثرها في الإبداع والقدرة على الإلهام، وبواعث القول . . فالشاعر ربما جعل الطبيعة ملجأه لذلك، ولا أدل على هذا من قول الأصمعي: «ما استدعي شارد بمثل الماء الجاري والشرف العالي، والمكان الخالي»<sup>(٧)</sup>.

وقد لمس ابن سلام الجمحي بذكاء شديد أثر البيئة الطبيعية، فانخذ المكان أحد مقاييسه النقدية في تصنيف طبقات الشعراء لديه، وفي التفاضل بينهم . . . فكان أول مؤسس للمنهج البيئي أو الإقليمي، وفي ضوء مقياسه السابق الذكر أفرد طبقة خاصة سماها «شعراء القرى العربية» وضمت «شعراء المدينة ومكة والطائف والبحرين والبيامة»<sup>(٨)</sup>، وعدّ من شعراء البحرين، المثقّب العبدى والمزق العبدى، والمفضّل النكري.<sup>(٩)</sup>

ومن قبل مارس الشعراء هذا المعيار النقدي قولاً وفعلاً، فكان الفرزدق «إذا صعب عليه صنعة الشعر ركب ناقته، وطاف خاليا منفرداً وحده في شعاب الجبال وبطون الأودية والأماكن الخربة الخالية فيعطيه الكلام قيادة»<sup>(١٠)</sup>. وسبقه شعراء العصر الجاهلي في هذا، وفاقوه في تغنيهم بالطبيعة، فاستحقوا أن يكونوا شعراء أوطانهم قبل أن يكونوا لسانها الذي يتغنى بمحامدها ويذبح عن حماها.

فكنت تراهم ينزحون مع قبائلهم من موطن إلى آخر، يقرون به معها، وحيثما أرادوا من المواضيع وحلّوا صوّروا مشاهداتهم للبيئة الصامتة والمتحركة.

ولعل المقدمة الطللية في قصائدهم الشعرية أعظم شاهد فني يعبر عن هذه الحقيقة، وما طريقة الشعر التي بقيت ثابتة التقاليد في تلك القصائد إلا دليل على أن البيئة الطبيعية تركت أثراً متصاعداً في نشوئها وارتقائها . . . فالشعراء يذكرون - غالباً - الرحيل والانتقال، وتوقّع البين والإشفاق منه، وصفة الطلول والحمول، والتشوّق بحنين الإبل، ولع البروق، ومزّ النسيم، وذكر المياه التي يلتقون عليها، والرياض التي يجلّون بها.<sup>(١١)</sup>

وهذا المنهج الفني لم يكن ليمنع التنوع في عرض البيئة الطبيعية، لأن البيئة بأشكالها المتعددة كانت منبعاً للإلهام، ومحملاً لجملة من الأفكار والمشاعر التي يسقطها الشعراء عليها، وإن ظلت البيئة الأم الممثلة بالبادية تصدح بهيئاتها وتفرض صورها الموروثة في متون لغتهم.

فعبيد بن الأبرص الأسدي عاش في نجد<sup>(١٢)</sup>، ولكنه لم يكن يغمض عينيه عما شاهده من البيئات البحرية التي عرفها في رحلاته المتتالية إلى الحيرة والبحرين، والمسيب بن علس الضبيعي البكري وابن بجدة المتلمس حملاً موروثة كبراً من الصور التي رأوها في البيئة البرية والبحرية لأن منازل ضبيعة امتدت إلى مناطق كثيرة وواسعة من البحرين، أما طرفة بن العبد فقد ولد بالبحرين وبها دفن<sup>(١٣)</sup>.

ويذهب الظن بالباحث على مرّ الأزمان ليرى أن الثورة التي شهدتها بعض شعراء العصر العباسي على منهج القصيدة العربية تختزن في مضمونها وتحمل قبل كل شيء ثورة على البيئة الطبيعية القديمة ذات الدلالة الموحية بعناصرها المشكلة لها. فثورة أبي نواس على المقدمة الطللية ليست ثورة فنية أو عيشية، فهي مؤطرة شكلاً لغايات نفسية وفكرية ذات جوانب عدة.<sup>(١٤)</sup>

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

ومن هنا وجدنا الجاهلي في بلاد العرب كلها يشترك في جملة من الظواهر ليست متماثلة مع الشعوب الأخرى في الشكل والمضمون . . . على قلة الفوارق بين أنماطه السلوكية في البادية والحاضرة .

ولا ينكر أهمية أثر البيئة الطبيعية إلا معاند أو مستكبر ، فالجاهلي رَسَخَ حدود عاداته وقيمه ، وربها عواطفه في إطار ما ألفه من ضروب البيئة الطبيعية ، ورسمها في لغة تصويرية موحية بأصولها ، ومتلونة بذاته في وقت واحد ، ومعبرة عن تجربته الثقافية والاجتماعية والعاطفية ، وكل أثر فني تمتع ومثير ينبعث في صوره الأولى من مكوناته الفاعلة التي تحيط بالمبدع .

وإنني لأذهب في الرأي إلى أن الظواهر الفنية لا الفكرية والاجتماعية وحدها لم تبرز على أشكالها التي اتخذتها لولا تدخل البيئة الطبيعية الصامتة أو المتحركة ، سواء كان تدخلاً مباشراً أو غير مباشر .

وإذا كان البحث ليس معقوداً لبيان أهمية البيئة في الحياة أولاً والفن ثانياً فإن منهجه يلزمنا بالإشارة إلى بعض الظواهر الاجتماعية والفكرية التي صاغت البيئة الطبيعية لبلاد العرب في إطارها المناسب لها ، كظاهرة الكرم والفروسية ، وحماية الطعائن والمرأة ، والمحافظة على الشرف والنسب ، وإغاثة الملهوف ونصرة الضعيف ، وذم البخل واللؤم والجبن والفرار . . . وغيرها . (١٧)

فظاهرة الكرم وذم البخل - مثلاً - تظل أبرز الظواهر التي شكلتها البيئة الطبيعية لبلاد العرب لا توازيها إلا ظاهرة الفروسية ومدح الشجاعة والثبات وذم الفرار والجبن . بل إن البيئة خلقت سلوكيات عامة في إطارها ، واستطاع الشعر الجاهلي أن يرصد ذلك بدقة متناهية وإن تميَّز غالباً بتصويرها تصويراً جمالياً وإجمالياً .

ولعل أهم ظاهرة فرضتها البيئة الطبيعية على حياة العرب ظاهرة النجعة ، وكانوا يتتقلون من محضرهم التي اتخذوها وطناً لهم إلى منازل بالبادية تسعة أشهر طلباً للكلأ والماء ، وكانت رحلتهم تبدأ نحو الرابع عشر من آب (أغسطس) ولا يرجعون إلا بسقوط نوء الحقعة لتسع خلت من حزيران (يونيو) . (١٨)

وكانت القبائل العربية تنزل في تلك المناجع في أخلاط شتَّى حتى صار لفظ (الخلبط) في الشعر الجاهلي علماً لذلك . (١٩) وتظل المقدمة الطللية أكثر مقاطع القصيدة الجاهلية دلالة على مدى تأثير البيئة البدوية أو حياة التبدّي في أصحابها ، وبرز هذا التأثير واضحاً في وحدة العادات والتقاليد والقيم واللغة والثقافة والمشاعر .

فكان القلق من همّ الحل والارتحال همّاً عاماً للجميع في أنحاء البلاد شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، ولعل المثقّب العبدى من أحسن من تحدث عنه في قوله : (٢٠)

إذا ما قُمْتُ أرَحَلُها بَلِيل	تأوّه آهـة الرَجُل الحَزِين
تَقُولُ إذا دَرَأْتُ لها وَضِيئِي	أهذا دينه أبدأ وديني ؟!
أكل الدهر حلّ وارتحال	أما يُبقي عليّ ومَـايَقيني ؟!

## عالم الفكر

لقد أبدع المثقّب أيما إبداع حين جعل ناقته تكابد المعاناة القاسية من الارتحال ، ويستثيرها الحزن ويستبد بها في كل مرة تشد الرحال إلى مناجع جديدة ، فنضوب المياه ، وقلة الموارد ما تركا لها طمأنينة ولا راحة . . . تستظل بها لفترة طويلة ، ولهذا تبدي قلقها الدائم .

فحياة التبدي فرضت على الجاهلي أن يكون سمحاً كريماً ، وءامت هذه الحياة نفسه وطبيعته فتعشقها وتغنى بها ، وقاتل من أجلها . فكنا نراه يشبّ على محاسن الأخلاق والتسابق إلى المجد والشرف<sup>(٢١)</sup> أينما لاح له في تلك البادية المترامية الأطراف ، فالمثقّب العبدى في سباق مع الزمن ، فتراه يتهلّل لمراى ضيفه ، فيسرع إلى البرك الهواجد من الإبل فيختار أحسنها وينحرها له قائلاً: (٢٢)

فلما أتاني والسَّاء تلبسه      فلقينّه أهلاً وسَهلاً ومَرْحَباً  
وقُمتُ إلى البركِ الهواجدِ فأتقت      بَكُوماء لم يَذْهَبْ بها النّبيّ مَذْهَباً

فشدة الريح وهطول الطر، وقسوة الشتاء زادت من إصرار المثقّب على إكرام ضيفه ، وكذا كان العربي في بلاد العرب لا يبخل بها عنده وإن توالى الأزمات عليه وأهلكته ماله . . ثم إن العربي صاغ ذلك كله في إطار نفسي وفكري يلبي عواطفه وعقله ، فغدا إكرامه إرثاً طويلاً للأجداد الذي يمتدح به ، ويبعده عن البخل المكروه عندهم . . لا يختلف في هذا عن رعاية الجار والمحافظة على حرمانه على حد قول المثقّب العبدى (٢٣) .

واعلم أنّ الدّمَ نَقْصٌ للفتى      ومَتى لا يَتَّقِ الدّمَ يُذَمَّ  
أكرم الجار وأزعى حقّه      إنّ عِزَّانَ الفتى الحقّ كَرَم

ثم يقول: (٢٤)

مُتَرَحِّجُ الْجَفَنَةِ رِيْعِي النَّدى      حَسَنٌ مَجْلِسُهُ غَيْرُ لَطَم  
يَجْعَلُ الْمَنْءَ عَطَايَا جَمَّةً      إنّ بَغْضَ الْمَالِ فِي الْعِرْضِ أَمَم  
لا ييالي طيّبُ النَّفْسِ بِهِ      تَلَفَ الْمَالِ إِذَ الْعِرْضُ سَلِمَ  
أَجْعَلُ الْمَالَ لِعِرْضِي جَنَّةً      إنّ خَيْرَ الْمَالِ مَا أَدَّى الدَّمَم

إن الشاعر حلّيم وقور غير سفيه ولا غادر، فلماذا أنفق لم يسرف، وإذا أخرج ماله فعل هذا عن طيب نفس . . فكل مالٍ لديه ما يجعل إلا وقاية من الدّم والنقص .

هذه هي صورة فنية لأحد شعراء منطقة الخليج العربي في الشعر الجاهلي تحدث فيها عن ظاهرة الكرم المتأصلة في نفسه ونفوس قومه ، وهي صورة قائمة في نسيجها الحيّاتي والفني على عناصر البيئة الطبيعية الحية والصامتة ، كما تتناول في الوقت نفسه أثر البيئة البدوية في تنمية ظاهرة الكرم وتعزيزها في النفوس ، ونخبنا أيضاً بأن البيئة الطبيعية لمنطقة الخليج العربي آنذاك لا تختلف في معطياتها عما كانت عليه بلاد العرب كلها ، وهي توحى فيما توحى به أنها بيئة مجمعة لا مفرقة في الحياة والفن .

وإذا كانت الفروسية غير حكر على العرب ، أو على بيئة دون بيئة فإن المفاهيم التي ارتبطت بها عند العرب لبست أشكالاً متميزة مستمدة من بيئتهم وحياتهم .

## عالم الفكر

وقد سبق أن أشرنا إلى ظاهرة النجعة ، فهذه الظاهرة فرضت على القبائل العربية قانون القوة ، فاحتل عندها المرتبة الأولى على الصعيد الفردي والاجتماعي ، وقلة الموارد الطبيعية والمائية أباح في شريعتهم الغزو والسلب ، وافتخروا بذلك ، ومن هنا انتقل الصراع من أجل البقاء إلى حياة البشر ، بعد أن كان مقتصرًا على الطبيعة الحية . . . والعرب ليسوا فرداً في هذا المجال .

وأرّخ الشعر الجاهلي لهذا الصراع حول المناجع والمنازل ، وإن كانت القبائل قد عرفت نمطاً من المواطن الخاصة بها ،<sup>(٢٥)</sup> ومثل هذا وجدناه في أشعار أبناء منطقة الخليج العربي حينذاك .<sup>(٢٦)</sup> فهذا رجل من قبيلة عبد القيس التي استوطنت البحرين وعمان يحدّثنا عن مظاهر فروسيته التي جعلته ينتصر على خصمه ، ولو جبن أو ضعف لنال منه خصمه ، فقال :<sup>(٢٧)</sup>

فلم أنكّل ولم أجبن ولكن      يَمْنُثُ بها أبا صَخْرٍ بَنِي عَمْرٍو  
شَكَنْتُ بِجَامِعِ الْأَوْصَالِ مِنْهُ      بِنَاقِلَةٍ عَلَى دَهْشٍ وَدُغْرِ  
نَرَكْتُ الرُّمَحَ يَبْرُقُ فِي صَلَاةٍ      كَأَنَّ سَنَانَهُ خُزْطُومُ نَسْرِ

أما المفضل النكري فلم يكتف بتصوير ثبات قومه وشجاعتهم وإنما رسم صورة مماثلة لأعدائهم ، وحين أكد فروسية هؤلاء كان يمعن في إكبار مافعله قومه وافتخاره بنصرهم على ندّ قويّ وشديد فصوّر كثرة الجيش واندفاعه مشبها إياه بالبرد الكثيف العظيم المتحدر من السماء ، وكان قومه سيلا جارفا يغمر جنبات واد كبير ، فقال :<sup>(٢٨)</sup>

فإنك لو رأيت غداة جئنا      ببطنِ أنالٍ ضاحيةٍ نسوقُ  
فجاؤوا عارضاً برداً وجئنا      كَسَيْلِ الْعَرِضِ ضَاقَ بِهِ الطَّرِيقُ  
مشينا شطرهم ومشوا إلينا      وَقُلْنَا : الْيَوْمَ مَا تُقْضَى الْحُقُوقُ

فالعرّض واد مشهور في اليمامة ، وصورته أيام الشتاء قفزت إلى مخيلة الشاعر ليظهر وطء قومه في أعدائهم .

والخيل أداة الفارس الأولى ، ولهذا ظهرت وجهاً من وجوه الصراع فنسب العربي فعله إليها<sup>(٢٩)</sup> وهي وجه آخر من وجوه البيئة الجاهلية وقيمها . . . وهذا ماعرض له أحد شعراء عبد القيس . . . فنقل لنا صورة بديعة لفارسه وجرة قائلا :<sup>(٣٠)</sup>

رَمَيْتُهُمْ بِوَجْرَةٍ إِذْ تَوَاصَوْا      لِيَرْمُوا نَخْرَهَا كَثْباً وَنَحْرِي  
إِذَا نَفَلْتَهُمْ كَسْرَتْ عَلَيْهِم      كَأَنَّ فُلُوهَا فِيهِمْ وَبُكْرِي

فالخيل حصن العربي ودرعه ، يحتمي به من ضربات السيوف وطعنات الرماح . . . ولهذا اختار منها الأصيل العتيق وصنع له شجرة أنساب ، وكرّمه على غيره . . . ولا عيب عنده أن يؤثّر على نفسه وأهله في أوقات العُسرة بالرعاية واللبن . . . وعليها تطلب الثارات والرزق ، ولهذا كانت العرب يهنيء بعضها بعضاً بتناجها . . .<sup>(٣١)</sup>

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.



## عالم الفكر

وهذا عمرو بن أسوى العبّسي يخبرنا أن البحرين وقصباتها لم تكن خالصة لقبيلة واحدة قبل الإسلام،<sup>(٦٠)</sup> فقال يفتخر بانتصار قومه عبدالقيس على إياد وإخراجها من هجر، وإبعاد بكر عن منازلها.<sup>(٦١)</sup>

شَحَطْنَا إِيَاداً عَنْ وَقَاعٍ وَقَلَصْتُ      وَبَكْرًا نَفَيْنَا عَنْ جِيَاضِ الْمُشَقْرِ

وروى لنا المسيب بن علس قصة استيطان بني سامة بن لؤي في عمان وكانت الأزد أول من نزّلها، فقال: (٦٢)

فَلَمَّا أَنْصَى بِلَدًّا سَرَّةً      بِهِ مَرَّتَعٌ وَبِهِ مَفْرَبٌ  
وَحِضْنٌ حَصِينٌ لَأَبْنَائِهِمْ      وَرَيْفٌ لِعَيْرِهِمْ مُخَصَّبٌ

هذه الشواهد وما يقدمه البحث من صور البيئة الطبيعية نستدل على أن منطقة الخليج شهدت حركة صراع مستمرة . . كل قبيلة تنشد امتلاكها لغنى مواردها وخصوبة أرضها وموقعها .

ومن هنا يصبح لزاماً علينا التوقف عند صور البيئة الطبيعية البرية والبحرية، الصامتة منها والمتحركة، كما صورها الشعراء الجاهليون، وعرضوها في طرائقهم المليئة لغاياتهم . . . علماً أن المقدمات الطللية ومشاهد الصحراء وحيوان الوحش احتفلت أياً احتفال في عرض تلك الصور على مساحة الشعر كله .

### ١ - البيئة الطبيعية البرية

#### البيئة الصامتة

اتضح لنا مما تقدم أهمية البيئة الطبيعية في الحياة والفن، وبرزت بيئة منطقة الخليج العربي بالتنوع والاتساع، وشهدت أرضها حياة النجعة ونمطا من المدينة في آن معاً .

وتركت هذه البيئة آثارها الواضحة في أبناء الخليج وفي طليعتهم الشعراء، فحمل هؤلاء حساً مرهفاً وهم يتحدثون عن الطبيعة الصامتة والمتحركة بجبالها ووديانها وسهولها وفلواتها وجرها وقرها ومطرها ومواقعها ومناقعها وشجرها ونباتاتها . . . فأينما لاحت لهم صورة ممتزجة بحياتهم ومشاعرهم جعلوها مادة لفنهم فتأثروا وأثروا .

وكذا كان الشاعر الجاهلي يتغنى ببيئته الطبيعية ويسوق ذلك في إطار هدفه الذي يسعى إليه في موضوعات قصيدته، ولهذا حفلت المقدمات الطللية ومشاهد الرحلة والحيوان خاصة بصور كثيرة ومثيرة للبيئة الطبيعية . فهذا المثقّب العبدى يحدثنا عن مشهد الرحلة بنشوة عامرة بالمشاعر فيقول: (٦٣)

لَمَنْ ظَعْنٌ تُطَالَعُ مِنْ ضُبَيْبٍ      فَمَا خَرَجْتُ مِنْ الْوَادِي لِجِينِ  
مَرَزَّنَ عَلَى شَرَفِ فِذَاتِ رَجُلٍ      وَنَكْبَنَ الذَّرَانِخَ بِالْيَمِينِ  
عَلَوْنَ رُبَاوَةً وَهَبَطْنَ غِيَاً      فَلَمْ يَرْجِعْنَ قَائِلَةً لِجِينِ

فالشاعر يسوق في سرد تتبعي رحلة الظعائن من موضع إلى موضع وهي تصعد ربوة أو تنحدر في واد فينخلع قلبه من جنبه ظناً منه أنه لم يعد يراها . . . فعينه تظل ترصد مرورها في (ضبيب، وشراف، وذات

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

وجروا في هذه الطرائق على عادة شعراء الجاهلية غالباً، في إطار التعبير عن حياتهم ومشاعرهم، ولم تكن المقدمات وحدها تتسع للحديث عن البيئة الطبيعية، فأينما وجد الشعراء صورها الملية لحاجاتهم النفسية وغاياتهم اقتنصوا منها ما يبعث التأثير والإيضاح.

وحظيت صورة الأشجار ولاسيما النخيل بأكثر تلك الصور، وإن وقعنا على جملة من الصور المبدعة للنباتات والأزهار. فالمفضل النكري لم يكن ليغفل عن صورة الحريق الذي يشب في أجمة من القصب، وفقرت هذه الصورة إلى مخيلته حين أراد التحدث عن زحف الجيش وما يصدره من أصوات في حركته وقعقة سلاحه، فقال: (٨١)

كَأَنَّ هَزِيْرَنَا يَوْمَ التَّقِيْنَا هَزِيْرُ أَبَاءَ فِيْهَا حَرِيْقُ

أما شجرة النخيل فكانت من أشهر أشجار الجزيرة العربية عامة ومنطقة الخليج خاصة . . . فضرب المثل بنخل عمان وهجر، وضرب بها الأمثال كقول العرب «كاستبضع التمر إلى هجر» (٨٢)، وقد يطلق على البحرين كلها اسم هجر. (٨٣)

فشجرة النخيل تشكل الشجرة الأولى في رياض الخليج وحدائقها، وتمثل أهمية خاصة في حياة أهلها وصور شعرائها . . . فمن ثمرها صنعوا الشراب الطيب الذي ضاهى العسل (٨٤)، ومن خوصها صنعوا الخصف الذي يحفظ التمر، وجعلوا نواه علفاً للدواب (٨٥)، وأطلقوا عليه السواديّ والرضيخ . . . وعرض له المثقب العبدى حين صور سنام ناقته المخترن والقوي فقال: (٨٦)

كسَاهَا تَامِكَا قَرْدًا عَلَيْهَا سَوَادِيّ الرُّضِيْخِ مَعَ اللَّجِيْنِ

وعبّر أعرابيٌّ تهدي من أبناء عُمان عن أهمية تلك الشجرة وفائدتها فقال: «حملها غداء، وسعفها ضياء، وجدعها بناء، وكرها صلاء، وليفها رشاء، وخوصها وعاء، وقروها إناء». (٨٧)

وشجرة النخيل كانت مصدراً ثرياً لشعراء الجاهلية في صورههم الشعرية المتعددة في جذعها وعناقيدها، (٨٨) وكذلك كانت لشعراء منطقة الخليج كقول المفضل النكري في وصف لمة أحد الفرسان، أو وصفه لفرس ابن قران ولولاها لما نجا: (٨٩)

قَتَلْنَا الْحَارِثَ الْوَضَّاحَ مِنْهُمْ فَخَرَّ كَأَنَّ لِمَتَهُ الْعُدُوْقُ

ثم قال في فرس ابن قران واصفاً عنقها:

تَشَقُّ الْأَرْضَ شَائِلَةَ الدُّنَابِيْ وَهَادِيَهَا كَأَنَّ جَذْعَ سَحُوْقٍ

وشجرة النخيل لم تكن متفردة في منطقة الخليج، فقد زينت أشجار مثمرة غير قليلة من الموز والتين والرمال . . . التي تميزت بها عمان، وزاحمها أشجار أخرى كثيرة في عمان والبحرين كالسدر والضال والنبع والغزب والرثث والدوم والعصاه والعفّار والمزخ. (٩٠)

فمنطقة الخليج تميزت ببيئة طبيعية غنية بالحدائق والرياض وبأشجارها المتنوعة وخيراتها الكثيرة، وما أفاء الله عليها من وفرة المياه، مما استدعى حفر الآبار وشق القنوات للزراعة وري الإنسان والحيوان، كما استار وكاظمة ونطاع. (٩١)

## عالم الفكر

وفي دراستنا لشعر أهل المنطقة عثرنا على إشارات كثيرة لتلك الأشجار في صور متعددة، ولكننا لم نقف على حديث خاص بوصف الرياض<sup>(٩٢)</sup> فالمنطقة تنصف ببعض الرياض كالخط والقطيف والأطواء، وعافل، وهجر. مارآها أحد، وصبر عليها. <sup>(٩٣)</sup> وسدرها ونبعها من أجود الأنواع في جزيرة العرب، <sup>(٩٤)</sup> وكلاهما يصلح لصناعة الرماح والأقواس والنبال، على تفضيل العرب للنبع على السدر. وكان هزير بن شن بن أفصى من عبد القيس أول من ثقف الرماح في قرية الخط، <sup>(٩٥)</sup> ونسبت الرماح إليها، كما نسبت الرماح الردينية إلى امرأة الرماح السهمرية إلى زوجها وهما من الخط <sup>(٩٦)</sup> علما أن أول من صنع الدروع الحطمية رجل من عبد القيس يُسمى حطمة بن محارب، وإليه نسبت. <sup>(٩٧)</sup>

ومهما يكن احتفاء شعراء الخليج بالحديث عن البيئة الطبيعية لديهم فإنه يتضاءل أمام تنوعها وغناها وكثرتها، وأمام ماوقعنا عليه في بعض أشعار الجاهليين. <sup>(٩٨)</sup>

والمفضل الثكربي واحد من شعراء الخليج الذي ضرب النبع مثلاً للقوة والشدة، <sup>(٩٩)</sup> بينما جعل السدر علامة للضعف والوهن وكنى به عن أعدائه بالقياس إلى قومه فقال: <sup>(١٠٠)</sup>

وجدنا السدر خواراً ضعيفاً      وكان النبع منبته وثيقاً

فالبيت يتضمن تصريحاً واضحاً على خبرته بهذا النوع من الشجر المعروف في منطقة الخليج ولكن حديث المزدق العبدي أكثر دقة لربطه شجر الرمث والغضا بكلمة بلادنا، في تصويره لجيش النعمان بن المنذر في قوله: <sup>(١٠١)</sup>

فلما أتى من دونها الرمث والغضا      ولاحت لنا نارُ الفريقين تَبْرُقُ  
فوجهها غريبة عن بلادنا      وودَّ الذين حولنا لو تُشْرِقُ

أما أشجار الضال والسمر فقد ذكرها الشعراء غالباً في إطار تصوير أعناق الغزلان وتشبيه أعناق صواحباتهم بها، ويرسمون صورة الغزال أو الظبية وهي تحاول مد عنقها لتلتقط أنثر الورق وأصفاء، فتتكشف نحاس العنق وطوله، كقول المثقب العبدي: <sup>(١٠٢)</sup>

كغزلانٍ خَدَلْنَ بِذَاتِ ضَالٍ      تَنُوشُ الدَّانِيَاتِ مِنَ الْغُصُونِ

ولو أعاد المرء النظر في الصورة السابقة لوجدها تأخذ عناصرها من البيئة الطبيعية الصامتة والمتحركة.

أما شجر العفار والمريخ فمن الأشجار التي عرفت في منطقة الخليج وما والاها، وذكرها الأعشى في شعره <sup>(١٠٣)</sup> صراحة، واستعملت في الكتابة، ورأينا أحد شعراء الخليج يعرض لمسألة الكتابة، وما ظهر من آثارها على صحفه، وشبه آثار الديار بها دون أن يصرح بذكر العفار والمريخ. <sup>(١٠٤)</sup>

ولن يكتمل إطار الحديث عن البيئة الصامتة دون وقفة عند وصف النباتات والأزهار وقد جذبت ألوانها وأنواعها وهيئاتها الشعراء وغيرهم، وتركت آثارها في نفوسهم، والقارئ لشعر أبناء الخليج في العصر الجاهلي يلمس سمتين بارزتين لذكر النباتات والأزهار:

## عالم الفكر

- السمة الأولى: اقتناص الصورة الجمالية الموحية بإيجاز دون تفصيل كبير على عكس ما عرفناه لدى شعراء الجاهلية،<sup>(١٠٥)</sup> ولأسبى المرقش الأكبر<sup>(١٠٦)</sup>.

- والسمة الثانية: عرض تلك الصورة بإطار حضري مدني، دون أن يتجاوز الأثر الموروث من ظاهرة التبدي.

أما مواضع ذكر النباتات والأزهار وإن جاء غالباً في المقدمات الطللية غير أن بقية موضوعات القصيدة تلونت بأشكال الصور التي اختزننت ملامح الحياة النباتية في أساليب متباينة كتبائين الأهداف لدى الشعراء.

وقد ورد ذكر النباتات والأزهار مقتزناً بذكر الأشجار والمواضع ومشهد الحيوان ووصف الأطلال الدارسة بعد فراق أهلها وتولي العهد عليها زمناً ومطراً<sup>(١٠٧)</sup> كقول ثعلبة بن عمرو.<sup>(١٠٨)</sup>

لَمِنْ دَمْنٍ كَأَنَّهُنَّ صَحَائِفُ      قِفَارٌ خَلَا مِنْهَا الْكَثِيبُ فَوَاحِفُ  
فَمَا أَحْدَثَتْ فِيهَا الْعُهُودُ كَأَنَّهَا      تَلْعَبُ بِالسَّمَانِ فِيهَا الزُّخَارِفُ

فالأطلال أتى عليها عهد ممطرة جعلتها تتزين بألوان بهية من الزهر، ففعلت فيها ما يفعله صاحب الأصباغ في الثياب والبيوت حين يوشىها.

وبهذا المنطق الشعري كان يعبر عن البيئة الطبيعية وعن طبيعة الحياة التي يعيشها الجاهليون. . فالصبغة أصبحت مصدراً يتكئ عليه الشعراء في بيان جمال الصورة الشعرية وأثرها، والصبغة مما شهدته الحواضر أكثر مما شهدته البادية.

وفي صميم هذا التشكيل الفني التصويري نقع على البعد الزماني مُثَلًا بالعهد صيفاً وشتاءً، وكثيراً مرة بعد مرة، وعلى البعد المكاني مُثَلًا بالأطلال (الكثيب، واحف)، فيرتبط البعدان مثلاً يتحد الزمن في مصطلح العهد، وهذا كله أدى إلى التشكيل الجمالي الموحى والمعبر بأقل الألفاظ. . . وهذا ما نجده في قول يزيد بن الحذاف الشني حين وصف فرسه فقال: <sup>(١٠٩)</sup>

وَدَاوَيْتُهَا حَتَّى شَتَّتْ حَبَشِيَّةٌ      كَأَنَّ عَلَيْهَا سُنْدُسًا وَسَدُوسًا  
فَاضَتْ كَتَيْسِ الرَّبْلِ تَنْزُو إِذَا نَزَتْ      عَلَى رِبَازٍ يَغْتَلِينَ خُنُوسًا

فالشاعر يرسم لوحة جميلة للأرض التي غذاها مطر الشتاء، فتوشحت بالنبات والأزهار مما يخلب الأبواب ويهدش البصر، فجاءت أشبه بثوب الديباج أو الطيلسان الأخضر.

وهكذا تألفت فرسه منظرًا وقوة بعد أن تعهدها بالرعاية والتدريب، ولكي يبرز خفتها ونشاطها نقلنا إلى صورة تيس الربل من نبات الصحراء في آخر الصيف، فتراه يتطاير دون أن يستطيع قابض السيطرة عليه.

فالشاهد دل على براعة وذكاء في شدة الإيجاز للبعد الزماني، وفي الجمع بين الطبيعة الحية والصامتة، وفي وصفه البديع لنباتات الشتاء ونباتات الصيف.

هكذا رأينا زينة الأرض مصدر إلهام للشعراء في صور شتى لدى شعراء الجاهلية وشعراء الخليلج<sup>(١١٠)</sup>

## عالم الفكر

وكانوا يمزجون في عرضها بين البيئة البدوية والحضرية والحية والصامته في إطار مجازي سواء أكان موضوعهم غزلاً أم فخراً ومدحاً أو غير ذلك .

ومهما يكن حجم الحديقة النباتية وأنواع الأزهار التي ذكرها شعراء الخليج فإنها فقيرة بالقياس إلى حديقة الأزهار عند الشعراء الجاهليين<sup>(١١١)</sup> وبخاصة الأعشى الذي تنقل في البلاد فغبر الحدائق واختار منها أحسن الصور الشعرية للأقحوان والريحان والكافور والزنبق والعشوق والعرار والثغام وغيرها من النباتات والأشجار، واستحق أن يكون شاعر الرياض ، ساعده على هذا ما تميزت به قريته منفوحة من خضرة .<sup>(١١٢)</sup>

ولم تكن البيئة الطبيعية الصامته بأشكالها المتعددة لتحوز اهتمام الشعراء ، وإنما كانت الطبيعة المتحركة (الحية) مثار إبداعهم واهتمامهم ، ومصدراً كبيراً لحياتهم إن لم تكن هي الأصل في ذلك كله .

ولهذا استطال تعرض الشعراء لها في موضوعاتهم وعلى تعدد غاياتهم ، وظل لها تفرد في عظمة ماتوحيه فكرياً وعاطفياً واجتماعياً ، فضلاً عما وجدناه من وصف الطبيعة الصامته . . . بدليل ما أنتجته من دراسات قديمة ،<sup>(١١٣)</sup> وحديثة .<sup>(١١٤)</sup>

ومن هنا فإننا سنقتصر في أهم دالاتها على ماورد في شعر أهل الخليج من صورها لتكتمل لدينا دائرة الحديث عن البيئة الطبيعية ليس غير . وسنفرد الحواشي بعدد غير قليل من مصادر البيئة الحية في الشعر الجاهلي ، بناء على منهجنا في الموازنة أولاً ، وإيضاحاً أو إبرازاً لما سلكه شعراء منطقة الخليج العربي في تصويرها والاهتمام بها ثانياً .

### البيئة المتحركة (الحية)

دخلت صورة البيئة المتحركة الحية في نسيج الحياة والفن لأهل الجاهلية جميعاً ، فشكلت أثراً واقعياً وفنياً ، وحظيت الإبل والأنعام والخيول بأكثرهما .

ففي الفن امتزج الواقع الفني بالواقع النفسي والفكري للشاعر الذي عاش في البيئة عاشقاً لها مفضلاً إياها على غيرها ، ولهذا جعلها مادة للتحريض الانفعالي تارة ومصدراً لتوليد أفكاره وصوره تارة أخرى . فتراه يقلب صفحات البيئة المتحركة مؤطراً إياها في سياق لغوي ومعنوي وعاطفي يبعث تأثيراً متصاعداً وعودة إلى الأصل الذي انطلق منه كلما قرأه قارئ أو تلقاه متلق في أي عصر كان . فالشاعر الجاهلي عامة وابن الخليج خاصة نقل الواقع الطبيعي بصياغة تركيبية جديدة تعبر عن الأصل وليست هي الأصل دون أن يقصد إلى تصوير البيئة الطبيعية قصداً ، لأنه مارمى إليه من مشاعر وأفكار كان أبعد من صورة الواقع القريب ، فالبيئة الطبيعية أداة ووسيلة لغايات أكبر ، ومشاعر أرحب .

ونستنتج من هذا المفهوم أن البيئة الطبيعية الحية والجامدة لم تكن عند الشاعر هدفاً لذاته ، ولا أصلاً لسواه من الأهداف كما توهم بعض الباحثين المحدثين .<sup>(١١٥)</sup>

ومن يتأمل أحاديث الشعراء في ذلك يتأكد له ماسقناه ، على استطالة بعض شعراء الجاهلية في وصف الطبيعة المتحركة ،<sup>(١١٦)</sup> وهذا الوصف قد يندفع لأول وهلة ، فيظن أن الشاعر قصد إلى رسم ملامح البيئة الحية قصداً .

ولعل المتتبع لصورة البيئة الحية في الشعر الجاهلي يدرك ملاحظة أخرى ، وهي أن الشعراء ليسوا سواء في تناول تلك البيئة تبعاً لتنوعها وتنوع المكان والحياة والمشاعر ، إن لم نقل اختلافها .

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.



## عالم الفكر

هند. (١٢١) فكل منهما يستعطف بمدوحه في أسلوب طريف بديع ، وكل من الملكين يرقُّ للشاعر فيعفو عن قومه ، وكل منهما يصرح بطلبه ، كما يقول المثقّب: (١٢٢)

فَأَنْعَمَ أَيْبَتُ اللَّعْنِ ، إِنَّكَ أَصْبَحْتَ      لَدَيْكَ لُكْبَزٌ كَهْلُهَا وَوَلَيْسُذُهَا

ونلاحظ مرة أخرى التبع الدقيق لحركة الرحلة ، وهو تتبع معروف لدى الجاهليين وخاصة عند النابغة الذبياني الذي أجاد في مدحه واعتذارياته على أن غاية شعراء الخليج مغاية نوعاً ما . . . دون أن نعدم بعض الصور الأخرى التي تشابهت في أساليب الشعراء الجاهليين. (١٢٣)

ويلوح لنا مما تقدم أن منطقة الخليج كانت دريئة لسهام المناذرة وغيرهم ، واتهمت عبد القيس خاصة بالذل والخنوع لهم ، كما ورد على لسان المتلمس الضبعي البكري. (١٢٤)

إِنِ الْهَوَانَ جِمَارَ الْقَوْمِ يَعْرِفُهُ      وَالْحُرُّ يُنْكِرُهُ وَالرَّسْلَةُ الْأَجْدُ  
كُونُوا كَبْكُرَ كَمَا قَدْ كَانَ أَوْطُمُ      وَلَا تَكُونُوا كَعَبْدِ الْقَيْسِ إِذْ قَعَدُوا  
يُعْطُونَ مَا سَأَلُوا وَالْحَفْظُ مَنْزِلُهُمْ      كَمَا أَكْبَ عَلَى ذِي بَطْنِهِ الْفَهْدُ

ولاشك أن المتلمس ظلم عبد القيس على نحو ما ، وخاصة أن هذه القبيلة توزعت من عمان حتى وصلت الأهواز في جنوب العراق وشمال شرق الخليج العربي ، فاللبوء بن عبد القيس كانت هناك (١٢٥) وبنو سُنَّ من عبد القيس انتصروا على قبيلة إباد وأجلوها إلى سواد العراق ، (١٢٦) ولما انتصروا في بعض المعارك خسروا في الأخرى وهادنوا أمام الأقوى . . . كبكر تماماً . . . فعبد القيس تدرك أن حصونها خيلها ولهذا تعدها دائماً للرهان والقتال ، ولا أدل على هذا من شهرة «هراوة الأعزاب» فقد دخلت الحلبة خمس عشرة سنة فجعل الريان بن حويص العبدى سبقها لعبد القيس ، كل سنة لبطن . . . فقال عبيد بن مرثد راثياً إياه وذاكراً الفرس. (١٢٧)

سَقَى جَدَّتَ الرِّيَّانِ كُلَّ عَشِيَةٍ      مَنِ الْمَزْنِ رَجَا فِ التَّيْنِ دَلُوحُ  
أَقَامَ لِفَتْيَانِ الْعَشِيرَةِ سَهْوَةً      لَهُمْ مَنَكْحٌ مِنْ جَزِيهَا وَصَبُوحُ  
فَا مَنِ رَأَى مِثْلَ الْهَرَاوَةِ مُنْكِحَا      إِذَا بَلَّ أَعْطَافَ الْجِيَادِ جَرُوحُ

فعبد القيس اعتزت بالخيول وأكرمتها وحافظت على شجرة أنسابها وهجنوا السلالات العربية إذ ظن بعض منهم أن الخيل المهجنة قد تضاهي أو تجاري الخيل العرب ، (١٢٨) وبهذا كله خالطت الخيل حياتهم ، وظهرت في الفن الشعري مساوية لذلك ، ومثل هذا عرفناه عند القبائل العربية كلها ، (١٢٩) فكانت إحدى وجوه البيئة الطبيعية الحية في صور الشعراء الجاهليين ، ومن هذا قول ثعلبة بن عمرو العبدي. (١٣٠)

أَسْمَاءُ لَمْ تَسْأَلِي عَنْ أَبِي —      لِكِ الْقَوْمِ قَدْ كَانَ فِيهِمْ خُطُوبُ  
إِنْ عَرِيًّا - وَإِنْ سَاعِي      أَحَبُّ حَيِّبٍ وَأَدْنَى قَرِيبِ  
سَأَجْعَلُ نَفْسِي بِهِ جَنَّةً      بِشَاكِي السَّلَاحِ نَيْكِ أَرِيبِ  
وَأَهْلُكَ مُهْرَ أَبِيكَ الدَّوَا      لَيْسَ لَهُ مِنْ طَعَامٍ نَصِيبِ  
خَمَلًا أَتَمَّ كَلِمًا أَوْرَدُوا      يَضِيحُ قَفْبًا عَلَيْهِ ذَنْوُوبِ

## عالم الفكر

فالشاعر يؤثر خيله على نفسه في الطعام والشراب ، ويقوم لها دريئة يحميها في الشدائد . وكذلك كان المستوغر بن ربيعة بن كعب أحد بني سعد بن زيد مناة ، وهو من المعمرين الذين سكنوا قطر،<sup>(١٣١)</sup> وكان ممن اقتنى الخيل وحبسها للغارة والصيد ، وقد آله أن يرى فرساً له تغرق في ماء غمر غزير فقال :<sup>(١٣٢)</sup>

يَنْشُ الْمَاءُ فِي الرَّبَلَاتِ مِنْهَا      نَشِيشَ الرِّضْفِ فِي اللَّبْنِ الْوَغِيرِ

فصوت الماء حين اندفع في جنبات فرسه وأعضائها أصدر صوتاً يشبه صوت الماء البارد الذي أضيف إلى اللبن المغلي .

تلك هي أمثلة للبيئة الطبيعية المتحركة من الإبل والخيل ، وقد وردت في صور أخرى مجازية شتى ليس البحث متجها إليها ، وكذلك نفعل في الأنواع الأخرى من صور الحيوان في منطقة الخليج العربي . فالغاية لدينا إبراز هذه الصور دلالة على تنوعها وأهميتها وعدم خلو المنطقة منها سواء كانت في الحاضرة أم البادية . فشعراء الخليج يمزجون بين حيوانات البادية والحاضرة في صرر شعرية مثيرة وممتعة ، وفي سياق أغراض القصيدة كلها أحيانا أو في بعضها . . . فجمعوا بين الديك من حيوانات الحاضرة ، والناقة إحدى حيوانات البادية<sup>(١٣٣)</sup> أو بينها وبين الهر<sup>(١٣٤)</sup> . وكلاهما يفرعها لعدم ألفتها ، فتمضي لطياتها بسرعة ، كقول الممزق العبدى :<sup>(١٣٥)</sup>

وناجية حذيت من عند ماجد      إلى واحد من غير سُخْطٍ مُقَرَّرٍ

ترى أو تراءى عند مَعْقِدِ غَزْزِهَا      تهاوِىل من أجلاذِ هَرٍّ مُعَلَّقِي

وبقى للبيئة المتحركة البدوية سلطانها في أذهان الشعراء وصورهم ، بل لن تزايل مخيلتهم قط ،<sup>(١٣٦)</sup> ونشير إلى صورة أخيرة تتحدث عن الإبل المسرعة المشبهة بالقط المتجه إلى الماء كسرعة الرماح لشدة عطشه ، كقول المثقب العبدى :<sup>(١٣٧)</sup>

تَهَالِكُ مِنْهَا فِي الرِّخَاءِ تَهَالِكَا      تَهَالِكُ إِحْدَى الْجَوْنِ حَانَ وَرُودُهَا

إن الارتكاس إلى البيئة المتحركة البدوية عند أبناء الخليج يدل على عظمة تأصل ظاهرة التبدي في نفوسهم حياة وفناء ، وإن كانت بيتهم لم تتغير ملامحها المدنية كثيرا . . على ارتباطها العظيم بالبحر وامتداده على الساحل الغربي والشمالي للخليج العربي .

ولعل الصور التي تقدمت توحى براءة البيئة الحية لمنطقة الخليج ، فلا يطلب من المرء أن يعب ماء البحر كله ليعرف ملوحته ، ولا يعقل لمثل بحثنا أن يقف عند البيئة الحية المتحركة كلها لنستدل على غنى منطقة الخليج بها . . فنكتفي بما وقفنا عنده .

وهذا ما نتوجه إليه أيضا في حديثنا الأخير عن البيئة البحرية .

### ٢ - البيئة البحرية

كشفت لنا دراسة البيئة البرية الصامتة والمتحركة أن الأثر الفني ابنُ بارٍّ في صورته وجوهره للأثر الطبيعي ، وأن كل شاعر استمد منه لوحاته المؤثرة والموحية في إطار أغراضه ومعانيه الكبرى التي اشتمل عليها شعره ولم تكن طريقة تناول للبيئة البحرية لتختلف عن النهج السابق وإن كان حظها أقل بكثير من سابقتها ، علما أن

## عالم الفكر

منطقة الخليج العربي تميزت بالفرض البحرية ومغاصات اللؤلؤ،<sup>(١٣٨)</sup> وصناعة المراكب، فضلاً عن حيواناتها.

وعلى أهمية ذلك لم يبتدع شعراء الخليج صوراً شعرية تفوق ما قاله الشعراء فيها، ولم يكثرُوا في الوقوف عندها كما فعل غيرهم<sup>(١٣٩)</sup> إذا استثنينا مما قاله المثقب العبدى. ففي نونيته المشهورة نحطى بحديث طريف عن صناعة السفن ودهانتها وحركتها اللينة السريعة في الماء مشبهاً الطعائن بها.<sup>(١٤٠)</sup>

وَهُنَّ كَذَاكَ حِينَ قَطَعْنَ قَلْبَجاً      كَأَنَّ حُمُوهُنَّ عَلَى سَفِينٍ  
يَشْبَهُنَّ السَفِينِ وَهُنَّ بُخْتُ      عُرَاضَاتُ الْأَبَاهِرِ وَالشُّؤُونِ  
كَأَنَّ الْكُورَ وَالْأَنْسَاعَ مِنْهَا      عَلَى قُرُوءِ مَاهِرَةٍ دَهِينِ  
يَشُقُّ الْمَاءَ جُؤْجُؤُهَا وَيَعْلُو      عَوَارِبَ كُلِّ ذِي حَدَبٍ بِطِينِ

فالمثقب لم يكن أول من رسم ملامح البيئة البحرية في الشعر الجاهلي، وربط بينها وبين البيئة البرية والبدوية، فقد ذكرها امرؤ القيس<sup>(١٤١)</sup> وطرفة<sup>(١٤٢)</sup> والمرقس الأكبر وغيرهم ممن تحدث عن الخليج أو عن تشبيه الإبل بالسفن<sup>(١٤٣)</sup>، ولكن المثقب صور لنا البيئة البحرية تصوير الخبير المشاهد لصناعة السفن وطلاتها حتى لا يتأثر الخشب بالماء، ولا يشبهه في هذا المقام إلا بشر بين أبي خازم، وزاد عليه حديثه عن البضائع التي تحملها تلك السفن، من الهند.<sup>(١٤٤)</sup>

ويتفرد المسيّب بن علس الضبي في تصوير البحارة وركوب البحر والغوص على اللؤلؤ، فقد وصف حكاية أربعة بحارة غامروا بحياتهم في سبيل واحدة من اللآلئ، ورسم لنا فيها لوحة بارعة ومثيرة لحياتهم ومشاعرهم، وتتبع لوحته بإطار قصصي جذاب ودقيق، فأنبأنا بما يتتاب كل واحد من نجاح وإخفاق على مدار ثلاثة عشر بيتاً، وهو مالم نعر عليه في الشعر الجاهلي كله، وكان منطلقه لهذه الحكاية وصف صاحبه بالجئانة التي جاء بها رئيس أولئك الغواصين، فقال:<sup>(١٤٥)</sup>

كجئانة البحريِّ جاء بها      غَوَّاصُهَا مِنْ جُلَّةِ الْبَحْرِ  
صَلَبُ الْفَوَادِ رَيْسُ أَرْبَعَةٍ      مُتَخَالِفِي الْأَلْوَانِ وَالنَّحْرِ  
فَتَنَارَعُوا حَتَّى إِذَا اجْتَمَعُوا      أَلْقَوْا إِلَيْهِ مَقَالِدَ الْأَمْرِ  
وَعَلَّتْ بِهِمْ سَجَحَاءُ خَادِمَةٍ      تَهْوِي بِهِمْ فِي جُلَّةِ الْبَحْرِ  
حَتَّى إِذَا مَاسَاءَ ظَنَّهُمْ      وَمَضَى بِهِمْ شَهْرٌ إِلَى شَهْرِ  
أَلْقَى مَرَايِسَهُ بَتَهْلَكَةٍ      ثَبَّتَ مَرَايِسَهَا فَمَا تَجْرِي  
فَانْصَبَّ اسْقُفُ رَأْسِهِ لَبَدٍ      نَزَعَتْ رِبَاعِيَتَاهُ لِلصَّبْرِ  
أَشْفَى يُمَجِّجُ الزَيْتُ مُلْتَمِسٌ      ظِمَانٌ مُلْتَهَبٌ مِنَ الْفَقْرِ  
قَتَلَتْ أَبَاهُ، فَقَالَ: أَتَبْعُهُ      أَوْ اسْتَفِيدُ رَغِيْبَةِ الدَّهْرِ

## عالم الفكر

نصف النهار، الماء غامرة  
فأصاب منيته فجاء بها  
يُعطى بها ثمننا فيمنعها  
وترى الصوّاري يسجدون لها  
وترىك شبه المالكية إذ  
طَلَعَتْ بيهجتها من الخدر  
وشريكه بالفَيْب ما يدري  
صَدْفِيَّة كمضيئة الجمر  
ويقولُ صاحبُه: ألا تنفري؟  
ويضمُّها بيديه للنَّخِر  
فتلک شبه المالكية إذ

بهذه الطريقة التمثيلية المعبرة والجذابة شوقنا وشغفنا بجمال صاحبتة المالكية ، فهي تستحق منه أن يكابد عشقها والسعي الدؤوب إثرها والتمسك بها دون غيرها . . . مثله في ذلك مثل رئيس البحارة الذي أصرَّ على اصطيد تلك الجمانة . . . وهي التي قتلت أباه من قبل .

والتأمل للنص السابق لا يخالفه الشك في قصد، المسبب من عرض قصة البحارة والغوص على اللؤلؤ، ومدى ما يلاقونه من جهد وعذاب طيلة أشهر عدة . . . فحين قص علينا حكاية ركوب البحر الشاقة من أجل الرزق كان يريد إبراز قيمة ما يجتزنه اللؤلؤ من ملامح اجتماعية ونفسية وجمالية واقتصادية، وكلها وجه واحد لحكايته مع صاحبتة، ولم يستطع ابن أخته الأعشى أن يقرعه وإن عرض لدارين التي كانت موطن ذلك الغواص،<sup>(١٤٧)</sup> ولكنهما استطاعا رسم صورة البيئة البحرية، وكل منهما أمتع وأزخ لنا بشعره الفني ما كان يدور ويجري فيها من أحداث مختلفة . . . أما حديث عبيد بن الأبرص فقد ساقه عن البيئة البحرية سياقاً آخر يلبي رغبته وهدفه في الافتخار بشعره وقدرته على اصطيد شوارده، فكان بهذا فرداً هو الآخر من دون الشعراء الجاهليين<sup>(١٤٨)</sup> وظل كالمسيب نسيج وحده في تفصيل صورة البحر، إذ تتبع بحس الفنان الأصيل حركة السمك وقدرته على المناورة في لجج البحر . . . فحياته في الماء وموته بخروجه منه، وحياة عبيد تكمن في الشعر، وهكذا ترى لسانه يمزج عباب بحره، ومن ثم ينتهي إلى تصوير طريف لدرعه الملساء اللامعة الصافية، القوية النسيج، الخالية من الشوائب فيجعل صورة الحوت لها شبيهاً، فيقول: (١٤٩)

سل الشعراء هل سَبَّحُوا كَسَبَحِي  
لساني بالتثير وبالقوافي  
من الحوت الذي في لُجج بخر  
إذا ماباص لاح بصفحتيه  
بنات الماء ليس لها حياة  
إذا قبضت عليه الكف حيناً  
وباص ولاص من مَلَصَى مِلاص  
كلون الماء أسود ذو قشور  
بحور الشُّعْرِ أو غاصوا مَغاصي  
وبالأسجاع أَمْهَرُ في الغياص  
يُجِيدُ السَّبْحَ في لُجج المَغاص  
وينص في المكر وفي المحاص  
إذا أخرجتهن من المداص  
تناعص تحتها أي انتعاص  
وحوت البحر أسود ذو مِلاص  
نُسِجَن تَلَاكُحَم السَّرْد الدَّلَاص

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

ومن هنا ندرك أن اختلاف البيئات وتنوعها يعطي الشاعر مصادر متعددة، وطرائق تصويرية لم يعرفها، أو لم يعرف طبيعتها، دون أن نهمل أثر المبدع ذاتياً وموضوعياً، فالعنصر الأقوى ليس في اختلاف أشكال البيئة المادية والمعنوية وإنما في شخصية الشاعر عاطفة وخيالاً وأسلوباً ولغة، وفي طريقة تلقيها والتفاعل معها.

ولعل اللافت للنظر في مشاهد البيئة الطبيعية البحرية عند أبناء الخليج، أنهم لم يكونوا أكثر إبداعاً من شعراء الجاهلية في عرضها ووصفها ورسم ملامحها في ركوب البحر، أو وصف السفن، أو الغوص على اللؤلؤ، أو حياتها البحرية...

ونرى أن أي أثر لبيئة من البيئات مهما كان معجباً ومدهشاً في بداية أمره يتحول شيئاً فشيئاً إلى ضرب من الألفة، ويصبح كل ملمح بيئي جديد ومثير طبيعياً وعادياً، وبهذا يصدق قول القائل: شدة القرب حجاب.

وأياً ما يكن حجم الحديث عن البيئة البحرية في أشعار منطقة الخليج، فإن بيئتها بأنواعها وأشكالها، وما فرضته من حياة وأفكار قد تركت بصماتها في التصوير الشعري وأسلوب الشعراء. فاغتنى أسلوبهم، وغدا أكثر تألقاً وبراعة، وافتنوا بالتتابع القصصي، وأجزاء الصورة الشعرية، فلم يعطوا الصور المجازية الخيالية بالأكبر.

وبقيت لدينا نتيجة - ربما تكون الأهم بين ماتقدم - تقوم على أساس مفهوم المنهج الإقليمي الذي استندت إليه دراستنا غالباً، وفي ضوئها انتهينا إلى أن البيئة الطبيعية تعد شكلاً من أشكال التعلق بالوطن (الأرض والقبيلة ونظام حياتها، والإخلاص له).

ولا أحد يعيب هذا، بيد أن بعض هذه الدراسات قد يقع في دائرة الإقليمية الضيقة، والتغني بها، ومن هنا تضعف أواصر الرحم بين أبناء الأمة الواحدة أرضاً وتاريخاً وثقافة. فالشعر الجاهلي - قبل كل شيء - وحدة لغوية وثقافية وإن انتمى أصحابه إلى قبائل عدة، فالشعراء أينما انتقلوا في المناجع والمحاضر... أظهروا صورة للوحدة الفكرية، إن لم نقل الطبيعية... فالطبيعة هي هي في صورها وأشكالها - على الأغلب - وإن اختلفوا في طرائق عرضها.

ومهما يكن من أهمية الدراسات الإقليمية، وما قد تؤديه من إضعاف لُغرى وحدة الشعر الجاهلي الفنية والفكرية، فلإنها قد تكون صالحة لزمن ما، ومكان ما، ولن تصلح للأجيال كلها على مر الزمن... هذه الأجيال التي تتغنى بلغة القرآن ووحدة التراث الأدبي والفكري.

وستظل البيئة الطبيعية ثابتة الملامح وإن تغيرت الأفكار في رؤوس أصحابها، وتباعدت القبائل قديماً وحديثاً في سكنها، وفي صميم هذا كله فرض علينا البحث إثبات أشكال مصورة توضيحية ملخصة ذلك، ولاحقة به.

وفي إطاره أصبحنا نفهم ما أبدعته عبقرية محمد بن سلام الجمحي في معايير التي بنى عليها كتابه الخالد (طبقات فحول الشعراء)، إذ جعل المقياس المكاني (البيئي) واحداً منها في اختيار طبقاته « فلم يفصله عن غيره ولم يكتف به » فجاءت تلك المعايير مجتمعة ومرضية له في تشكيل بنية كتابه.

## عالم الفكر

هكذا كانت البيئة الطبيعية في الشعر الجاهلي فطرية ومجموعة، وإن تباينت في بعض صفاتها، وطرائق تناولها، وهكذا أخلص أبناء كل بيئة لبيئتهم دون أن يهملوا من اختزنوه من صور البيئات العربية التي عاشوا فيها أو انتقلوا منها أو عبروها.

### ٥- ملحق البحث

#### (١) مصادر الملحق ومراجعته

#### (٢) المصورات ١ + ٢ + ٣

#### ١- المصادر والمراجع

رتبت المصادر تبعا للموضوع، وحسب التسلسل الهجائي، مكتفيا بها وبمؤلفها، وبأهمها، وهي المصادر الرئيسية في البحث كله.

#### أ- المصادر الجغرافية

- (١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي.
- (٢) الأزمنة والأمكنة للمرزوقي.
- (٣) صحيح الأخبار لابن بلهيد النجدي.
- (٤) صفة جزيرة العرب للهمداني.
- (٥) المسالك والممالك لابن خردادبة.
- (٦) مسالك الممالك للاصطخري.
- (٧) معجم البلدان لياقوت الحموي.
- (٨) المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية، حمد الجاسر.
- (٩) معجم ما استعجم للبكري.

#### ب- المصادر التاريخية

- (١) الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري.
- (٢) تاريخ الجاهلية لعمر فروخ.
- (٣) تاريخ الطبري (الوسل والملوك).
- (٤) تاريخ اليعقوبي.
- (٥) حرب بني شيبان.
- (٦) السيرة النبوية لابن هشام.
- (٧) فتوح البلدان للبلاذري.
- (٨) الكامل في التاريخ لابن الأثير.
- (٩) مروج الذهب للمسعودي.
- (١٠) المعارف لابن قتيبة.
- (١١) معجم قبائل العرب لرضا كحالة.
- (١٢) المفصل في تاريخ العرب لجواد علي.

#### ج- المعجمات

- (١) تاج العروس للزبيدي.

## عالم الفكر

- (٢) تهذيب اللغة للأزهري .
- (٣) القاموس المحيط للفيروز آبادي .
- (٤) لسان العرب لابن منظور .

### د- كتاب التراجم

- (١) الاشتقاق لابن دريد .
- (٢) معجم الشعراء للمرزباني .
- (٣) المؤتلف والمختلف للأمدى .

### هـ- المعارف العامة والأدبية

- (١) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني .
- (٢) الأمالي للقلالي .
- (٣) أمالي المرتضى .
- (٤) الأنواء لابن قتيبة .
- (٥) جهرة النسب لابن الكلبي .
- (٦) خزانة الأدب للبغدادى .
- (٧) الشعر والشعراء لابن قتيبة .
- (٨) طبقات فحول الشعراء لابن سلام .
- (٩) المحبر لابن حبيب .
- (١٠) المعمرين والوصايا لأبي حاتم السجستاني .

### و- المجموعات الشعرية

- (١) الأصمعيات للأصمعي .
- (٢) جهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي .
- (٣) حماسة أبي تمام .
- (٤) المفضليات للمفضل الضبي .

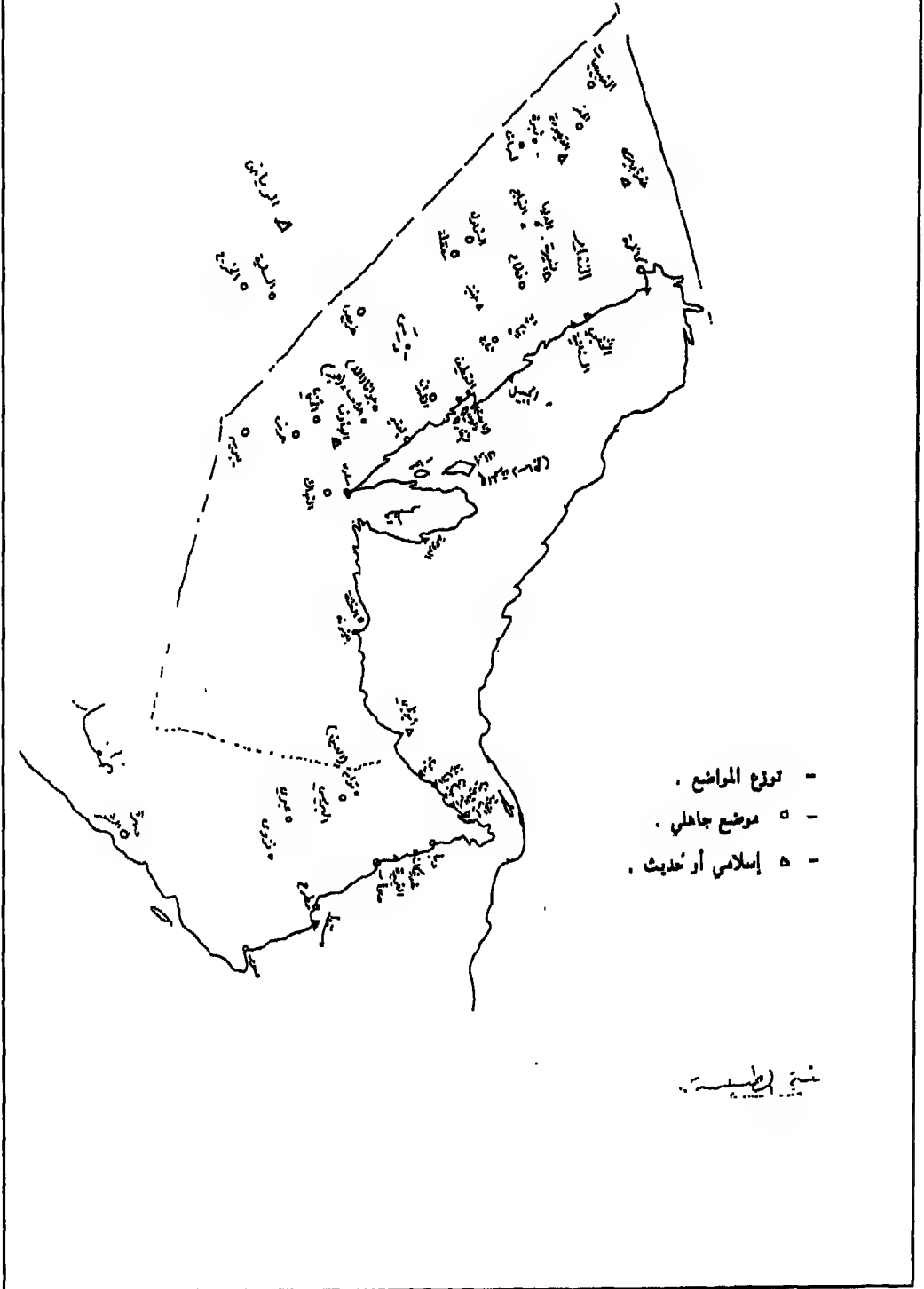
### ز- دواوين الشعر

وردت الدواوين في ثبث الحواشي . ولا مجال هنا لذكرها .

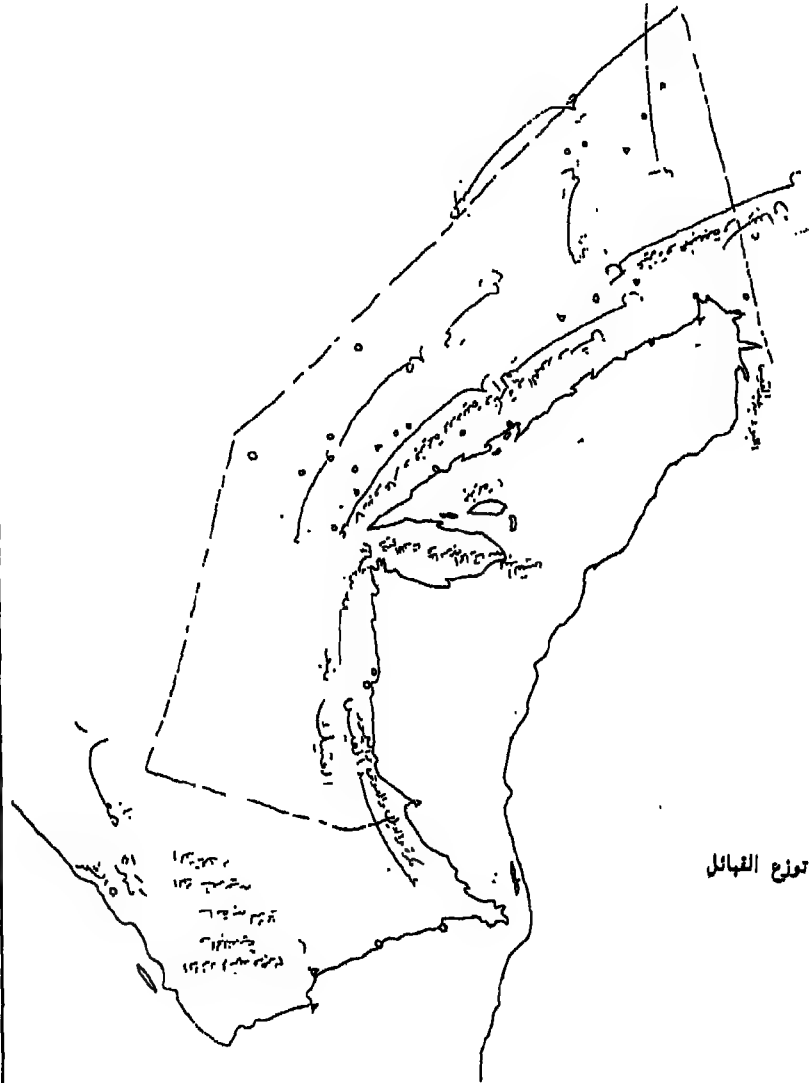




شكل رقم (٢) تقريبي لمنطقة الخليج العربي  
في العصر الجاهلي



شكل رقم (٣) تقريبي لمنطقة الخليج العربي  
في العصر الجاهلي



- تولع القبائل

١. البيئة الطبيعية

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

- وديان الأعشى ٣٥١، وح ٣٣، ٩٥، ٩٦ من البحث.
- (٣٨) انظر معجم ما استعجم ٣٢٣/١ ومعجم البلدان (صحار).
- (٣٩) المفضليات ٢٨٢ ب ١٠ وانظر في البحث ح ٣٢، ٣٧، ٩٥، ٩٦.
- (٤٠) انظر المعارف لابن قتيبة ٣٣٨ والمعمرون والوصايا لأبي حاتم السجستاني ٣٩، ٤٠ واللسان والتاج (غيث - حضر - نجع - ريع - قيط - بدو) والمفضليات ٢٨٢، ب ٧، ٣٧٣، ١١.
- (٤١) انظر المفضليات: ق ١٣ ص ٧٠ وق ٢٨ ص ١٤٩ وق ٦١ ص ٢٥١ وق ٧٤ ص ٢٨١ وق ٧٦ ص ٢٨٧ وق ٧٧ ص ٢٩٣ وق ٧٨ ص ٢٩٥ وق ٧٩ ص ٩٧ وق ٨٠ ص ٢٩٩ وق ٨١ ص ٣٠١ وق ١٣٠ ص ٤٣٢.
- (٤٢) انظر الأصمعيات: ق ٣٠ ص ١١٤ وق ٥٨ ص ١٦٤ وق ٦٩ ص ١٩٩.
- (٤٣) انظر المعمرون والوصايا ٤٢، ديوان الحارث بن حلزة ٥٥ والأغاني ١٢٨/٦.
- (٤٤) انظر شكل رقم (١) من الملحق، وانظر مثلاً: معجم البلدان (عمان - بحرین - هجر - بيرين - وبار - ثاج - كاظمة . . .) وصفة جزيرة العرب ٤٨ ومعجم ما استعجم ٨١/١ و ٥٠٣/٢ و ٩٧٠/٣ واللسان (عمن - بحر - كظم) والحيوان للجاحظ ١٤٥/١ وبلاد العرب للمحسن الأصفهاني ٣٤٣ والمعجم الجغرافي ١٢٢/١ والمفصل لجواد علي ١٥٢ و ١٧٦، ١٧٧ والعصر الجاهلي لشوقي ضيف ٥١، ١٧.
- (٤٥) قصص وأخبار جرت في عمان (ت: عبدالمعظم عامر) ٢٥.
- (٤٦) حرب بني شيبان ٥٥ وانظر ديوان الحارث بن حلزة ٤٣ واختيارات المفضل الضبي (ت: قباوة) ٥٨٩/٢ وصفة جزيرة العرب ٣٧٢ وأحسن التقاسيم للمقدسي ٩٣ ومعجم البلدان (الأحساء - بحرین - خرشاف - هجر - القطيف - الخط).
- (٤٧) ديوان عامر بن الطفيل ٧٠.
- (٤٨) انظر معجم البلدان (عمان - بحرین - صحار - توام - الخط - بيرين - ثاج - المشقر) والكامل في التاريخ ١٩٧/١ والأزمنة والأمكنة ١٦٣/٢ وصفة جزيرة العرب ٢٨٠، ٢٨١، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٣.
- (٤٩) انظر الشكل رقم (٢) الملحق بالبحث، ومعجم البلدان (عمان - البحرین - وصحار - دبا - بينونة - بيرين - قطر - هجر . . . الخ).
- (٥٠) انظر المحرر لابن حبيب ٢٦٥ والأمثالي ١٥٠/١ و ١٦٣/٢ ومعجم البلدان (عمان - الخط - هجر - العين . . .) ومعجم ما استعجم ٤٧/١ - ٤٩ - ١٠٨٤/٢ والمفصل في تاريخ العرب ١٧٦/١ و ١٧٧، ١٨/٢ و ٢٥٨/٣ وصفحات من تاريخ الأحساء لعبدالله بن أحمد بن شباط ٢٥ وانظر مثلاً: ديوان الأعشى ٢٧٣ وديوان بشر بن أبي خازم ٩٦ ب ٣ وديوان النابغة الذبياني - (الطاهر بن عاشور ١٨٦ وصفة جزيرة العرب ٣٣٠).
- (٥١) انظر السيرة النبوية لابن هشام (ت: السقا ورفاهه) ٤/٢٥٤ وتهذيب اللغة ١٦/٢١٦ و ٢١٧، والأزمنة والأمكنة ١٦٢/٢ - ١٦٣ ومعجم البلدان (صحار - دبا - هجر - الخط - دارين - أوام - القطيف - العقير - بحرین) وعجم ما استعجم ٩٢٦/٣ والمحرر ٢٦٥.
- (٥٢) م. س. ن وتاريخ الطبري ٤٧/٢ والمعارف ٦٥٤ و ٦٥٦ والأمثالي الشجرية ٩٦/١ والكامل ٢٢٣/١ و ٢٢٩/٢.
- (٥٣) انظر تاريخ الطبري (ط دار الكتب العلمية) ٣٩٩/١ والكامل في التاريخ ٣٠١/٢ و ٢٢٥، والمحرر ٢٦٥ والمفصل ٥٦٦/١ - ٥٦٩.
- (٥٤) انظر البيان والتبيين للجاحظ (ت: عبد السلام هارون) ٩٦/١ و ٩٧، والشعر والشعراء لابن قتيبة (ت: أحمد محمد شاكر) ١٩٩/١ وحرب بني شيبان - (ط العراق) ٧٠ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٩٩ ومعجم ما استعجم ٨١/١ وجمهرة أشعار العرب ٢١٢/١ و ٢١٦.
- (٥٥) انظر العقد الفريد ٣/٣٦ و ٦٣، ومعجم ما استعجم ٢١/٢٣ و ٨٦، ومعجم قبائل العرب لرشيد كحالة ٩٤/١ والأنوار ومحاسن الأشعار (ط- العراق) ٧٤، ٨٦، ٨٠، ٨٦.
- (٥٦) انظر الشكل رقم (٣) الملحق بالبحث، وجمهرة النسب لابن الكلبي (ت: د. ناجي حسن) ٥٨٢/١ ويعدده، والسيرة النبوية ١٠١، ١٤/١ ومعجم البلدان (ح- ٤٨، ٥١) مما تقدم، ومعجم ما استعجم ٢١/٢٣ و ٤٧، ٨٨، ٧٩، والاشتقاق ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٤ وقصص البلدان ٨٩ والمعارف ١١٢ وانظر مثلاً: ديوان النابغة ١٨٦ والمفضليات ٢٠٤، ٢٠٦، ٤١٢ وحرب بني شيبان ٧٠ واللسان (بهل وبهل) وكتابتنا: الحيوان في الشعر الجاهلي ٢٠٥ والمعجم الجغرافي ١٥١/١.
- (٥٧) انظر: الحاشية السابقة، وصفة جزيرة العرب ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١١، والعقد الفريد ٣/٣٦ - ٦٣ ومعجم الشعر للمرزباني (ت: كرتكو) ٢٠١، ٢٠٢ والمؤتلف والمختلف (ت: كرتكو) ١٤٦، ٧١ وانظر مثلاً: ديوان الحارث بن حلزة، أخبار حرب البسوس ٩٨، والمفضليات (ق ٢٨) والحجاسة لأبي تمام ٣٧/٢، ق ٦٧٢، والسيرة النبوية ٤/٢٥٤ والكامل لابن الأثير ١/٢٢٣.
- (٥٨) انظر معجم ما استعجم ٨٢، ٨٨، والأغاني - (ط: صعب) ٢٠/١٤٣ والكامل لابن الأثير ١/٣٧٨ و ٦٥٢ وديوان بشر بن أبي خازم ٦٢ وانظر ما تقدم (ح- ٥٦، ٥٧) والمعجم الجغرافي ١٢٢/١.
- (٥٩) انظر ديوان الأعشى ق ٢٣ ص ٢١٣ وق ٤ ص ٧٣-٧٥.
- (٦٠) انظر المعارف لابن قتيبة (ت: د. ثروت عكاشة) ٩٣، ٩٥، ٣٣٨، ٣٣٩، والاشتقاق ٣٢٤، ٣٣٤ ومعجم ما استعجم ٢٣/١ و ٧٩، ٨١، ٨٨، ومعجم البلدان (الشفار).
- (٦١) معجم البلدان (المشقر).
- (٦٢) معجم ما استعجم ٤٧/١، ٨٩، وانظر قصص وأخبار ١٧، ١٨، ٣٠، ٣١.
- (٦٣) المفضليات ٢٨٨ ب ٥-٦ و ١٧، ٧٦.
- (٦٤) م. س ٤٣٢ ب ١-٤ ق ١٣٠ وراجع ما تقدم (ح- ٥٢) وانظر ما يأتي (ح- ٦٥ و ١١٨ ويعد).

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.



# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

من أجل أن يعيش الإنسان في وطنه - كما يقول ادوارد جالينا - فعليه أن يتحول إلى أبكم ، منفي داخل وطنه ، نفيًا كان على الدوام أكثر قسوة وأشد وقعا على النفس من أي نفي خارجه .  
أبحر بايخو بحثا عن موضع قدم في هذا العالم يمكنه فيه أن يتفوه بها يريد ، فقادته الأقدار إلى ما وراء المحيطات .

في باريس جرب الشاعر معنى أن يكون منفيًا ، وظل يعيش على أمل العودة إلى وطنه وأسرته وأهله وذكريات طفولته في البيرو . . وأخذت تمر السنون عليه ثقيلة مثاقلة تنهك ما أبقي فيه البعد عن الوطن من عزيمة وعافية .

امتزجت هموم المنفى في نفس بايخو بثقافته الإسبانية فأصبحت عنده إسبانيا ، وهي منه على مرمى البصر وطنًا ثانيًا بعد وطنه الشاكل وأما ثانية بعد أمه المتوفاة .

قاده الحنين إلى إسبانيا ، وفيها شهد فوز الجبهة الشعبية اليسارية في الانتخابات البرلمانية ، فكان ذلك بمثابة تعويض لبايخو عن قسط من الإحباطات المتركة في نفسه نتيجة فشل القوى الشعبية في وطنه في تحقيق مكاسب ملموسة لمطالبها الاجتماعية والسياسية .

لكن نفس القوى التي تقهر الإنسان في أمريكا اللاتينية لم تمهل هذا الحلم في نفس بايخو وانقلبت على النظام الجمهوري الدستوري في إسبانيا وأغرقت البلاد في بحر من الدم .

كانت الحرب الأهلية الإسبانية أقصى تجربة إنسانية عاشها بايخو في حياته ، إذ التقت فيها عبقرية شاعر لم يعرف في حياته غير الألم بعدابات شعب وجراح وطن ، أسكنه بايخو سواد القلب وهو منه على مرمى البصر .

مات بايخو وهو يكي إسبانيا ، إذ كان يرى مصير أمريكا اللاتينية مرتبطا بمصيرها وسلامتها ، وهذا ما عبر عنه في نشرة «إسبانيا الحبيبة» التي كان يصدرها ، حيث كان يرى أن الشعب الإسباني يرى من هذه الحرب ، ويأرس حقه المشروع مادياً ومعنوياً في الدفاع عن نفسه وأنه فريسة حرب أشعلتها مصالح طبقات اجتماعية تمتلك الأموال التي تستعبد بها الشعوب الأمريكية اللاتينية<sup>(١)</sup> . وتثير شجونه رؤية شعب إسبانيا الأم معتدى عليه مادياً ومعنوياً . وكان آخر ما نطق به قبل أن يسلم الروح إلى خالقها هو اسم إسبانيا وأنه ذاهب إليها<sup>(٢)</sup> :

إسبانيا الحبيبة . . . لييك يا أمي

إليك أشد الرحال . . . فلا تجزعي

فالموت والأم موضوعان رئيسيان في شعر بايخو ، إذ تطور مفهوم الأم عنده واتسع ليأخذ أبعاداً إنسانية لتصبح إسبانيا أما لكل المتصدين للظلم . .

في ديسمبر ١٩٢٦ يزور بايخو إسبانيا الأم لأول مرة قادماً إليها من باريس : «أنا ذاهب إلى وطني . بدون شك ، أنا عائد إلى أمريكا الإسبانية ، متجسدة في الحب الحقيقي الذي يختصر المسافات . أنا ذاهب إلى أرض

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

ومر الأيام وعندما تدور رحى الحرب الأهلية الإسبانية في ١٨ / ٧ / ١٩٣٦ يشكل لجان عمل لمساعدة الجمهورية ويشرع في الكتابة في الصحف دفاعاً عن إسبانيا ودعوة للعالم للتدخل لإنقاذ الشرعية المنتخبة فيها . ومن أجل الاطمئنان على الأوضاع ومساندة للمتطوعين يزور - من ١٥ إلى ٣١ / ١٢ / ١٩٣٦ - جبهات القتال الجمهورية في قطلونيا وأراجون .

ويحاول النظام الحاكم في البيرو تحريف مسيرة بايخو الفكرية التقدمية العلمانية فيرسل إليه برقية في ١١ / ٦ / ١٩٣٧ م يخبره فيها بين التمسك بمواقفه وبين الانضواء تحت سياسة النظام الرجعية والحصول على كل ما يريد . وكان طبعياً أن يختار على قناعاته الفكرية . وكانت النتيجة حرمانه من العودة إلى وطنه<sup>(٩)</sup> .

في إطار الجهود الرامية لدعم حكومة إسبانيا الجمهورية وتنفيذاً لقرار سابق اتخذته جمعية الكتاب العالمية قبل سنتين في مؤتمرها الأول المعقود في باريس للدفاع عن الثقافة خرج من باريس في ٢ / ٧ / ١٩٣٧ خمسون كاتباً إلى إسبانيا ، من بينهم بابلو نيرودا واكتايو باث ونيكولاس جيين (كوبا ١٩٠٢-١٩٨٩) وأليخو كاربينتر وئيسار بايخو ، فوصلوا برشلونة في ٣ / ٧ واصلوا الرحلة إلى بلنسية فعقدوا فيها جلسة يوم ٤ / ٧ افتتحها رئيس الجمهورية الدكتور خوان نيجرين لوبيث وشارك فيها مثلاً كاتب من بينهم هنريش كان ولانديسبيرج وأنديرسون نيكسو وأليكس تولستوي وإرنست همنجواي<sup>(١٠)</sup> وبشيتي ويدوبرو وأنطونيو متشادو ورفائيل البيرتي وخوسي بيرجامين وليون فيليبي وميجيل إرناندث ، وتوجه إلى مدريد فعقد فيها جلسة ثالثة ، ثم عاد ليواصل عقد جلساته في بلنسية ، تحت زخات رصاص المحاصرين وطلقات مدافعهم<sup>(١١)</sup> ، ثم في برشلونة . وبينما كان الوفد يعقد إحدى جلساته في صالة بلدية «منجلانيللا» Minglanilla كان حشد من الأطفال يغني في ساحة البلدية التي كانت تطل عليها نوافذ الصالة الثلاث<sup>(١٢)</sup> ، كانوا يغنون حدوث المعجزة بفرح الحياة وهم يسألون عن هوية الغرباء المجتمعين هناك . وهذه الواقعة هي التي يستلهمها بايخو في نهاية الديوان :

يا أطفال العالم

إذا سقطت إسبانيا - أقول ، لا قدر الله -

إذا سقط

من السماء إلى أسفل ساعدها الذي قبضوا عليه

.....

احبسوا الأنفاس ، فإذا

سقط الساعد ودقت المقارع وأرخی الليل سدوله ،

وأطبقت السماء على الأرض وضجَّ صرير الأبواب ،

إذا تأخرت

ولم تروا أحداً ،

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

وجاء الانقلاب اليميني الذي ترتب عليه إعلان اليسار للثورة وتعبئة الجماهير. هنا راح الشرخ في صفوف المثقفين يتسع فوقف جاسيت وأونامونو إلى جانب اليمين بعد أن وجهوا انتقاداتهم لحكومة الجبهة الشعبية. لكن الغالبية ظلت تقف إلى جانب الجمهورية ومنها جارتيا لوركا Federico Garcia Lorca ورفائيل البيرتي Rafael Alberti وأنطونيو متشادو Antonio Machado، ناهيك عن نوابغ الأدب العالمي مثل بابلو نيرودا<sup>(١٧)</sup> وثيسار بايخو ولوليس أراجون وإرنست همنجواي (١٨٩٩-١٩٦١).

ولم يفلح الانقلاب في مواصلة كسب القليلين من المثقفين الذين أيدوه في انقلابه: أونامونو الذي اعتبر الانقلاب في البداية «نضالاً حضارياً ضد الطغيان»، بعد ثلاثة أشهر فقط رأى مذابح الانقلابيين للأبرياء على تراب إسبانيا بعامة، وعلى تراب بلاده (إقليم البشكنس) بخاصة. فصرح بأن «الحرب الإسبانية ليست حرباً أهلية وإنما هي حرب همجية وأنها ليست حرب إسبانيا ضد إسبانيا الأخرى وإنما هي حرب إسبانيا ضد نفسها»، وعبر عن رأيه في الانقلابيين في احتفال أقيم على مسرح جامعة سلمنكا بمناسبة «عيد الشعوب الإسبانية»، في ١٢/١٠/١٩٣٦، بحضور أربعة من المحاضرين، من بينهم خوسي مارية بيبان وممثلين رسميين مثل السيدة كرمين بولو دي فرانكو: زوجة الجنرال فرانكو والأسقف بلا إي دانييل - وقد توسطهما على منصة الشرف الدكتور أونامونو - والجنرال ميبان أستراي (المشهور بدمويته في الحرب المغربية) الذي حضر في معية طلاب كتائبين ملأوا القاعة وكانوا يرتدون سترات بالألوان الصفراء والحمراء والزرقاء رمز الفاشية وألقى كلمة حمل فيها على القطلونيين والبشكنس لوقوفهم إلى جانب الجمهورية ووصفهم بالسرطان في جسم إسبانيا وتوعدهم بالاستئصال بالارحمة. حيثذ تعالت هتافات الفاشيين الحاضرين بشعار يحيا الموت.

عندئذ نهض أونامونو، بصفته مدير الجامعة - ولم تكن لديه نية مسبقة للتحدث في هذه المناسبة - وارتجل كلمة قال فيها: «أعرف أنكم جميعاً تنتظرون كلمتي. أنتم تعرفون وتذكرون أنني لست من الذين يسكتون. لم أتعلم طوال الثلاثة والسبعين عاماً التي أمضيتها من عمري أن أسكت، والآن لا أريد أن أتعلم السكوت. السكوت أحياناً يكون مرادفاً للكذب، لأن السكوت يمكن أن يفسر على أنه رضى. وأنا لا يمكنني أن أعيش في ظل طلاق بين ضميري وبين كلمتي اللذين كانا دائماً توأمان لا ينفصلان.

اختصر الكلام فأقول إن الحقيقة تكون أكثر صدقا عندما تكون عارية من كل تنميق أو هذر.

أريد أن أعلق على خطاب - أقول خطاب لمجرد إعطاء ماقبل اسماً - الجنرال ميبان أستراي الموجود بيننا. نترك جانباً الإهانة الشخصية المترتبة على التعبيرات الفجة الجافة الطافحة بالشتائم للبشكنس والقطلونيين بعامة.

أنا ولدت في بلباو تحت القصف في الحرب الكارلية الثانية، ثم بعد ذلك أقمت في مدينة سلمنكا هذه التي أحبها من كل قلبي. ومع ذلك لم أنس قط مسقط رأسي. والأسقف، شاء أم أبي، فهو قطلوني.

لكنني سمعت الآن صرخة مجنونة تستيح حرمة الأموات وتنادي: «يحيا الموت!» وهذا عندي مرادف لنداء: «الموت للحياة!». أنا الذي أمضيت حياتي أجمع ظاهرياً بين متناقضات أثارت غضب بعض الذين لم يفهموها، يجب علي أن أقول لك إن هذا الجمع بين المتناقضات السخيفة يجعلني أشعر بالاشمئزاز، إذ أنهم

# في الدّلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدّلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.



# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذوايدي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

الحصار قبيل سقوطها بنومنسيا Numansia التي صمد أهلها في وجه الحصار الروماني عشرة أعوام ثم قتلوا جميعاً في عملية انتحارية استهدفت فك الحصار عن مدينتهم . كما اقتبس بابلو نيرودا قصة نومنسيا لثربانتس وكيفها مسرحياً مع ظروف الحرب وعرضها على مسرح ثرثويلا بمدريد .

لجأ شعر المقاومة إلى هجاء العسكريين الانقلابيين والكشف عن دورهم في تدمير الوطن وذلك لتحريض الشعب عليهم ودفعه للتصدي لهم دفاعاً عن منجزاته الديمقراطية وحرية الفكرية والثقافية :

أيها الجنرالات

الخونة :

انظروا إلى الموت في كل بيت

انظروا إلى إسبانيا ممزقة

لكن من كل بيت سيخرج بدل الزهور

معدن يتوهج ،

من كل فج في إسبانيا

سنخرج عليكم إسبانيا ،

من كل جريمة تولد رصاصات

تنال منكم - ذات يوم - مقتلاً<sup>(٣٧)</sup>

كانت الحرب في مفهوم المقاومة حرباً يشنها العسكر باسم الكنيسة والأثرياء تدعمهم الفاشية والنازية والرأسمالية العالمية على الجماهير المتعطشة للحرية والعدالة والمساواة :

ذات يوم راحت النار تلتهم كل شيء

ذات يوم خرجت المواقد

من الأرض تلتهم الكائنات ،

من يومها نار ،

بارود من يومها ،

من يومها دم ،

قطاع طرق يركبون الطائرات وفي معيهم المغاربة

قطاع طرق في أكفهم خواتم ، ترافقهم «الدوقات»

قطاع طرق معهم الرهبان السود تباركهم

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواودي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

إسبانيا وشعبها شطرين أو ورقتين تتطيران في مهب أهواء القوى الكبرى . وهذا هو الواقع . أما نظرة الشاعر المستقبلية لإسبانيا فهي نظرة متفائلة بانتصار الشعب الذي سيضع حداً لمعاناته ذات يوم :  
أيها المتطوعون . . .

من هذا ينشرح الصدر وتتوالد الأشواق ،  
وتولد جمال كثيرة في سن الرجاء .  
الخير في معيتكم يسير اليوم متأججاً  
وتتبعكم الزواحف ذات الأهداب المتوالدة بحنان  
على بعد خطوتين ، على بعد خطوة واحدة  
وتتبعكم المياه بحثاً عن مصب  
قبل أن تشتعل<sup>(٥٠)</sup> .

وإن مزق الإسبان (الثور) وطنهم وتمزقوا هم بين مناصر للسلام (الحمام) ومضاد له ، لأن عنصر الشر (الذئب) قد سكن الصدور فإنهم بالثقافة سيطررون - ذات يوم - هذا الذئب وتعود نفس الإنسان لإنسانيتها وسلامها .

حاول باييخو في معالجته لهذه القضية أن يكون واقعي النظرة لما يحدث ووضع لنفسه ثوابت إنسانية لم يتجاوزها في تفسيره لذلك ، من هنا اكتسبت المفاهيم عنده فلسفتها الأزلية ، فتساوى لديه الإنسان بإنسانيته ولم تميزه عن أخيه الإنسان إلا أفعاله ، حتى ذوي الأفعال الشريرة لم يقف باييخو ضدهم وإنما اعتبرهم نتاج ظروف حادت بهم عن طبيعة الإنسان . ومن هنا اعتبر المتصارعين في الحرب الأهلية «مترافعين» أمام محكمة قد تكون هي محكمة الضمير الإنساني . «فليس في شعر الإسبانية مثيل لشعر باييخو الذي يتبوأ المثل في مكانه في القلب ويقاسم كسرة الخبز الطازجة ويكون ضيفاً مكرماً»<sup>(٥١)</sup> .

لكن هذه النظرة الشمولية المتفائلة عند باييخو لم تنسه المصير المحتوم الذي كانت الحرب الأهلية تقود إسبانيا إليه ، حيث سيتوقف نمو البلاد وتورطها لسنوات وسنوات لأن جيلاً بأكمله حصده تلك الحرب ، لذلك راح يحذر المتصارعين من الطرفين من عدم الغرور بالقوة والتشبه ببناء الأهرام ، ودعاهم لإعادة النظر في مواقفهم والنظر لواقعهم المأساوي للخروج من المأزق ، بعد أن تورطوا في القتال واخترقوا خط اللاعودة فراحوا يعضون الأنامل ندماً ويحاولون كسر الأجمة للخروج من الطوق الذي فرضه الواقع البالي الذي دفع رجل الميليشيا إلى الثورة لخلق واقع أكثر عدلاً وأكثر إنسانية .

إن فلسفة باييخو الجدلية<sup>(٥٢)</sup> التربوية الغريزية هي كالحياة نفسها ، فهو ينظر للجنس البشري ككل لا يتجزأ ، لا فرق في الجوهر بين فرد وآخر ، لذلك نجده يدعو لقتل الموت نفسه وليس لقتل الأشرار من البشر ، لأن هؤلاء هم هكذا رغمًا عنهم وضحايا أمراض أفرزتها مجتمعاتهم ، وبهذا تبقى الجماعة عنده وحده جمعية واحدة غير قابلة للتجزؤ ، وبهذا يصبح الإنسان بتوحده مع أخيه الإنسان جمعاً . وحفاظاً على هذه الروح يدعو باييخو الإنسان لعدم مقاطعة أخيه (العدو) والعمل على محاورته وفرض الخلافات بالحكمة والحوار .

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.



# في الدلالات الميتافيزيقية للمرموز الثقافية

د. محمود الذواوي\*

أولاً: نحو أنسنة علوم الفرد والمجتمع  
تطمح هذه الدراسة إلى المساهمة برؤية جديدة في فهم ما نريد أن نطلق عليه هنا «بعالم الرموز» عند الإنسان. فاللغة والدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية . . . هي جزء من الرصيد الرموزي الضخم الذي يتفرد به الإنسان. ويندرج اهتمامنا بسبر عالم الرموز هذا في فلسفة مبدأ العودة إلى أسس الأشياء: Return to Basics الذي شاع اللجوء إليه في بعض علوم الإنسان والمجتمع منذ السبعينات من هذا القرن على وجه الخصوص. فعالم اللسانيات Linguistics الأمريكي المشهور نوام شمسكي انطلق في فهمه وتفسيره للسلوك اللغوي عند الإنسان من الأسس الفطرية للمقدرة اللغوية التي يتميز بها العقل البشري<sup>(١)</sup>. أما ما يسمى بعلماء البيولوجيا الاجتماعيين Sociobiologists فقد رأوا من جهتهم أن أصول بعض السلوكيات الاجتماعية هي أصول بيولوجية أولاً وقبل كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذا المنطلق نرى أن اندفاعنا لتسليط الضوء المكثف على عالم الرموز عند الإنسان يمثل عودة مباشرة إلى صميم كينونة الإنسان نفسه. إذ أن ما يميز هذا الأخير عن غيره من الكائنات بطريقة حاسمة وفاصلة هو عالم رموزه الهائل. فإذا كان الإنسان قد مثل وما زال يمثل أكبر لغز للفلاسفة والعلماء والمفكرين في القديم والحديث فإن عالم رموزه هو في نظرنا المصدر الأول والأخير في تحديد شكل ومضمون «لغزته». فمحاولة التقدم في فك اللغز الإنساني على كل المستويات لا يمكن في رأينا أن يتم بدون السبر والغور الجديين في أحماق دنيا عالم رموزه.

(\*) أستاذ علم الاجتماع - تونس.

## عالم الفكر

ويجعل باييخو للموت في الحياة مداخل ، مثل أن يموت الإنسان من أجل فكرة سامية كمتطوع الجمهورية الذي كان بموته يفتدي العالم أجمع وليس إسبانيا وحدها ، من الوقوع في براثن الفاشية والنازية الواقفتين وراء الانقلاب العسكري في إسبانيا .

ومن أهم المفاهيم التي كنى بها باييخو عن الحياة ، مفهوم الثقافة ، حيث كان هذا العنصر يظهر في شعره مع كل موت في سبيل الحياة . فالثقافة عنده هي مصدر الحياة ومن أهم مقومات الإنسان . إن إيمانه بالماركسية هو إيمان علمي ونقدي غير تقليدي ، وكان يصف مطبقي الماركسية تطبيقاً حرفياً جامداً - يخضع لاعتبارات شخصية وسياسية - بالمتجلمدين ، وانتقدهم بشدة ونبههم إلى أن الماركسية هي فلسفة لفهم الحياة ومحاولة الوصول إلى الحقيقة للاستفادة من المعلومات المتراكمة في قلب الطبيعة حول ظهور الإنسان وتطوره . وبهذا كانت المادة الأولية في جسم الإنسان من أعصاب وخلايا تشرّف (الحيوان) الذي يتشرف به باييخو (الإنسان) ويرى فيه ضرباً من التشبث بالأصول والمكونات الأولية الموجودة في الحياة قبل تعقدها .

الكتاب والكتابة عنده رمز أزلي للثقافة يصطحبان جثة كل ميت ميتة ذات معنى ، لأن الثقافة هي رمز الحياة وتواصلها . من هنا كانت جثة المتطوع في سبيل إسبانيا تعطي العالم كتاباً إثر كتاب لتواصل الإنسانية تعلمها وتتواصل الحياة . في قصيدة «بدر ووخاس» تحضر مراحل الصراع الثلاث بين الموت والحياة ، تكون الحياة فيها بداية ونهاية ويكون «الموت حدثاً عابراً ، ليس إلا»<sup>(٦٣)</sup> ، حيث تنتهي حالة الكر والفر بين المفهومين بانتصار الحياة المسلحة بالكتابة . فلنستمع للشاعر :

كان من عادته أن يكتب بإصبعه الكبير في الهواء

.....

قتلوه وعلى الموت أرغموه

قتلوا بدر وقتلوا روخاس ، قتلوا العامل والإنسان

قتلوا ذلك الذي وُلد وهو ينظر إلى السماء .

.....

بعد أن مات بدر ووخاس

نهض فقبّل تابوته الدّامي ،

وبكى إسبانيا

ثم عاد بالإصبع يكتب في الهواء

.....

كانت جثته تنبض بالحياة<sup>(٦٤)</sup> .

أما الرمز للموت بالجمجمة والساقين فهو رمز الموت الحقيقي بعد أن فرغت الجمجمة من العقل ، مصدر الثقافة ، وفرغت الساقان من الأعصاب مصدر الحركة والشعور عند الإنسان ، وكلاهما من العناصر الأولية

## عالم الفكر

الأصيلة . فالعقل عنده هو رمز المادة الأولية التي تثير الغرائز، ويعودة هذه إلى تلك يعود بايخو إلى عالم اللامعقول قبل ظهور الإنسان الذي يظهر بعد ذلك كاملاً، لذلك يقول: «دعني وحجري الأبيض/ وحيداً/ ذا أربع» . إنها معرفة بايخو العميقة بالمادية الجذلية التي مكنته من التعرف على مراحل تطور الطبقات الاجتماعية عبر التاريخ وعلى مراحل تطور الإنسان التي ستكتمل - عنده - بمرحلة إشعال الشعب كبريته المسي (أي ثورته المكبوتة).

وكي لا يفجر الشعب ثورته «جرجر الطغاة قبده» الذي يقفل بوابة الدخول إلى التاريخ، وفي القيد كانت جرائمه الميته (الطبقات الاجتماعية التي انتهى دورها التاريخي). فهي ميته، وعليه فالحرب الأهلية في إسبانيا ليست معارك وإنما هي عذابات يولد منها الإنسان الجديد، وتتمخض ألامها عن شرائح الأمل النامية وسط جرائم الرتاج الميته . وبهذا بينا كان الشعب الإسباني وهين مأزقه التاريخي كان بايخو يحمل لإسبانيا هذا الأمل ومن هنا كانت السعادة تدخن أمام قبره .

إنه التزام شاعر فيلسوف بالمبادئ الإنسانية العليا التزاماً عملياً يتجاوز التنظير والمزايدة: «أنا مستعد للعمل بكل جهدي في خدمة العدالة الاقتصادية التي نعاني من أخطائها الحالية . علينا جميعاً نحن ضحايا الاحتيال الرأسمالي أن نطرح بهذا الوضع . إن الثورية التي أؤمن بها هي ثورية عشتها بالتجربة وليست أفكاراً نظرية تلقيتها»<sup>(٦٥)</sup> . لهذا رأى بايخو أن «الفلسفة الماركسية التي طبقها لينين كانت تمد يد المساندة للكاتب وباليد الأخرى تعمل مقص الرقيب في الإنتاج الفكري وتدجنه لأهداف سياسية . هذه هي الممارسة الفعلية في روسيا على أقل تقدير»<sup>(٦٦)</sup> .

بايخو شاعر الحقيقة لا يمدح ولا يجامل، ولا يمدح ولا يهين، وإنما يمسك من اليد التي توجع . بينما خصص الكثيرون من شعراء المقاومة في الحرب الأهلية قصائدهم أو أهدوها لشخصيات لها تأثيرها في المعسكر اليساري مثل الجنرال مياخا أو ليستر أو باسيوناريا<sup>(٦٧)</sup>، فهو لم يهد قط شعره لأحد، وكان إهداؤه الوحيد دائماً لإسبانيا أم الجميع وللشعب الذي يدعوه ويتوجه إليه<sup>(٦٨)</sup> .

بايخو - بحق - هو شاعر يجيد البناء الشعري ويمتلك ناصية اللغة، بعناصرها الأولية ومعانيها الشمولية الجامعة وإيجاءاتها الأسطورية الثرية ويغوص في مجاهلها كاشفاً أسرارها ومطوعاً شواردها حتى بدا للبعض أنه خرج عن القواعد اللغوية، وما هو بخروج، وإنما عمل عبقرى مبدع امتلك ناصية اللغة وطوعها لفنه الشعري وفلسفته الفكرية . ليس ثمة شك في أن «بايخو شاعر حديث، يكبح جماح عمود الشعر التقليدي ويفكك الصيغ المألوفة ويتبنى الشعر الحر ويتعدى عن القوالب المعدة سلفاً»<sup>(٦٩)</sup> .

ولم يكن بايخو كاتباً مرتجلاً، إذ كان يكتب ويمزق ما كتب ويعيد الكرة مرة ومرة، حتى يستقيم له النص قلباً وقالبا . إن صورة من ديوانه «رحمك إسبانيا . . .» كان قد أجرى عليها التصحيح بعد التصحيح تؤكد دقة هذا المبدع في صنعه<sup>(٧٠)</sup> . كمثال نأخذ عبارة: «يعض البارود فيه الأكواع»، حيث كتب الأكواع في المرة الأولى العيون Ojos ثم عاد وغيرها بكلمة ذيل Cola وأخيراً غيرها بكلمة الأكواع Codos فتتحقق بها المعنى واستقامت القافية . وفي قصيدة بدرود روخاس نفسها أجرى الشاعر تصحيحات وتعديلات ساقطت القصيدة إلى أعلى درجات الإبداع . فبالإضافة إلى تغيير مكانها في الديوان بذل اسم القليل سنتياجو بيدرو وحذف

## عالم الفكر

بعض الكلمات فأدى ذلك إلى تحسين الأسلوب والمعنى حيث أصبحت تنهدات الورق جسداً للروح وأصبحت إسبانيا الأم هي العالم بأكمله<sup>(٧١)</sup>.

واستخدم بايخو ظاهرة اللفظ المشترك . استخداماً عضوياً متكاملًا ومحددًا أغنى الصورة الشعرية بناء ومعنى ، وبهذا نجد خلايا الشهيد تقاتل مسلحةً بالتراب (بالحركة والعمل لأن الأقدام الساكنة لا تعمل ولا يعلوها التراب) ومزودة بمغناط موجبة تشده إلى تراب وطنه ، مآله الأخير حياً وميتاً .

وتعود إسبانيا الأم والمعلمة ذات المقارح لتكشف لشاعرنا عن كونها «منبعاً للحياة والشعور، فهي ليست أما ولوداً فحسب، وليست معلمة تبصرنا بالمعرفة فقط، إنها هي وبقدرة قادر الأمران معاً: أم ومعلمة . . . فإسبانيا ليست هي إسبانيا فحسب وإنما هي ملكوت وكون، وبداية ونهاية . ومن تألم حقاً لألمها لدرجة التضحية بالنفس فتحت له أبواب الملكوت . هنا يكمن الانسجام المحتدم لمن يتمزق متماسكاً من أجلها . إسبانيا هي البداية وهي النهاية ، وفيها تكمن الحياة

أيتها الحياة ! أيتها الأرض ! يا إسبانيا»<sup>(٧٢)</sup>.

كما استخدم بايخو رموزاً لها دلالات عميقة في التراث الإنساني، مثل الجاموس رمز الخصب في الثقافات القديمة، فهو الحيوان الذي يرافق الإنسان في الزراعة والنقل وتحمل جميع أنواع الشقاء .

إن عمق ثقافة بايخو هو الذي قاده إلى قناعات حتمية أعانته على مواصلة العمل بأفكاره الطوباوية في أن العالم ليس هو كذلك بما يعلم وإنما هو عالم بقدر معرفته بحدود ما يجهل . . . « فقد يعي الجاهلون ويجهل الواعون» . وفي تقديم النملة فتات خبز للفيل كنية عن فكرة الحب الكبير والعالم الطوباوي والفكر المثالي، التي ناضل من أجلها عنصر المقاومة الشعبية وناضل من أجلها ثيسار بايخو.

## المهام

- (25) Rafael Alberti: "Quinto Regimiento", El Mono Azul, núm. 25, Madrid 21/7/1937, "en Poesía de la Guerra Civil Española: 1936-1939" ed. César de Vicente Herrando, pp. 207-208, ed. Akal, Madrid 1994.
- (26) Leopoldo de Luis: "Vida y Obra de Vicente Aleixandre", p. 137, Espasa Calpe, Madrid 1978.

- (27) Vicente Aleixandre: "El Meliciano Desconocido, En la Aurora de Sangre, Nuevos poemas Varios", (recopilacion de Alejandro Duque Amusco), P. 55-56, edicion Plaza & Janes, Barcelona 1987.
- (28) Vicente Aleixandre: "El Fusilado,... Nuevos Poemas Varios", Ibidem, p. 50.
- (٢٩) ولم يتعرض الأستاذ غوستاف سيبينان لهذا الشعر أو لمصادره، ربما لأسباب فنية:  
Gustov Siebenmann: "Los Estilos Poéticos en Espana desde 1900 (version Espanola de Angel San Miguel, título original: Die Moderne Lyryk in Spanien), Ediciones Gredos, Madrid 1973.
- (30) Leopoldo Luis: Ibidem, p. 138.
- (٣١) بالإضافة إلى «الرومانث» المعروف مؤلفه، فقد انتشر «رومانث» شعبي مجهول المؤلف، ويمكن للأخطاء اللغوية الشائعة في هذا الفن أن تكون خير دليل على مصدره ونشأته، ومن أشهر قصائده: «الأم التي عرفت كيف تبكي» و«غزناطة مسلمة»، وتشير القصيدة الثانية إلى مشاركة القوات المغربية في احتلال المدينة والتنكيل بأهلها. نص القصيدتين مثبت في: Serge Salaun: Ibidem, pp. 144-147
- (32) José Monleon: "El Mono Azul, Teatro de Urgencia y Romancero de la Guerra Civil", I-V, edi. Ayuso, Madrid 1979.
- (33) Pla y Beltran: "A Lina Odena, Muerta entre Guadalís y Granada", 29/10/1936, Natalia Calamai: "El Compromiso en la Poesía de la Guerra Civil Espanola", p. 216, edi. Lafa, Barcelona 1979.
- (34) Concha Zardoya: Poesía Espanola del Siglo XX. Estudio Temático y Estilístico, IV, Ediciones Gredos, Madrid 1974.
- (35) Manuel Tunon de Lara y...: "Cultura y Cultura. Ideología y Actitudes Mentales", en "La Guerra Civil Espanola, 50 Anos después", ibidem, pp. 275-395, edi. Labor, Barcelona 1986.
- (36) Miguel Hernández: "Obra poética Completa", p. 312, Introduccion y Notas; Leopoldo de Luis, Tercera Edicion, Colección "Guernica", núm. 14, Ediciones Zero, Bilbao, diciembre 1977.
- (37) Pablo Neruda: "Esplico Algunas Cosas, Espana en el Corazon", Tercera Residencia, Obras Completas, p. 276, tercera edición, Ediciones Losada, Buenos Aires 1967.
- (38) Pablo Neruda: Ibidem.
- (39) Jerónimo González Martín: El Romance Anonimo en la Guerra Civil Espanola, p. 192, Actas del Congreso Internacional de Montreal, ibidem.
- (40) Andrés Trapiello: "Las Armas y Las Letras: Litertura y Guerra Civil 1936-1939", P. 93, Colección: Espejo de Espana, Planeta, Barcelona 1994.
- (41) Natalia Calamai, ibidem, p. 21.
- (42) Aurora Albornoz: "El Exilio Espanol de 1939, (Poesía de la Espana Peregrina: IV, Cultura y Literatura), Ediciones Tauros, Madrid 1977.
- (٤٣) اشتد المرض على بايخو في ١٣ / مارس / ١٩٣٨.
- (٤٤) تأثر بايخو في أعماله تأثراً قوياً بالأدب الفرنسي، وبخاصة بالأدباء:  
Baudelaire, Nerval, Rimbaud, Lautréamont,... Verlaine Y Laforgue
- انظر التفاصيل في:
- Xvier Abril: "Cesar Vallejo O La Teoría Poética", pp. 95-120, Taurus, Madrid 1963.
- (45) Elisabeth Kuber Ross y...: "Sociología de la Muerte,...", pp. 15-21, (traducción de Luis Alberto Martín Baró), edición, Sala, Madrid 1974.
- (46) Antenor Orrego: "Una Visión Premoritoria de Cesar Vallejo, Metáfora, p. 3, núm. 16, Lima, Septiembre 1957.
- (47) Juanlarrea: Aula Vallejo, num. 1, p. 101.
- (48) Angel Augier: "Nicolás Guillen, Notas para un Estudio Bibliografico - Crítico", p. 100, II, Univ. Ct. de las Villas, La Habana 1964.
- (49) "Homenaje Internacional a Cesar Vallejo", ibidem, p. 128.
- (50) Cesar Vallejo: "Espana Aparta de mi Este Cáliz", p. 24.
- (51) Felix Grande: "Semejante Mendigo", Informacines de las Artes Y las Letras, suplimento del num. 507, 13/4/1978, La Habana..
- (52) Jean Franco: "Cesar Vallejo, The Dialectics of poetry and Silence", Cambridge University Preas, Cambridge, 1976.
- (53) Antonio Ruiz Vilaplana: "Doy Fe... un ano de actuación en la Espana nacionalista", pp. 38-39, 95-97, ediciones

## عالم الفكر

epidauro, Barcelona 1977.

(٥٤) الجدير بالذكر أن الآلاف من رجال الميليشيا تعلموا القراءة والكتابة في خنادق القتال :

Juan Manuel Fernandez Soria: Educación y Cultura en la Guerra Civil Espanola, Nau Libres, Valencia 1984.

(55) Antonio Ruiz Vilaplana: "Doy Fe... un año de actuación en la Espana nacionalista", pp. 69, 96.

(56) Cesar Vallejo: "Espana, Aparta de mi Este Cáliz", p. 18..

(٥٧) اختلف مؤرخو الأدب الأمريكي اللاتيني ودارسوه في مولد بايخو: منهم من أرخ لمولده سنة ١٨٩٣ ومنهم من تأرجح بين ١٨٩٢ و١٨٩٣ ، وأغلبهم اعتمد سنة ١٨٩٢ ، رغم ما جاء في رسالة بعثها بايخو في ٣/٩/١٩٢٧ لصديقه الشاعر بابلو دي بييريس حيثل في مدريد ، من أنه أصبح في الرابعة والثلاثين من عمره ، وحسب دفتر العائلة الصادر عن سجل النفوس في دائرة لا ليرتاد فقد ولد نيسار بايخو في ١٦/١/١٨٩٢ :

José Manuel Castanon y Eugenio Montejo: "Cartas de Cesar Vallejo a Pablo. Abril (en el Drama de un Epistolario)", pp.34-35, edi. Rodolfo Alonso, Buenos Aires 1971.

(58) Cesar Vallejo: "Obra poética completa", prologo de Ferrari Américo, Moncloa, Li ma 1969

(59) Juan Larrea: "Cesar Vallejo: Obra poética completa", Ediciones Barral, Barcelona 1978.

(60) Georgette de Valejo: "Cesar Vallejo: Obras Completas", Ediciones Lafa, Barcelona 1978.

(61) Cesar Vallejo: "obra poética completa", p.27.

(62) Juan Larrea: Ibidem, p. 708.

(63) Cesar Vallejo: "Imagen Espanola de la Muerte", Espana Aparta de mi Esta Caliz, p. 39..

(64) Cesar Vallejo: "Espana Aparta de mi este Caliz", pp. 33-34..

(65) José Manuel Castanon Y...: Ibidem, p. 48.

(66) Cesar Vallejo: "La Consagracion de la Primavera", Mundial, num. 406, Lima, 23/3/1928.

(٦٧) من القصائد المخصصة لدولوريس إيبوري الزعيمة النقابية الشيوعية المعروفة

Miguel Hernández: "Pasionaria, Viento del Pueblo, Obras completas", p. 345, Ibidem. انظر:

(68) Julio Velez y Antonio Merino: "Espana en Cesar Vallejo", p. 124, I, Ediciones Fundamentos, Madrid 1982.

(69) Michele Bernu, Saul Yurkievich y... :Cesar Vallejo (Analyses de Textes), Seminaire". p. 95, Centre de Recherches Latino Americaines, Université de Poitiers, 1972.

(70) Julio Velezy Antonio Merino: Ibidem, pp. 268 - 294.

(71) Juan Larrea: Ibidem.

(72) Alejandro Lara Risco: "Hacia la Voz del Hombre", pp. 54 y 58 Edi. Andrés Bello, Santiago de Chile 1971.

# عالم الفكر

تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

المجلد الخامس والعشرون - العدد الثالث - يناير/ مارس ١٩٩٧

## في الأدب والنقد

- في الدلالات الميتافيزيقية للرموز الثقافية.
- الخلفية الفلسفية في النظرية التوليدية.
- الانزياح وتعدد المصطلح.
- السيميوطيقا والعنونة.
- علاقة النص بصاحبه.
- بواكير النقد الأدبي في الخليج العربي.
- التحليل النفسي للشعر بين الوسيلة والغاية.
- نظرية الشعر في اليونان القديمة.
- القومية في شعر الأخطل الصغير.
- البيئة الطبيعية في الشعر الجاهلي.
- المقاومة في شعر ثيساربايخو.



## قسمة اشتراك

البيان		مجلة عالم الفكر		مجلة الثقافة العالمية		سلسلة عالم المعرفة		سلسلة المسرح العالمي	
		د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	دك	دولار
المؤسسات داخل الكويت		١٢	-	١٢	-	٢٥	-	٢٠	-
الأفراد داخل الكويت		٦	-	٦	-	١٥	-	١٠	-
المؤسسات في دول الخليج العربي		١٦	-	١٦	-	٣٠	-	٢٤	-
الأفراد في دول الخليج العربي		٨	-	٨	-	١٧	-	١٢	-
المؤسسات في الدول العربية الأخرى		-	٢٠	-	٣٠	-	٥٠	-	٥٠
الأفراد في الدول العربية الأخرى		-	١٠	-	١٥	-	٢٥	-	٢٥
المؤسسات خارج الوطن العربي		-	٤٠	-	٥٠	-	١٠٠	-	١٠٠
الأفراد خارج الوطن العربي		-	٢٠	-	٢٥	-	٥٠	-	٥٠

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في : تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك ☐

الاسم :
العنوان :
اسم المطبوعة :
مدة الاشتراك :
المبلغ المرسل :
التوقيع :
نقدًا / شيك رقم :
التاريخ :

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت . وترسل على العنوان التالي :

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب  
ص . ب : ٢٣٩٩٦ - الصفاة - الرمز البريدي ١٣١٠٠  
دولة الكويت

مطابع السياسة - الكويت